الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

al-Waei al-Islami

العدد ٤١٨ ـ السنة ٣٧ - جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ - أغسطس/سبتمبر ٢٠٠٠ م

لن تقهر

- هل الإسلام دين مخيف؟
- الشراكة وأبعاد التنافس الحضاري

هديتك مع العدد براعم الإيمان

اشتراككم في مجلة الوعي الإسلامي
دعم لمسيرة الفكر الإسلامي المعاصر

الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Waei al-Islami

ص. ب : ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 130097 - الكويت

هاتف : ٥٣٤٨٩٧٤ / ٥٣٤٨٩٧٦ / ٥٣٤٨٩٥٦ (٠٠٩٦٥)

فاكس : ٠٠٩٦٥.٥٣٤٨٩٥٤

e.mail: alwaei@awkaf.net

Homepage: www.awkaf.net/alwaei

الوعي الإسلامي

تأسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
جاسم محمد مطر شهاب
Jasem M. M. Shehab

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY
وائل أحمد الهنيدي
WAEL A. AL-HUNAIDI

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 418 - السنة السابعة والثلاثون - جمادى الآخرة 1421 هـ - أغسطس / سبتمبر 2000 م

كلمة العدد

نحن والقدس

قراءنا الأعزاء: يصادف صدور هذا العدد مضي إحدى وثلاثين سنة على الحريق الذي ارتكبه الصهاينة بحق المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وقد حرصت المجلة على إبراز هذه المناسبة لكشف المؤامرات والمكائد التي يحيكها اليوم يهود بحق القدس العربية المسلمة من أجل الإجهاز عليها وتهويدها وجعلها عاصمة أبدية لهم «كما يزعمون» متذرعين بحجج واهية لا تمت إلى الحقيقة والواقع بصلة.

لقد جاء الملف الذي تنشره المجلة في ثنايا هذا العدد متكاملاً يتناول القضية من جميع جوانبها وأبعادها الدينية والتاريخية والسياسية والفكرية، مؤكداً من خلال موضوعاته الحقوق المشروعة الثابتة للمسلمين في هذه المدينة وما حولها، والتي لا تقبل المساومة أو التفاوض مهما كانت الظروف والضغوطات التي يتعرض لها العرب والمسلمون فهل نعي هذه الحقيقة ■

الوعي الإسلامي

الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الامارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان : ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ١٠ جنيهات • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧ ريالات • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سوريا : ٥٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • امريكا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
هاتف : ٥٣٤٨٩٧٤ / ٥٣٤٨٩٧٦ / ٥٣٤٨٩٥٦ (٩٦٥+)
فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954

e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

الاشتراكات

• داخل الكويت :
للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارا كويتيا
• الدول العربية :
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
• دول العالم :
للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
• للمؤسسات :
٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة - الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت - برقيا نيوزبيبر

في العدد

تحقيق

مراكز «إقرأ» و«ربيع ريان»
قفزة نوعية وجهد يستحق التقدير

مراكز «إقرأ» و«ربيع ريان» لتحفيظ القرآن الكريم مشروع متكامل يقدم خدمات مميزة لطلاب وطالبات الحلقات في فصل الصيف، وهذا المشروع كان فكرة ثم أصبح حقيقة، وهو قفزة نوعية، وعمل يستحق الدعم والمساندة... ترى ماذا يقول القائمون على المشروع؟ طالع التحقيق.

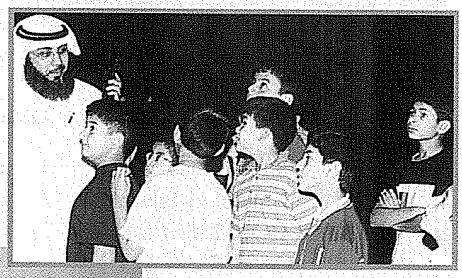

8

ملف العدد

عروس المدائن ترزح تحت تهويد لا مثيل له في تاريخها

تتعرض مدينة القدس لمخططات خبيثة تهدف إلى محو الخصائص والملامح الإسلامية العربية للمدينة وخلخلة التركيبة السكانية فيها، تمهيداً لعزلها عن محيطها العربي والإسلامي.

12

فكر

عالمية الإسلام وعولمة الغرب

هل يجوز مقارنة ظاهرتين بينهما أربعة عشر قرناً؟ وهل الظاهرتان ذواتا مؤدى واحد؟ وماذا في أسس هاتين الظاهرتين وما بينهما التوسطية، بين الأسس والنتائج.

36

4

الوعي الإسلامي

العدد 418
جمادى الآخرة 1421 هـ
أغسطس / سبتمبر 2000

الفهرس

٣	كلمة العدد: نحن والقدس	التحرير
٥	الافتتاحية: القدس قضية إسلامية	رئيس التحرير
٦	بريد القراء	التحرير
٨	تحقيق: مراكز «إقرأ» و«ربيع ريان»	عبدالله متولي
١٢	ملف القدس: عروس المدائن ترزح تحت تهديد لا مثيل له	عبدالرحمن سعد
١٨	٩٠٠ عام على سقوط القدس في أيدي الصليبيين	طارق عبدالفتاح شديد
٢٣	حديث عن إفساد بني إسرائيل وعلوهم	غازي التوبة
٢٤	قدس لن تقهر	محمد حمدان السيد
٢٧	إياك أن تصدقي معارك الحناجر	هلال فارع
٢٨	٣١ سنة على حريق المسجد الأقصى.	الخضري علي السيد
٣٢	قالوا عن القدس والمسجد الأقصى.	التحرير
٣٣	فكر إسلامي: التسليم للقدر والأمن النفسي	د.محمد محمود متولي
٣٦	فكر إسلامي: عالمية الإسلام وعولمة الغرب	د.عبدالعزيز الخطابي
٤٠	عقيدة: بصائر في جانب العبادة (٧)	د. محمد أبو الفتح البيانوني
٤٢	دراسات قرآنية: المقررات الجامعية في القرآن الكريم	د.أحمد شرشال
٤٤	دراسات قرآنية: ابن مجاهد عالم القراءات الملوم اللائم	د. رفيق حسن الحليمي
٤٨	شخصيات: الشهيد البراء بن مالك	د.محمد الزحيلي
٥١	فكر: الشراكة وأبعاد التنافس الحضاري	عطية فتحي الويشي
٥٣	فكر: التضامن الإسلامي بين النظرية والتطبيق	د.محمد رواس قلعه جي
٥٨	فكر: هل الإسلام دين مخيف؟	د.حسن عزوزي
٦٢	حوار: مع الدكتور عبدالله محارب	عبدالسلام طويل
٦٨	البيت المسلم: اقتصاد الأسرة المسلمة واقتصاد الخصوبة	د.زيد محمد الرماني
٧٠	الأطفال الموهوبون كنز لا يُقدَّر بثمن	حواس محمود
٧٤	هل العقاب ضرورة تربوية؟	عبدالحميد غزي بن حسن
٧٦	الحلم «قصة»	منى السعيد مصطفى الشريف
٧٨	انحرافات الشباب الفكرية	محمود رمضان محمد
٨١	مرض عصري اسمه «اختفاء صلة الجيرة»	شعبان محمود شعبان
٨٢	أعمدة الحب السبعة	إيمان القدوسي
٨٣	الوعي والإنترنت	تمام أحمد
٨٤	أخبار الاقتصاد الإسلامي	عبدالكريم خليل
٨٦	حديقة الوعي	سالم الشطي
٨٨	ترجمات: صربيا في حال مزرية من الفقر والعزلة	عبدالمنعم أحمد
٩٠	ثمرات الفكر	محمد هاني
٩٣	نافذة على العالم	التحرير
٩٦	الفتاوى	إدارة الإفتاء
٩٨	سلافة: هموم الإعلام العربي	شعبان محمود شعبان

القدس قضية إسلامية

من يتابع التصريحات الأخيرة لبعض رموز الكيان الصهيوني أو المتعاطفين معه يدرك تماماً إصرار هذا الكيان على المضي قدماً في إجراءات تهويد الأقصى المبارك والقدس عموماً وصولاً إلى مرحلة الضم النهائي للمدينة المقدّسة وإخراجها من دائرة السيطرة العربية والإسلامية. يكفي أن نذكر من هذه التصريحات ما صرح به رئيس دولة إسرائيل الجديد «موشيه كاتساف» يوم ٢٠٠٠/٨/٨م حيث ذكر أنه سيقوم بجولة رسمية في مدينة القدس كرئيس لدولة إسرائيل باعتبارها عاصمة أبدية لها!! وفي اليوم نفسه أعلن السناتور الأميركي اليهودي الأصل «جوزيف ليبرمان» الذي اختاره نائب الرئيس الأميركي «آل غور» ليخوض معه انتخابات الرئاسة كمرشح لمنصب نائب الرئيس: إنه يؤيد نقل السفارة الأميركية من تل أبيب إلى مدينة القدس، كما وقع على رسالة مع أعضاء جمهوريين بعد فشل قمة «كامب ديفيد» الأخيرة تقول: إن إسرائيل قدمت الحد الأقصى من التنازلات، وأن على الجانب الفلسطيني أن يفعل الشيء نفسه إذا كان يرغب في التوصل إلى اتفاق!!

إن استمرار النهج الصهيوني في التعامل مع قضية القدس منذ بدء الاحتلال للمدينة المقدسة في العام ١٩٦٧م، وما أعقبه من إجراءات ومؤامرات صهيونية سواء بالحفريات أو مصادرة الأرض أو بمحاولات النسف والتدمير أو الحرق جريمة لاتغتفر، فإحراق المسجد الأقصى في ٢١ أغسطس ١٩٦٩) يشير بوضوح وجلاء إلى نقطتين جوهريتين. يجب علينا نحن العرب والمسلمين الانتباه إليهما وإدراك أبعادهما ومدلولاتهما الخطيرة. هما:

١. أن الصراع مع الصهاينة صراع حضاري عقائدي وليس نزاع أراضٍ أو حدود أو لاجئين أو تعويضات مالية أو أي أمور فرعية أخرى.

٢. أن الصهاينة مصممون على حصر القضية في الجانب الفلسطيني المفاوض لإبعاد الأمتين العربية والإسلامية عن هذه القضية المهمة التي تمس ثوابت الأمة ومقدساتها في الصميم.

لقد دافع المسلمون عن القدس وما فيها من مقدسات عبر العصور الماضية وحافظوا عليها كرمز من رموز القداسة للأديان السماوية، فهي نموذج للتعايش المثالي بين أبنائها منذ قدم إليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحتى استعادها صلاح الدين من الغزاة الذين قدموا إليها من خارج المنطقة وعاثوا فيها فساداً، وفي هذا دليل على أن علاقة المسلمين بالمدينة المقدسة علاقة سياسية وحضارية في آن واحد وعلى الأمة العربية والإسلامية، وكذلك المجتمع الدولي أن يحافظوا على هذه العلاقة ويقفوا إلى جانب الحق والعدل ضد الظلم والعدوان وهذا ما أكدته الكويت مجدداً حين بينت القيادة الكويتية، ممثلة بأمير البلاد حفظه الله، موقفها الثابت والواضح من هذه القضية الحساسة، واعتبرت القضية تحديداً أمراً يدخل في إطار الثوابت التي تعمل سياستها الخارجية على أساسه، كما أن الأمر لا يضع هذه القضية في مجال المناورة أو المقايضة، فهي شأن إسلامي وعربي قبل كل شيء.

إنّ قضية القدس وفلسطين عموماً قضية مهمة بل جوهرية بالنسبة إلينا كعرب ومسلمين، وهي مسؤولية كبرى أمام الله وأمام التاريخ وأمام الأجيال الحاضرة واللاحقة وهي أمانة في أعناقنا جميعاً، ومن واجبنا ألا نفرط بها أو نقبل بأنصاف الحلول مهما كانت الظروف، فالقدس ستعود إلينا بإذن الله والنصر سيكون لنا في النهاية كما أخبرنا بذلك المصطفى ﷺ، فهذه عقيدة راسخة عندنا نحن المسلمين ولابد أن نربي أبناءنا عليها جيلاً بعد جيل، حتى يتحقق وعد الله ورسوله. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ■

رئيس التحرير

بريد القراء

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

إشارة

طالعت في مجلتكم الغراء في العدد ٤١٦ الصادر في يوليو ٢٠٠٠ ـ صفحة ٨٦ ـ تحت عنوان: اختراع حساب المواريث الإسلامية، وجال في خاطري من المأثور عن العرب قولهم عن حالي: «لا كرامة لنبي في وطنه»، وعن حال المقال المشار إليه قوله: «لكل جواد كبوة»، وتفسير ذلك قيامي في سنة ١٩٨٩ بتصميم برنامج المواريث على المذاهب الأربعة، مضاف إليها القوانين المعمول بها في بعض الدول العربية، منها مصر والكويت وسورية والأردن والمغرب وتونس، ومعالجة أبرز اختلافاتها خصوصاً طريقة حساب مسائل الوصية الواجبة، وذلك في أثناء عملي حيث كنت مديراً لمركز التراث التابع لشركة صخر، وقد عرضت البرنامج ضمن جولة شملت الموسوعة الفقهية، وأذكر منها كذلك السيد وكيل وزارة الأوقاف السعودية الدكتور محمد الشويعر، الذي طلب إليَّ آنذاك إضافة حل خمس مسائل مناسخات إلى المسألة الأصلية، وكما هو معروف أن المناسخات تقع عندما يتوفى أحد الورثة قبل توزيع التركة، لذا يجب إعادة توزيع أسهمه على ورثته، وقد يكون من بينهم ورثة للمتوفى الأول، وقال: إن الباحث الشرعي يحل مسألة المناسخات الوحدة في شهر، ورغم صعوبة هذا الطلب فإنني نجحت ـ بتوفيق الله تعالى ـ في معالجة حل أي مسألة مناسخات دون التقيد بحد أقصى من وفيات الورثة، كل ذلك في زمن لا يزيد عن بضعة ثوانٍ، ومن أهم مميزات البرنامج أنه يشرح الأحكام المطبقة في كل مسألة على حدة، وقد استخدمته وزارة الأوقاف السعودية في محاكم مكة منذ ذلك التاريخ. إن ما أشرتم إليه أنه أداة علمية في أيدي القضاة والمحامين، منشور وموزع في العالم العربي والإسلامي منذ ما يزيد على عشر سنوات، لذا لزم الإشارة، لتصحيح ما جاء في المقال ■

مهندس استشاري: محمود المراكبي
المدير لمركز التراث السابق

اقتراح

إنني وكامل الأسرة من أشد المعجبين بمجلتكم العظيمة وهي تعتبر لنا أول شيء نحرص على اقتنائه كل أول شهر هجري لما تحويه من ثقافة دينية عالية ، وكانت هي النواة في إنشاء مكتبة المنزل، ولي اقتراح أرجو أن ينال اهتمامكم، وهو أن يكون في كل عدد شخصية إسلامية ويكون سرد حكاية تلك الشخصية في ورقتين مثلاً، تحكي أهم النقاط في حياة هذه الشخصية لأن أمثال هذه الشخصيات قدوة لنا، مثل الخلفاء الراشدين أو عمر بن عبدالعزيز أو باقي الصحابة الأجلاء، لأن لهم من المواقف الإسلامية العظيمة والبطولات ما لا حصر له وتحكى بأسلوب مجلة الوعي الإسلامي الشيق الممتع، خصوصاً في الفترة المقبلة، وهي ما نسمع عنها وما تسمى بالعولمة، فسلاحنا الوحيد في الفترة المقبلة هو أن نتسلح بديننا الحنيف وتقاليدنا الإسلامية، أما باقي موضوعات المجلة فكلها أجمل وأعظم من أن أقول عنها شيئاً. سدد الله خطاكم في سبيل نشر الوعي الإسلامي بين أفراد الأسرة المسلمة.

مدحت إسماعيل علي. مصر

المحرر: شكراً على اقتراحكم الطيب ونذكرك بأنه من النادر أن يخلو عدد من أعداد المجلة من الحديث عن شخصية إسلامية معروفة.

رسائل خاصة

● **الأخت أم أسماء المنصوري ـ خوزستان ـ إيران:**
نحن لسنا جهة خيرية لتقديم المساعدات، يمكنك مراسلة الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية على عنوانها التالي: ص.ب: ٣٤٣٤ ـ الصفاة ـ 13035 ـ الكويت

● **القارئ ياسر أحمد أبو شامة:**
نأسف لعدم تلبية طلبك، وفقك الله لما فيه الخير.

● **الأستاذ الدكتور أحمد شوقي الفنجري ـ مصر:**
حوّلنا طلبكم لقسم التوزيع والاشتراكات، آملين أن يلبّي طلبكم وجزاكم الله خيراً.

● **الأخ بو يوسف ـ فرنسا:**
الأعداد المطلوبة ستصلك بإذن الله في القريب العاجل.

● **الأخ حساني محمد المغرب:**
يمكنك مراسلة غرفة تجارة وصناعة الكويت للحصول على عناوين الشركات التي يمكنها أن تساعدك فيما تريد، وفقك الله لما فيه الخير.

● **القارئ محمد زكريا بن حمزة ـ كلية الشريعة ـ الأردن:**
نأسف لعدم تلبية طلبكم يمكنكم مراسلة الجهات المختصة بالموضوع، وفقك الله.

● **الأخ عبدالحكيم قماز ـ الجزائر:**
يمكنكم تزويدنا بالمواد التحريرية ليتم تقويمها واتخاذ القرار على ضوئها وأهلاً وسهلاً بكم.

رداً على ملاحظات قارئ

قرأت تعقيباً على مقال الدكتور عبدالرحمن العيسوي حول «أثر الحرمان من الأمومة» والمنشور بمجلتنا الرائدة «الوعي الإسلامي» في عددها ٤١٣ لشهر المحرم من العام ١٤٢١هـ، تعقيب كان بالعدد ٤١٦ لربيع الآخر ١٤٢١هـ تحت عنوان «مجرد ملاحظة» منسوباً للدكتور السيد محمد التلاوي - مصر، وإنا نحمد لمجلتنا «الوعي الإسلامي» الغراء سعة صدرها واتساع أفقها ونشرها لهذه الملاحظة التي تثير التقزز في نفوس القراء، ولكن الوعي الإسلامي دائماً وأبداً حريصة على أن تظل منبراً حراً طاهراً عفيفاً ذكياً وواعياً لنشر الرأي والرأي الآخر، ولنشر الثقافة الإسلامية والعلمية والعالمية الرفيعة. فمحرر هذه الملاحظة يدعو إلى الانغلاق والجمود الفكري والثقافي ومعاداة كل ما هو أجنبي عنا حتى إنه يحمل على كاتب المقال حملة شعواء لمجرد أنه قرأ مصطلحاً جاء بالعربية والإنكليزية أيضاً، ومجرد إيراد مصطلح أجنبي راح يرمي الكتّاب والعلماء الذين استكملوا دراساتهم العلمية بالخارج بالعلمانية والعولمة والخروج على ثوابت الأمة وأصولها الإسلامية، إذ يقول في وصف المقال: «وأثار حزني هذه اللوثة بالحضارة الغربية التي أصابت كتّابنا من أهل الإسلام فوصل الأمر إلى حد استخدام معان إنكليزية لبعض الكلمات»، ومن المؤكد أن صاحب هذه الملاحظة يستخف بعقلية القراء، إذ كيف لمجرد إيراد مصطلح عربي ورادفه الإنكليزي الذي يجيء توضيحاً للمعنى وتحديداً للمقصود في هذا السياق وهو إيراد تجارب علمية أجريت في الخارج، كيف يستخلص من مجرد إيراد كلمة إنكليزية واحدة أنها لوثة أصابت عقول كتّابنا من أهل الإسلام، ولو عرف صاحبنا معنى كلمة لوثة ما تجرأ على كتابتها إذ تعني الجنون أو مسٌّ من الجنون، إلا أننا نؤكد أن الإسلام لم يعرف يوماً في تاريخ حياته وحياة أصحابه الانغلاق أو التحجر أو الجمود على الذات وطرد الآخر، وإنما هو دين يعرف التسامح وسعة الأفق والانفتاح والحوار مع الحضارات لا الصراع ويأمرنا رسولنا الحبيب بالأخذ بالأسباب والاستفادة من كل منجزات البشرية في العلم والهندسة والطب والصيدلة والوراثة والأمراض والأدوية والزراعة والبيطرة، ولنا في رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حين قال: «من تعلم لغة قوم أمن مكرهم»، وما بالنا بالمجلات العربية التي تصدر في جميع الدول الإسلامية وتنشر ملحظات لكل بحوثها ومقالاتها بالإنكليزية، وما قوله في حركة المعاجم وحركة الترجمة التي بدأها أجدادنا العباسيون، وما رأيه في الحركة المباركة الراهنة والرامية لتأصيل علوم العصر إسلامياً وصبغها بالصبغة الإسلامية؟، وما قول صاحب هذه «الملاحظة» المعتلة في قيام أعظم الدول الإسلامية بافتتاح المراكز العلمية في بلاد الغرب؟ وما رأي القراء في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى؟ وما القول في أن أعظم بلدان الإسلام وأكثرها حرصاً عليه تفد طلابها ومبعوثيها للدراسات العليا هناك؟، وما القول في السفراء والقناصل الإسلاميين الذين يتحدثون الإنكليزية لأداء أعمالهم؟. أيعد ذلك كفراً وإلحاداً وعولمة وعلمانية على حد ما يذهب إليه محرر هذه الملاحظة، هل إيراد مصطلح فني بالإنكليزية معناه الانبهار بثقافة الغرب وحضارته. تلك الحضارة الغارقة في ظلمات المادية التي تفوح منها رائحة الانحلال والتسيب والفوضى الجنسية واحتساء الخمور والمقامرة، بل وامتصاص دماء الشعوب الصغيرة ولابد أن تفكيره لم يمتد به الأفق ليعرف أن كليات الطب البشري وطب الأسنان والصيدلة والهندسة والعلوم، تدرّس باللغة الإنكليزية ولم ترم بالكفر أو الزندقة، بل حتى في رحاب جامعة الأزهر مهد الدعوة الإسلامية وحصنها الحصين يُدرّس الطب والهندسة والصيدلة وعلم الوراثة باللغة الإنكليزية، فالعلم عالمي لا وطن له، والاستفادة من كل منجزات العصر أمر مطلوب، وإتقان لغات العالم أمر مندوب، وما دمنا لا ننقل ما يتعارض مع أصول إسلامنا الحنيف وعقيدتنا الإسلامية السمحة، بل أمات وعموميات ثقافتنا وعادتنا وتقاليدنا وقيمنا الأخلاقية والروحية الأصيلة، إننا لا نخاف من العلماء الذين يسافرون للخارج بقدر ما نخاف من أنصاف المتعلمين وأدعياء العلم، هؤلاء العلماء يعودون لبلادهم الأم وقد ازداد إيمانهم وإسلامهم رسوخاً وعمقاً وقوة لأنهم يرون سوءات بلاد الغرب ومفاسدها الأخلاقية، ويرون معدلات الانتحار ومعدلات الخيانة الزوجية قد زادت. أما إيراد كلمة تغذية باللغة الإنكليزية التي أثارت حفيظة هذا القارئ، فإنها لا تحمل أياً من الاتهامات التي راح يكيلها للكاتب وأمثاله، فالإسلام بخير ولا خوف عليه إلا من أنصاف المتعلمين ودعاة التحجر والجمود والانغلاق ومعاداة العلم الحديث ومكتشفاته. ولو أدرك صاحب هذه الملاحظة حقيقة أن العلم الصحيح النافع للناس جميعاً لا يتعارض مع الدين الإسلامي، بل إنه يرسّخ الإيمان بالله العظيم الخالق المبدع، فكلما زاد العلم زاد الإيمان. ولو أننا كفَّرنا كل من تلقى تعليمه بالغرب لكان ذلك سفه ما فوقه سفه. فمنهم من أثرى المكتبة الإسلامية بمئات البحوث والدراسات والمؤلفات والمقالات ذات الطابع الإسلامي الأصيل، ومنهم من أسهم في نشر الدعوة الإسلامية وأسهم في إعلاء شأنها، ومنهم من تخرج على يديه مئات الألوف من طلاب العلم من أبناء المسلمين في كل المجتمعات، اتق الله في ضميرك. ونراه يختم ملاحظته بالقول: «لقد طغى التغريب على الكاتب حتى نسي أنه يكتب في مجلة إسلامية». ولكنه ماذا يقول للقول المأثور: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد» و«اطلبوا العلم ولو في الصين». وما قوله في إقامة كل الدول الإسلامية علاقات طيبة مع معظم دول العالم الغربي والشرقي وتراعي فيها حسن الجوار والتعاون العالمي والإقليمي والمحلي، والإسلام حركة تنوير عالمية ودعوة إنسانية عالمية لا تعرف حدود الزمان والمكان ولا تقوم على أساس التعصب والتحيز والانغلاق والعداء وإنما تقوم على أساس من التعاون وحُسن الجوار، لا خوف على الإسلام من العلماء من أبنائه، ولكن الخوف كل الخوف من أنصاف المتعلمين ممن يعملون في مهن وحرف لا تمت بأي صلة للثقافة أو التعليم أو علوم الدين. والله تعالى يحفظكم وعلى طريق الخير يسدد خطى أسرة الوعي الإسلامي الموقرة ■

د. محمود السعدني
أستاذ الفقه المقارن. جامعة الأزهر

نحمد لمجلتنا «الوعي الإسلامي» الغراء سعة صدرها واتساع أفقها ونشرها لهذه الملاحظة التي تثير التقزز في نفوس القراء

خرجت من رحم مراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم

مراكز «اقرأ» و«ربيع ريان» قفزة نوعية وجهد يستحق التقدير

• طلاب مراكز اقرأ في زيارة للمسجد الكبير •

• زهرات ربيع ريان يلعبن والمشرفات يتابعن •

هناك في إدارة الدراسات الإسلامية إحدى إدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وتحديداً في مراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم، ورشة عمل لاتتوقف، عمادها مجموعة من العاملين في المراقبة يبذلون قصارى الجهد، يخططون... يشرفون... يتابعون... يراقبون... ويقدمون الدعم المطلوب لفريق عمل ينتشر في محافظات الكويت... الجميع يعزف على أوتار الخدمة الاجتماعية في أروع صورها... هذه الخدمة هي مشروع متكامل يقدم خدمات متميزة لطلاب الحلقات في فصل الصيف، تحت عنوان «مراكز اقرأ الصيفية» للبنين، ومراكز «ربيع ريان» للبنات، هذا المشروع الذي كان فكرة ثم أصبح حقيقة جدير بالتقدير لأنه قفزة نوعية وعمل يستحق الدعم والمساندة، حتى يأتي ثماره المرجوة، وسنترك القائمين عليه يتحدثون عنه.

تحقيق عبدالله متولي
كاتب مصري

في البدء كان الحديث للأخ مشعل العتيبي مدير مشروع مراكز «اقرأ الصيفية» فقال: هذا المشروع الذي بدأ فعالياته مع بدء شهر يوليو، وتنتشر مراكزه في معظم مناطق الكويت خرج من رحم مراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وهو رديف لحلقات التحفيظ ومكمِّل لها، وهذا المشروع يهتم بجانب تحفيظ القرآن الكريم خلال فترة العطلة الصيفية حسب المنهج المقرر الذي يتناسب ومقدرة منتسبي المركز مع اطلاعهم على العلوم التربوية والبدنية ومشاركتهم في الأنشطة المختلفة، الترفيهية منها والتثقيفية وغيرها، لشغل أوقات الفراغ عند طلاب الحلقات وغيرهم بما يفيد وينفع.

فكرة المشروع

وعن فكرة إنشاء المشروع قال

العتيبي: إن نجاح المراقبة في حلقات تحفيظ القرآن الكريم وما أثمرته من نتائج إيجابية يبشر بخير كثير ويدفع العاملين في هذا المجال إلى تزكية نفوس أبنائنا وإبعادهم عن الرذائل، وإن كنا نطمح إلى المزيد من هذه الحلقات رغبة في التوسع ونشر الخير في هذا البلد، ومن باب الدخول تحت قوله صلى الله عليه وسلم: «إن لله أهلين من الناس، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» رواه ابن ماجه وأحمد والترمذي.

ولهذا جاءت فكرة إنشاء «مراكز اقرأ الصيفية» للبنين، ومراكز «ربيع ريان» للبنات، لإشاعة الجو القرآني في نفوس منتسبي الحلقات من أبنائنا وبناتنا الطلبة وغيرهم لاستخدام الحلقات كميدان تربوي يوازي الميادين الأخرى كالبيت والمدرسة لتأصيل القيم الدينية، وربطها بواقع الحياة، وربط جانب الترفيه المباح خلال فترة الصيف بجانب حفظ القرآن الكريم مع اتباعنا لمنهج جديد في الحفظ والمراجعة يؤدي إلى تحقيق الهدف بأقل جهد وأقصر وقت، كما يدفع العاملين في هذا المجال إلى المشاركة الفعلية والتجديد في العمل والتجاوب المثمر.

وتابع العتيبي قائلاً: إن الحلقات هي محطة لاكتساب الأجر الجزيل بإذن الله تعالى، إلا أنه برزت ضرورة إقامة هذه المراكز لأبنائنا الطلاب لاستثمار الإجازة الصيفية بما يعود عليهم بالنفع في أمورهم الحياتية.

أهداف المشروع

وتحدث العتيبي عن أهداف المشروع فقال: من المؤكد أن هذا المشروع جاء ليحقق مجموعة من الأهداف تتمثل في التالي:

- حفظ ما لا يقل عن جزأين من القرآن الكريم خلال فترة الدراسة بالمركز.

الحلقات ميدان تربوي يوازي الميادين الأخرى كالبيت والمدرسة

• مشعل العتيبي •

العتيبي: مشروع مراكز اقرأ الصيفية جاء رغبة في التوسع ونشر الخير

- مراجعة وتلاوة ما لا يقل عن ثلاثة أجزاء ونصف الجزء خلال فترة الدراسة.
- ربط الطالب المنتسب إلى الحلقات أو مركز اقرأ الصيفي بكتاب الله عز وجل.
- استخدام المركز كميدان تربوي للحلقات يوازي الميادين الأخرى.
- إيجاد البديل المناسب لحفّاظ القرآن الكريم خلال فترة الصيف للترفيه والمرح.
- تزويد الطالب بالقدر المناسب من الثقافة الإسلامية.
- المواءمة بين حاجات المتعلم الروحية والثقافية والجسمية، فلا تحقق حاجة على حساب أخرى.
- استثمار المركز كوسيلة إعلامية للتعريف بحلقات القرآن الكريم على مستوى دولة الكويت.

كلمة الآباء

واختتم العتيبي حديثه بكلمة وجهها إلى الآباء وأولياء الأمور قال فيها: اغتنم هذه الفرصة لأهمس في آذان الآباء في حب وإخوة، أن اهتموا بأبنائكم ولا تهملوهم حتى لا يفلت زمام أمرهم، وتتخطفهم أيادي السوء وتوجههم إلى حيث لا تحبون، وليعلم الجميع أن الاهتمام بالأبناء من أعظم المسؤوليات الملقاة على عاتق الآباء «فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» ومن أهم الاهتمام بهم التوجيه الصحيح لهم، وحضهم على شغل أوقات فراغهم بما يفيدهم وينفعهم في

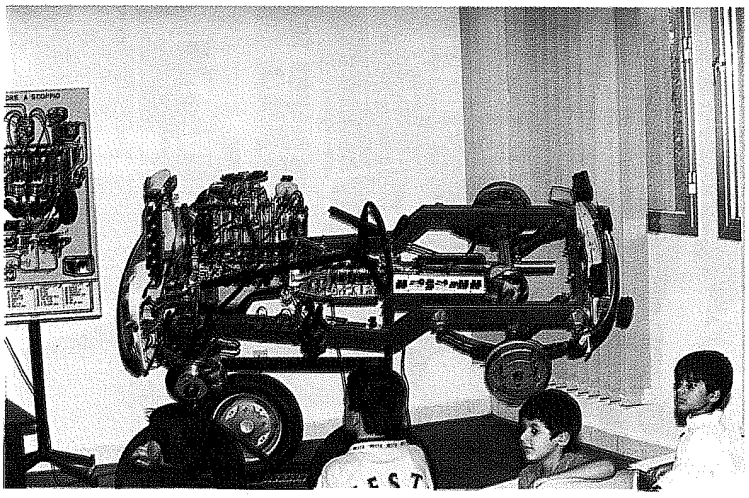

• وفي الشركة الكويتية لتعليم قيادة السيارات •

• عبدالله الكمالي •

الكمالي: المؤشرات ممتازة والنجاح يساعدنا على التطوير وتقديم الجديد

دينهم ودنياهم، وليحرصوا على الاقتران بالصحبة الصالحة بدلاً من إضاعة الوقت في اللهو غير المفيد، ومع صحبة السوء... وساعتها لن تحمد العواقب.

أنشطة متوازنة

وعن الأنشطة التي يقدّمها المشروع للطلاب المنتسبين لمراكزه تحدث عبدالله الكمالي نائب مدير مشروع مراكز اقرأ الصيفية فقال: لقد حاولنا أن نجعل نوعاً من التوازن بين التثقيف والتعليم والترفيه، فجاءت المواد الدراسية والأنشطة البدنية متوازنة على النحو التالي:

- حفظ القرآن الكريم: حيث يقوّم الطالب بحفظ ما يقارب جزءين من القرآن الكريم، وذلك من خلال تقسيم الطلبة إلى مستويات حسب أعمارهم ومراحلهم الدراسية وحفظهم السابق قبل التسجيل وبدء الدوام في المراكز، حيث إن مدة الحفظ خلال الدورة هي ٣٠ ساعة، ويُعتمد مصحف المدينة للحفظ والتلاوة، وعدد حصص هذه المادة خمس حصص أسبوعياً.

- المراجعة والتلاوة وتجويد القرآن الكريم: وهذه المادة تعنى بتلاوة القرآن الكريم من خلال التلاوة على يد المحفِّظ مع مراجعة الحفظ السابق للطالب خلال الدورة، حيث إن الساعات المخصصة لهذه الدراسة ١٧ ساعة يراجع الطالب خلالها ما يقرب من ثلاثة أجزاء ونصف الجزء، وعدد حصص هذه المادة ثلاث حصص في الأسبوع.

- الخط العربي: نهدف من خلال هذا المقرر إلى تدريب الطالب على كتابة أحرف اللغة العربية وألفاظها بصورة سلسة وصحيحة.

الثقافة الإسلامية

يتناول منهج هذه المادة «علم الفقه» الذي يعني بأركان الإسلام الخمسة، حيث يزود الطالب بالقدرالمناسب من الثقافة الإسلامية بأسلوب ميسور وشيق خلال فترة إقامة المركز مع تطرق المادة إلى دور الوقف الخيري في دولة الكويت وأهميته وتناول هذه المادة من خلال آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وعدد حصص هذه المادة ثلاث حصص في الأسبوع.

الأنشطة الترفيهية نالت استحسان الجميع وبخاصة الآباء

- الحاسب الآلي: يتعرف الطالب من خلال هذا النشاط على كيفية استخدام الحاسب الآلي من خلال إقامة دورة للمبتدئين تفيد التعرف إلى برامج متنوعة وعدد حصص هذه المادة ثلاث حصص في الأسبوع.

- السباحة: تعلم أساسيات السباحة من خلال مدرب متخصص في جو مطمئن وعدد حصص هذا النشاط ثلاث حصص في الأسبوع.

- الكراتية: يتعلم الطالب من خلال هذا النشاط أساسيات لعبة الكراتية وتطبيقها عملياً على اعتبار أنها من الرياضات البدنية المفيدة.

موازنة خاصة

وعن كلفة هذه الأنشطة قال الكمالي: إن كل الأنشطة منحة من وزارة الأوقاف للطلاب، وقد أفردت الوزارة للمراكز وأنشطتها موازنة خاصة بها إيماناً منها بالدور الفاعل والخدمة العظيمة التي تقدمها لأبنائها الطلاب.وعن توقعاتهم للمشروع أضاف الكمالي: نتوقع إن شاء الله تعالى النجاح لهذا المشروع بنسبة كبيرة، فالمؤشرات الحالية ممتازة

• وفي الشركة الكويتية لتعليم قيادة السيارات •

وتدفعنا إلى تقديم كل ما هو جديد في مجال الأفكار المفيدة لأبنائنا، كما أن النجاح يساعدنا على تطوير المشروع.

الأنشطة الترفيهية

ثم تطرق الكمالي إلى فعاليات الأنشطة الترفيهية للمراكز التي اعتبرها تمثل عنصراً رئيساً في منظومة الأنشطة التي تقدم للطلاب، فأوضح أن النشاط الترفيهي بدأ بمجموعة من الرحلات والزيارات لبعض الأماكن السياحية وبعض المعالم، كالمدينة المائية «الأكوابارك»، ومسجد الدولة الكبير، ودار الوطن للطباعة والنشر، وكذلك الشركة الكويتية لتعليم قيادة السيارات.

وأشار الكمالي إلى أن المراقبة بالاتفاق مع إدارة حديقة الشعب السياحية قد خصصت يوم الاثنين الموافق ٢٠٠٠/٧/٢٤م يوماً خاصاً لطلاب الحلقات والنوادي الصيفية، بأسعار رمزية، وقد أقيم في هذا اليوم مجموعة من المسابقات بين الطلاب الذين زاد عددهم عن (٢٠٠٠) طالب، وقدمت جوائز وهدايا للفائزين، هذا بالإضافة إلى أن تلفاز الكويت قام بتغطية الرحلة على الهواء مباشرة ضمن أنشطة مهرجان «أحلى صيف».

وأكد الكمالي أن هذه الرحلات أحدثت ردود فعل إيجابية عند طلاب المركز، ونالت استحسان الجميع من الآباء وأولياء الأمور الذين أشادوا بالدور الذي تقوم به مراكز اقرأ الصيفية وحلقات التحفيظ لصالح أبنائهم.

أمهات المستقبل

من جهتها أشارت السيدة مي الفارس مديرة مشروع «ربيع ريان» للبنات إلى أن المشروع سعى إلى استثمار وقت الفتيات خلال العطلة الصيفية فيما يعود عليهن بالخير العميم، فقالت: وفقنا في تمكينهن من حفظ بعض أجزاء القرآن حفظاً سليماً، وتزويدهن بموضوعات ميسرة من الفقه الإسلامي، وتبصيرهن بألوان متعددة من الثقافة الإسلامية، وكل هذا وسط جو إيماني يهذّب النفوس ويوطد دعائم الأخوة والمحبة بين الفتيات، ويحقق لكل فتاة فرصة التعارف ومرافقة الصحبة الصالحة التي تسهم بشكل فاعل في تقويم السلوك وتهذيب النفوس، وتدفع بالمتعلمة دائماً إلى الخير، وتخلق جواً من المنافسة الشريفة المحمودة التي دعانا إليها ربنا جل وعلا ورسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم حين شبه الجليس الصالح بحامل المسك والجليس السوء بنافخ الكير، أو كما قال صلى الله عليه وسلم: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

وأضافت الفارس: لقد قصدنا من وراء ذلك خدمة المتعلمة والعمل على إعدادها وبنائها روحياً واجتماعياً، وفكرياً وثقافياً، واضعين نصب أعيننا أن هذه الزهرات هن أمهات المستقبل وعدة الوطن لبناء مستقبل أفضل، وما أحكم أمير الشعراء حين قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعباً طيب الأعراق

والإعداد يبدأ من الصفر حتى تثبت قواعد البناء وتقوم على أسس سليمة.

نظام الدراسة

يهتم القائمون على المركز بالمواد التي تعني بالقرآن الكريم وعلومه خلال فترة إقامة المركز وذلك من خلال تكثيف الحصص الخاصة لهذه المواد ■

● فتيات «ربيع ريان» مركز عبدالله مبارك الصباح في جلسة تعليمية ترفيهية ●

الفارس: نضع نصب أعيننا أن فتيات «ربيع ريان» هن أمهات المستقبل

فكرة إنشاء «مراكز اقرأ الصيفية» للبنين، ومراكز «ربيع ريان» للبنات، لإشاعة الجو القرآني في نفوس منتسبي الحلقات

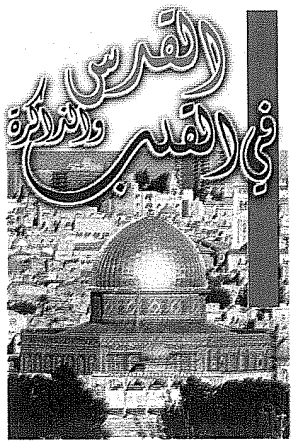

بقلم : عبدالرحمن سعد
كاتب مصري

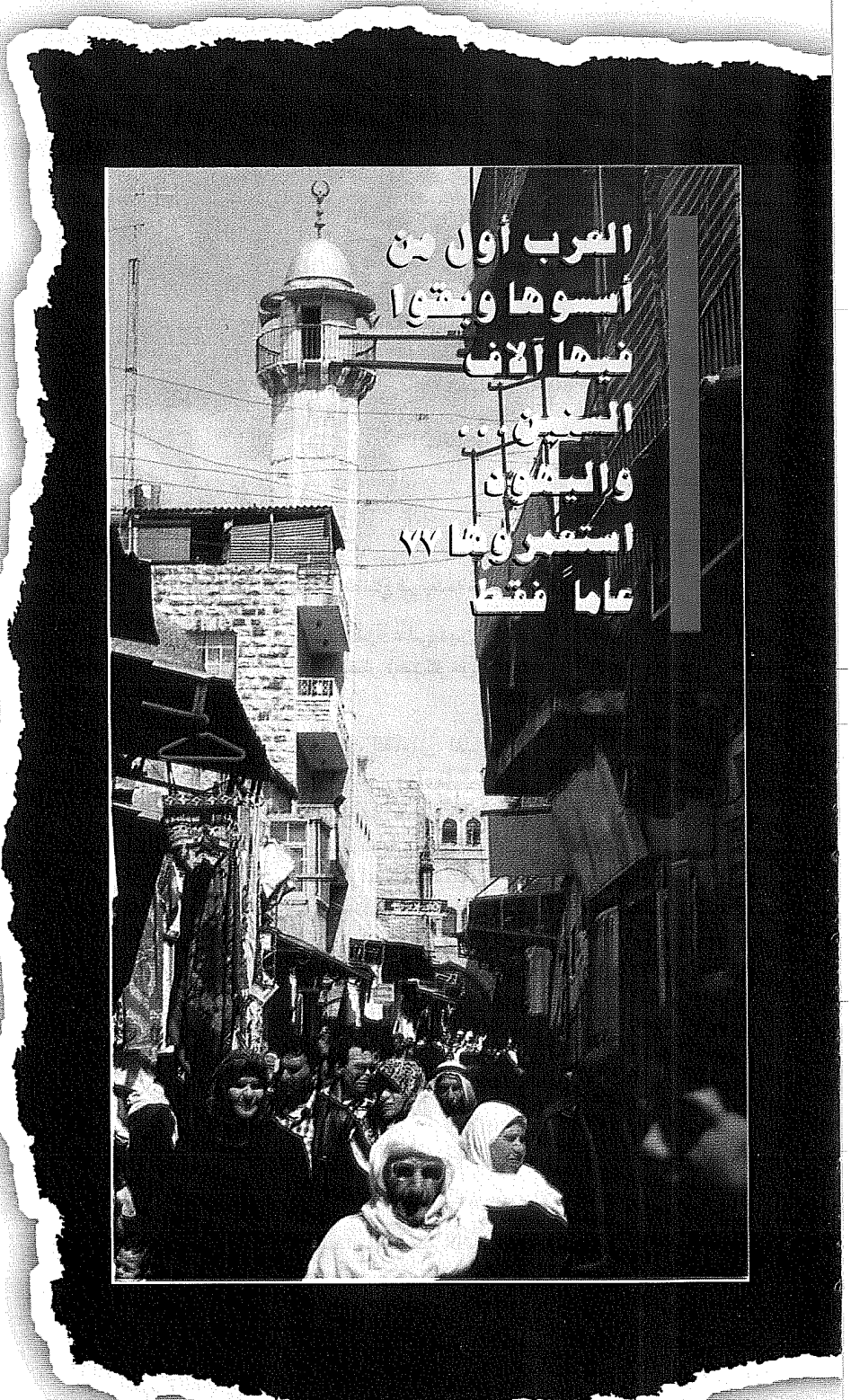

«أم المدائن... زهرة المدائن... عروس المدائن... مدينة المدائن»: مسميات أُطلقت كلها على «القدس» لتؤكد - بما لا يدع مجالاً للشك - الأهمية البالغة لهذه المدينة التي عاش في كنفها الأنبياء والرسل، ونعم أهلها من المسلمين وأتباع العقائد الأخرى - بالأمن والرخاء قرابة ثلاثة عشر قرناً تحت الحكم الإسلامي الرشيد.

القدس هي إحدى حقائق الإسلام الكبرى، فقد شهدت اكتمال حلقات التوحيد، إذ اتجه المسلمون في صلاتهم إليها في مرحلة بدء الوحي، ثم أُسري إليها بالرسول - صلى الله عليه وسلم - فصلّى بالأنبياء هناك، ودعا المسلمين إلى شدِّ الرحال إلى مسجدها المقدس الشريف.

ومن رَحِم القدس يمتد حبل الخلاص - إن صح التعبير - لمشكلاتنا كلها باعتبارها الفيصل دائماً في كل مواجهاتنا - نحن المسلمين مع أعدائنا على مر العصور، لكن القدس مهددة الآن بما لم تُهدَّد به طوال تاريخها على الإطلاق، فقد احتل اليهود الجزء الغربي منها في العام ١٩٤٨م، ثم أكملوا السيطرة عليها في العام ١٩٦٧م، لتواجه بذلك القدس أكبر خطر في حياتها، وهو خطر «التهويد»، إذ استخدم اليهود الغزاة إجراءات قسرية بشعة، في محاولة

«عروس المدائن»

ترزح تحت «تهويد» لا مثيل له

لتهويد بقاعها، وإزالة معالمها الإسلامية، وطرد العرب المسلمين منها، بل تهديد مسجدها الأقصى المبارك، بالحفريات حوله وتحته، وانتهاك قدسيته وحرمته، بدعوى البحث عن الهيكل المزعوم للنبي سليمان عليه السلام، وهذه الأمور مازالت مستمرة، ومتزايدة في ضراوتها، خصوصاً في ظل الحكومات الصهيونية المتعاقبة.

هذا الملف مجرد قطعة صغيرة في قالب كبير، وهو يستعرض القضية من زواياها المختلفة، ويتتبع تاريخها، وحاضرها، ومستقبلها، الأمر الذي يجعلنا نتساءل: على أي شيء سيتفاوض المتفاوضون والواقع العملي يقول: إن القدس توشك أن تتهوَّد، وأن تضيع من أيدي العرب والمسلمين الذين لن يجدوا سوى الفتات منها لكي يتفاوضوا بشأنه؟!

في البدء نستعرض ما آلت إليه المدينة في ظل مخططات «تهويدها» الذي استهدفه الاحتلال الصهيوني من خلال أساليب عدة منها: «محو الخصائص والملامح الإسلامية العربية للمدينة، وخلخلة الكثافة السكانية العربية، وعزلها عن محيطها العربي، مع تكثيف وجود المستوطنين اليهود، بحيث تصبح لهم الأغلبية المطلقة»(١) وأخيراً: إقامة احتفالات ومهرجانات بمرور ما يُزعم أنه ثلاثة آلاف عام على تأسيس القدس عاصمة لليهود على يد الملك داود.!

مصادرة الأراضي

بالنسبة لمحو الخصائص الإسلامية العربية للمدينة: بذل اليهود جهودهم للسيطرة على أكبر قدر من الأراضي العربية، فاستولوا على أراضي الأملاك العامة، وصادروا كثيراً من الأملاك الخاصة، وفرضوا إرادة المحتل على المدينة، بخلق أمر واقع غير قابل للتغيير من خلال إقامة الكثير

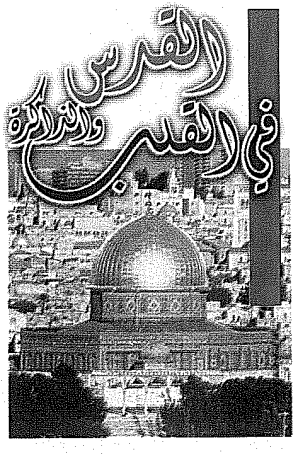

من المستوطنات، التي تشكل مبانيها المقامة على شكل قلاع - على رؤوس الجبال - أحزمة، وأطواقاً تتيح رقعتها التوسع الدائم لصالح اليهود، كما تحاصر في الوقت نفسه المواطنين العرب، وتقضي على أي فرصة أمامهم للتوسع العمراني!.

كذلك سنت سلطات الاحتلال القوانين الخاصة بمدينة القدس، واعتبرتها جزءاً من أراضيها، واتخذت إجراءات كثيرة لتغيير الطابع السياسي والديني والثقافي للمدينة، وكان أخطر تلك القرارات ذلك القرار الذي أصدره الكنيست الإسرائيلي في يوليو العام ١٩٨٠م باعتبار مدينتي: القدس الشرقية والقدس الغربية عاصمة «موحدة وأبدية لدولة إسرائيل»! وهو القرار الذي أكده الكنيست مرة أخرى بقرار صدر في العاشر من مايو العام ١٩٩٤م زعم فيه أن «مدينة القدس ستبقى موحدة إلى الأبد تحت سيادة إسرائيل»!

وبهدف إضفاء الطابع اليهودي على المدينة، لجأت سلطات الاحتلال إلى مصادرة عشرات الآلاف من الدونمات لأراضي تخص المواطنين العرب في داخل المدينة القديمة من مدينة القدس وما حولها.

كما لجأت هذه السلطات إلى إقامة إحياء سكنية صهيونية في داخل المدينة القديمة منها مع إقامة عشرات المستوطنات حولها، من الجهات: الجنوبية والشرقية والشمالية بحيث تحاصر المدينة، وتعزلها عن سائر مناطق فلسطين!.

سلطات الاحتلال لجأت أيضاً إلى حرمان السكان العرب من رخص البناء بالمدينة المقدَّسة، لأن الذي يدير المدينة مجلس بلدي إسرائيلي، والإجراءات التي اتخذتها السلطات الصهيونية غيَّرت النسبة السكانية لليهود في البلدة القديمة «أي القدس الشرقية»، فالقدس الموحدة بشطريها الشرقي والغربي تراجعت فيها نسبة المواطنين العرب لتصبح الأغلبية لليهود!.

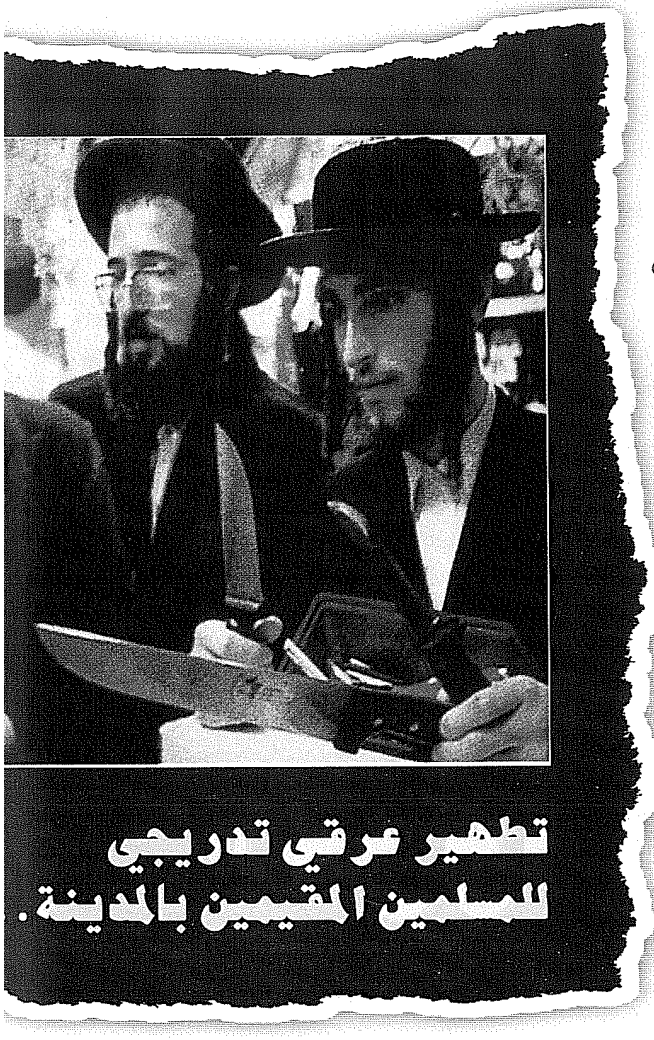

ومنذ الأيام الأولى لعام ١٩٩٥م «كشفت الدولة اليهودية النقاب عن قرارها بمصادرة أكثر من ٥٣ هكتاراً (نحو ١٣١ فداناً) من الأراضي التي يملكها فلسطينيون في القدس الشرقية بهدف بناء مجمع إسكاني لليهود، ومركز للشرطة، وكانت تلك المرة الأولى منذ العام ١٩٦٧م التي تعلن فيها الحكومة الصهيونية أنها تصادر أراضي فلسطينية من أجل إنشاء أحياء سكنية يهودية، في حين كانت في السابق تعلل مصادرتها بأنها لأغراض عامة أو أمنية».(٢)

أثار قرار المصادرة دوياً كبيراً في العالم العربي والإسلامي، وتبنى مجلس الأمن قراراً معتدلاً جداً في لغته، وصياغته لإدانة القرار الصهيوني، لكن الولايات المتحدة استخدمت حق الفيتو في (١٧ مايو ١٩٩٥م) لقتل القرار الذي نال موافقة الدول الأعضاء الدائمة وغير الدائمة بالمجلس! وعندها استشعرت الدول العربية أهمية عقد قمة عربية محدودة لمناقشة أبعاد قرار المصادرة الإسرائيلية للأراضي الفلسطينية، واتخاذ موقف محدد تجاهه، وتم تحديد موعد لقمة عربية كانت في المغرب في أواخر مايو ١٩٩٥م إلا أن تراجع الحكومة الصهيونية عن تنفيذ قرار المصادرة، وتعليقه أو تجميده في (٢٤ مايو ١٩٩٥م) أدى إلى تعليق عقد القمة العربية.

التهجير ... والحصار!

من أهم الإجراءات التي اتخذتها الدولة اليهودية في هذا الصدد قيامها بتهجير أكبر عدد ممكن من السكان العرب من القدس «المدينة المقدسة» إلى خارج حدودها بطرق متباينة، إضافة إلى فرض الضرائب المرتفعة والمتنوعة على السكان العرب في المدينة لتعجيزهم اقتصادياً مع فرض حصار عسكري على المدينة المقدسة، ومنع المسلمين - من جميع أنحاء فلسطين - من الوصول إليها، وحرمانهم من الصلاة في مسجدها الأقصى المبارك، وبخاصة في شهر رمضان

للمرة الأولى تتحقق الأغلبية السكانية في القدس لليهود

المبارك!.

الاحتشاد اليهودي في القدس - كما يؤكد الكاتب فهمي هويدي - أدى بقوة الطرد إلى إبعاد العرب عنها - مسلمين ومسيحيين -(٤) ويستشهد هويدي بدراسة نشرتها الكاتبة الأميركية «جريس هالسيل» التي زارت الأراضي الفلسطينية المحتلة للتعرف إلى أوضاع شعبها، والمسيحيين منهم بوجه أخص... وذكرت فيها ما نصه: «لم يبق في أرض المسيحية سوى أربعين ألفاً من المسيحيين، وقبل نصف قرن من الزمان كان عدد سكان مدينة القدس (١٣٥ ألفاً)، كما أن سكان بيت لحم، قد تناقصوا في القدس، حتى أصبح بالإمكان لطائراتي جامبو أن تنقلهم جميعاً (أي أنهم أصبحوا نحو ألف شخص!) وصاروا في بيت لحم مجرد ١٠٪ من مجموع سكانها الأصليين (مجلة لينك الأميركية - عدد أول أبريل ٩٥).

تطهير عرقي يهودي

حملة التهويد هذه - فيما يراه هويدي - سكانياً، وعمرانياً، «لا تنتهك ميثاق الأمم المتحدة، وقرارات مجلس الأمن فقط، ولا تنتهك ميثاق حقوق الإنسان بدورها فقط من حيث إنها تحرم أصحاب الأرض من حق الحياة فيها، ولكنها تعد نوعاً من «التطهير العرقي» التدريجي الذي يستبعد المسلمين والمسيحيين بأساليب غاية في الخبث والدهاء، ولكي تستصفي المدينة لصالح اليهود في نهاية المطاف».(٥)

ومن شأن ذلك أن يحوّل المدينة من واقع متعدد الثقافات استقر عبر قرون تحت الحكم الإسلامي إلى واقع يهودي في الأساس يسيطر فيه الكيان الصهيوني على السيادة دون منازع، الأمر الذي يفقد المدينة المقدسة أحد أهم أرصدتها التاريخية، والحضارية.

تهويد المسجد الأقصى

وفي إطار التهويد المستمر، يخطط الكيان الصهيوني لتهويد المسجد الأقصى، وذلك «عبر اتجاهين أولهما الحفريات حول حرم المسجد، وهي حفريات بدأت منذ وقت مبكر من الاحتلال، ولا تزال مستمرة، وقد مرت بكثير من المراحل بالإضافة إلى الحفريات في أسفل العقارات الوقفية الأثرية التي تلاصق السور الخارجي للمسجد الأقصى المبارك من الجهتين الغربية والشمالية، تقوم بها السلطات الصهيونية المحتلة منذ العام ١٩٦٧م، وحتى الآن، بدعوى البحث عن هيكل سليمان المزعوم، والتنقيب عن آثار عبرية لإثبات وجود لهم في هذه الديار إلا أنهم لم يعثروا على شيء»(٦).

أما الاتجاه الثاني لتهويد المسجد الأقصى فهو الاتجاه غير الرسمي الذي أخذ شكلاً متنامياً منذ الاحتلال وحتى الآن، وتتزعمه الجماعات اليهودية ذات العقيدة المتطرفة التي تتزايد، ويتزايد معها تأثيرها على مراكز اتخاذ القرار في الكيان الصهيوني، حتى إنها أصبحت تشغل ربع عدد المقاعد - أو أكثر في الكنيست الصهيوني الحالي، وما قبله.

هذه الجماعات بذلت - ومازالت تبذل - محاولات متكررة لإقامة صلواتها في ساحة المسجد المبارك، بدعوى كاذبة هي أن هيكل سليمان - عليه السلام - يقع أسفل المسجد مباشرة!.

وليس خافياً أن إسرائيل تقوم منذ فترة طويلة بالترويج لمشروع كبير لبناء هيكل سليمان بعد إزالة قبة الصخرة المشرّفة، كما يُوجد «ماكيت مجسَّم» لذلك معروض في أحد المتاحف الإسرائيلية!.

أما الزعم الإسرائيلي بأن هيكل سليمان يقع تحت المسجد الأقصى فقد كان أيضاً وراء استمرار حفريات الأنفاق حتى الآن تحت أساسات المسجد، وأسفل العقارات الوقفية الأثرية التي تلاصق السور الخارجي للمسجد الأقصى من الجهتين الغربية

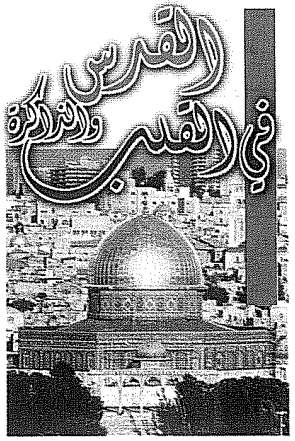

والشمالية.

ولتأكيد هيمنتها على مدينة القدس، وإتمام تهويدها، تلجأ السلطات الصهيونية إلى شتى الأساليب - فضلاً عن المحو المنظَّم لملامح المدينة العربية - سواء كانت أساليب إعلامية أو ثقافية، وذلك «كما حدث في تنظيمها مهرجان «القدس ٣٠٠٠» لتتويج المرحلة ا لنهائية لتهويد المدينة المقدسة بزعم مرور ثلاثة آلاف عام على اتخاذ الملك داود مدينة القدس عاصمة للمملكة اليهودية العام ٩٩٦ قبل الميلاد»(٧)، وقد استمر هذا المهرجان ١٥ شهراً بدءاً من سبتمبر ١٩٩٥م وحتى مطلع العام ١٩٩٧!.

هذه المزاعم مجافية لحقائق التاريخ لأن حقبة المملكة اليهودية لم تستمر سوى ٧٧ سنة فقط، وهذه برهة زمن عابرة من تاريخ طويل، ومتصل، تعرضت فيه المدينة لغزو الغزاة أكثر من ٤٠ مرة فضلاً عن أن العرب عاصروا من أحداثها وتاريخها القديم، والوسيط، والحديث ما لم تعاصره أمة أو طائفة أخرى.

فالهدف الصهيوني من هذه المزاعم، والاحتفالات، والتجييش الإعلامي والثقافي، والتعبئة السياسية والاقتصادية - واضح، هو استدراج الرأي العام العالمي للاعتراف الرسمي والواقعي بالقدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل.

جزء من العقيدة

هذا ما بذله - ويبذله - اليهود لإحكام الحصار على مدينة القدس، وتهويدها تماماً، وهذا ما أنفقوه من اقتصادهم، وأعلنوه - ويعلنونه دوماً - على مسمع من العالم، من حقوق زائفة في المدينة.. فأين المسلمون من كل ذلك؟ وأين جهودهم وإنفاقهم لاسترداد مدينتهم المقدَّسة، والإعلام بحقوقهم بها، والإقناع العالمي بذلك فضلاً عن تحريرها، ووقف مخططات تهويدها، وانتزاعها من جسدها العربي الإسلامي؟

«إن المسلم لا يملك إلا أن يهتم ببيت المقدس ذلك أن الاهتمام ببيت المقدس جزء من عقيدة المسلم، فبيت المقدس يكوّن جزءاً من فلسطين وسورية، هي الأرض التي بُورك فيها للعالمين، يقول ربنا - سبحانه وتعالى - (ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) الأنبياء:٧١.(٨)

وبيت المقدس جزء من الأرض المقدّسة التي كتب الله تعالى على أمة الإسلام دخولها وسكناها، وإقامة حكم الله فيها... قال سبحانه - على لسان موسى عليه السلام -: (يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم) المائدة:٢١، وهذا أمر للمسلمين جميعاً في كل زمان ومكان.

ففي بيت المقدس وضع آدم - أبو البشر - عليه السلام - أساس المجسد الأقصى بعد بناء المسجد الحرام بأربعين سنة، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ثبت في صحيح مسلم (ج ٢/ك ٥) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وُضع على الأرض؟ قال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون عاماً». (فتح الباري ج٦ حديث ٣٣٦٦).

اليهود يحاولون خلق واقع جديد للمدينة بإزالة معالمها وتهجير سكانها وتزييف معالمها

القدس حقيقة الإسلام الكبرى ... ومن رحمها يمتد حبل الخلاص لمشكلات المسلمين

أما المسجد الأقصى فهو أحد المساجد الثلاثة التي لا تُشدُّ الرحال إلا إليها. كما أخبر بذلك خاتم الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليه - فقد روى البخاري بسند صحيح في كتاب: «فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة». قال: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمسجد الأقصى» (كتاب الصلاة).

إن اهتمامنا - نحن المسلمين - ببيت المقدس - إذاً - هو جزء من عقيدتنا الإسلامية، ذلك أن بيت المقدس هي الأرض التي جعلها الله لعباده الصالحين، يقول تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذّكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الأنبياء:١٠٥.

جزء من الدولة الإسلامية

بيت المقدس شكّل دوماً جزءاً من الدولة الإسلامية سواء على عهد آدم عليه السلام أو على عهد إبراهيم، أو داود، أو سليمان، أو غيرهم من الأنبياء، والرسل عليهم الصلاة والسلام. كما قال تعالى: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً) البقرة:١٢٤، «أي أن إبراهيم عليه السلام كانت له الإمامة للمسلمين على أرض الأقصى وحرم الله الآمن بمكة». وقال تعالى: (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق) ص:٢٦ «أي أن داود عليه السلام كان خليفة في الأرض على دولة إسلامية كانت عاصمتها بيت المقدس».(٩)

أرض الأنبياء والمحشر

بيت المقدس وما حولها - كذلك - هاجر

بيت المقدس جزء من العقيدة الإسلامية... وحرمته لا تعادلها إلا حرمة مكة والمدينة

إليها إبراهيم ولوط - عليهما السلام - ليحملا رسالة الإسلام إلى تلك البقاع، وعلى أرضها وُلِدَ وبُعث أنبياء ورسل كرام منهم: إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف عليهم السلام. وفي تلك البقعة المباركة كان الوحي الكريم يتنزل حاملاً رسالة الإسلام من الله تعالى إلى هؤلاء الرسل الكرام.

وبيت المقدس وما حولها - إضافة إلى ما سبق هي أرض المحشر والمنشر كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، وأهلها مرابطون، ومجاهدون إلى يوم القيامة. وعلى هذه الأرض المباركة سينزل المسيح عليه السلام في آخر الزمان.

كما أنها مثوى أجساد طاهرة منها جسد إبراهيم، وأجساد يعقوب، ويوسف، وموسى، وغيرهم من الأنبياء والرسل عليهم السلام، وذلك غير صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين وتابعيهم من المسلمين الذين رووا بدمائهم الذكية هذه الأرض، وهم يجاهدون أعداءها الذين كانوا يحاولون الغلبة عليها عبر التاريخ، ومن هؤلاء الإمام: أبو حامد الغزالي - رحمه الله - الذي كتب معظم كتبه في رحابها، وفي مقدمها كتابه القشيب: «إحياء علوم الدين» ■

الهوامش :

١ - مروة أديب جبرة، القدس تحت الاحتلال الإسرائيلي جغرافياً وديموغرافياً»، ندوة: «فلسطين عبر عصور التاريخ»، مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب جامعة القاهرة، ٤ - ٥ نوفمبر ١٩٩٥م.

٢ - أحمد يوسف القرعي، «القدس ١٩٩٥م وتحديات السنوات الثلاث المقبلة»، مجلة: «السياسة الدولية»، العدد ١٢٣، يناير ١٩٩٦م، ص ٢١٠.

٣ - مروة أديب جبرة، مرجع سابق، ص ١.

٤ - فهمي هويدي، «القدس في المزاد» جريدة الأهرام، ١٩٩٥/١٠/٣١م، ص ١١.

٥ - فهمي هويدي، «شهادات مقدسية قبل الغرق» جريدة الأهرام، ١٩٩٥/١١/٧م، ص ١١.

٦ - عكرمة صبري، «منزلة القدس في الإسلام، وتأثير الاستيطان والحفريات عليها»، ندوة القدس: «القدس»، جامعة الدول العربية، القاهرة، (١٢ - ١٩٩٥/٣/١٤م)، ص٧.

٧ - ناصر الدين الشاعر، «احتفالات القدس ٣٠٠٠: تثبيت لواقع سياسي وتجاهل لمنطق التاريخ»، جريدة الحياة اللندنية، ١٩٩٥/٩/٥م.

٨ - جمال عبدالهادي، «بيت المقدس إسلامية»، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، ط١، ص٦.

٩ - جمال عبدالهادي، مرجع سابق، ص ٧.

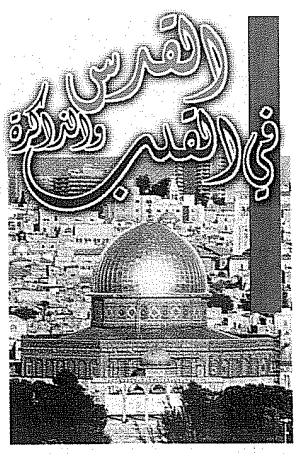

حلت أخيراً ذكرى مرور (٩٠٠) عام على سقوط مدينة «القدس» في أيدي الصليبيين حيث بدأ حصارها في ٧ يونيو وسقوطها تم في ١٥ يوليو عام ١٠٩٩م، وللأسف الشديد تجاهلها أو غفل عنها الجميع في بلادنا، بينما نحن أحوج ما نكون لأن نستعيد كل وقائعها وتفصيلاتها، لأن الليلة أشبه بالبارحة، حيث الذي حدث قبل تسعة قرون يتكرر اليوم جملة وتفصيلاً.

ومن عجب أن الأوروبيين تذكروا ما نسيناه، فمازالت دور النشر عندهم تصدر كل عام مؤلفات لم يمل أصحابها من تقليب أوراق الحروب الصليبية وتمحيص ملابساتها وتحقيق أسبابها ونتائجها، حتى إنه، في يوم الخميس الموافق ١٥ يوليو الماضي وصل إلى القدس وفد يمثل جماعة مسيحية بروتستانتية أطلقت على نفسها أو على مهمتها اسم «مسيرة المصالحة»، وهي المسيرة التي استمرت ثلاث سنوات، طاف الوفد خلالها بالمناطق التي مرت بها وخربتها الجيوش الصليبية، من مدينة كولونيا الألمانية خرجوا، وزاروا تركيا ولبنان وسورية والضفة الغربية قبل أن يصلوا إلى مدينة القدس، وحيثما ذهبوا، فإنهم التقوا بالرموز الدينية للتعبير عن أسفهم واعتذارهم عمّا فعله أسلافهم الذين «خانوا المسيح» ومارسوا فظائع شوّهت اسمه عليه السلام، وكانت بالتأكيد ضد رغبته. كما ذكر المتحدثون باسمهم.

ذكرى غفل عنها المسلمون وتذكرها الأوروبيون

(٩٠٠) عام على سقوط القدس في أيدي الصليبيين

بقلم: طارق عبدالفتاح شديد
كاتب مصري

ذاكرة مفقودة

والمرء يحار في تفسير الغيبوبة المخيمة على عالمنا العربي - الإسلامي، التي تلغي الذاكرة وتسقط الوعي بالتاريخ، أو في أحسن الفروض تخضع استعادته للانتقاء والهوى، كما يرى المفكر الإسلامي الأستاذ فهمي هويدي، ذلك أن أمة بلا ذاكرة أمة، بلا مستقبل، والحفاظ على الذاكرة ليس بالضرورة استغراقاً للماضي أو استدعاء له، وإنما هو ضروري للقبض على الجذور واستيعاب التجارب والتسلح بالإدراك والخبرة التي تؤسس قاعدة مواتية للانطلاق نحو المستقبل. ونزع صفحات التاريخ أو العبث بها هو المقدمة التي تمهد للتيه والضياع، الذي يقود إلى الاقتلاع في نهاية المطاف.

كان من المفروض أن تقف أمتنا أمام هذه الذكرى وقفة طويلة وجادة تستعيد فيها وقائع ما جرى قبل تسعمئة عام، فيعرف الجميع لماذا سقطت القدس، وكيف أقام الأوربيون مملكتهم على أرضها، وماذا فعلوا بأصحاب الأرض الأصليين، ثم كيف استرد العرب والمسلمون المدينة من مغتصبيها، فمسحوا دموعها وبددوا أحزانها، وأعادوا إلى وجهها الصبوح بسمته بعد غياب دام ٨٨ عاماً... كان من المتوقع أن تركز أمتنا في خطابها السياسي والإعلامي والثقافي على هذه المعاني طوال هذه الأيام، منتهزة هذه الفرصة لاستحضار قيمة ومكانة القدس بتاريخها العريض، وإذكاء الوعي بها، وإحياء الأمل في إمكانية استردادها، وتنبيه أبنائها إلى أشراط ذلك الاسترداد، وتجديد الثقة في قدرة وعزائم شبابنا على الوفاء بمسؤوليات تحقيق الهدف المنشود.

التعصب الديني

وفي الوقائع التي حدثت منذ تسعمئة عام الكثير الذي ينبغي أن يتفكره ويعتبر منه أولوا الألباب، والكثير الذي يمكن أن يمنحنا الثقة في النفس والأمل في المستقبل.

فبعد انقضاء أكثر من ستة قرون على دخول المسلمين بيت المقدس وإعطائهم للمسيحيين «العهد العمري»، زحفت جموع الصليبيين من

أوروبا، تثير حميتهم خطب البابا في اجتماعات مسيحية حاشدة، ويتقدمها رهبان ونُسَّاك يدفعهم حماس ديني متعصب.

عقد البابا أوربان الثاني مؤتمراً في كليومونت في فرنسا، وخطب في الناس خطاباً أثار مشاعرهم، متحدثاً عما يلقاه الحجاج المسيحيون من عسف أولئك المسلمين الذين يحكمون بيت المقدس وفيها قبر المسيح... ويحكمون فلسطين وفيها بيت لحم، حيث ولد المسيح. فسالت الدموع وتعالت الآهات، وراح الناس يقسمون أن يهبوا لتحرير تلك الأماكن المقدسة من أولئك المسلمين. وراح البابا يعد أولئك الذين نذروا أنفسهم لاسترداد القدس أسخى الوعود، ووعد كل من يترك أهله وبلده ويمضي على وجهه قاصداً القدس صكاً من صكوك الغفران، وكان المسيحي حينذاك يعتقد أنه إذا حصل من البابا على صك مختوم بخاتم الكنيسة، غُفرت ذنوبه وضمن جنة المقيم... وأصدر مؤتمر كليومونت ١٠٩٥م قراراً بإعلان الحرب الصليبية، وتحركت الجموع الهائلة آلافاً من الرجال والشباب، ومن الشيوخ والصبيان، وحتى من النساء، وتقدمهم نفر من القسس والرهبان.

ولكن لماذا فكَّر الباب، وفكَّر ملوك أوروبا وأمراؤها وفرسانها، في القيام بالحروب الصليبية بعد أن انقضى أكثر من ستة قرون على دخول المسلمين بيت المقدس، وعلى فتح فلسطين والشام؟

لماذا لم يفكر الأوروبيون المسيحيون في استرداد بيت المقدس من أيدي المسلمين طوال تلك القرون الماضية؟... ولماذا قاموا الآن يحملون السلاح، ويقطعون الآفاق قاصدين بلاد المسلمين بعد أن استقر فيها الإسلام أجيالاً تلو أجيال، وبعد أن صارت القدس مدينة إسلامية خالصة، وإن ظلت أبوابها مفتوحة تستقبل الحجاج من المسيحيين؟

هل كانت الكنيسة المسيحية راضية بذلك الوضع طوال هذه القرون، ثم استيقظت فجأة على صيحة من البابا أوربان الثاني في سنة ١٠٩٥م، فقرر المسيحيون الأوروبيون أن يزحفوا بجموعهم وأسلحتهم ليستردوا ما ضاع منهم منذ أمد بعيد؟

لا... إن المسيحيين - وكما يرى الأستاذ عبدالحميد الكاتب في كتابه «القدس» - لم يكونوا قد نسوا بيت المقدس منذ الفتح الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، وهم قد رحبوا بالفتح

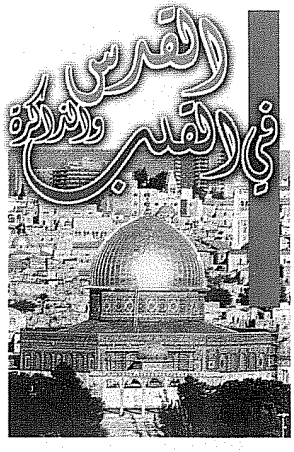

الإسلامي في أول الأمر ليخلّصهم من حكم الرومان وطغيانهم ومظالمهم، ورأوا في عمر بن الخطاب وفي «العهد العمري» الذي أعطاه لهم صورة عظيمة من التسامح الديني ومن العدالة والاستقامة... وبقيت كنائسهم محفوظة مفتوحة لصلاتهم وحجهم.

ثم مضى الزمن قليلاً، وراح المسيحيون يتطلعون إلى استرداد بيت المقدس من المسلمين... ولكن أنّى لهم هذا، وقد ظل المسلمون دهراً طويلاً أقوياء أشداء، لا تقدر عليهم ولا تطمع فيهم أي من القوى الأجنبية؟... فإن قوة المسلمين ووحدتهم وتماسكهم تحت خلافة إسلامية مسيطرة مكّن المسلمين من الاحتفاظ بكل أرض فتحوها في صدر الإسلام، بفلسطين وبالشام وبالعراق وبفارس وبمصر... بل مكّنهم أيضاً من الانتشار فيما وراء هذه البلاد من آفاق مترامية، حاملين راية الإسلام ليرفعوها فوق بلاد أخرى من أقصى إسبانيا والبرتغال، وفي أقصى الشرق في الهند والسند وتخوم الصين، وفي الشمال، حيث كادوا يفتحون القسطنطينية ويقضون على ما تبقى من الإمبراطورية الرومانية الشرقية في عهد عمر بن عبدالعزيز.

ضعف وتخاذل

ثم دار التاريخ دورته، وجاء عصر الضعف والتفكك والتخاذل، وانقسم آنذاك العالم الإسلامي الموحد إلى دويلات وإمارات كثيرة... وكانت هناك سلطنة العراق، وسلطنة الشام، وسلطنة حلب، وسلطنة أصفهان، وسلطنة خراسان... وأخذت هذه الدويلات يكيد بعضها لبعض، وتنشب بينها معارك القتال... وأخطر من هذا ظهور الدولة الفاطمية، شيعية المذهب، ممتلئة بالحركة والحيوية، فلا تكتفي بأن تحكم مصر وما وراءها من بلاد المغرب العربي الإسلامي، ولكنها تتطلع أيضاً إلى الشرق الإسلامي، تريد أن تفتحه وتبسط عليه سلطانها، مستعينة بالفرس الذين نبتت منهم جذور الحركة الشيعية، ومستخدمة من في الشام والعراق من دعاة الشيعة.

من عجب أن الأوروبيين تذكروا ما نسيناه ولم يملوا من تقليب أوراق الحروب الصليبية

وفي خضم هذه الخلافات وما صاحبها من معارك، ظهرت جماعات دينية تعتنق مذاهب غريبة، وتفرض نفسها على المسلمين وتحكمهم شراً وإرهاباً... فهناك القرامطة يحكمون الجزيرة العربية من مكة والمدينة إلى المناطق التي تمتد على الخليج العربي... وهناك جماعة الباطنية، وتشتهر فرقها المعروفة بفرق «الحشيشية أو الحشاشين»، وقد سيطرت على بقاع كثيرة من بلاد الشام، وصارت لها قلاعها وحصونها، ولها أيضاً فرقها الإرهابية التي اغتالت عدداً لا يحصى من الأمراء والسلاطين!.

وانقسم العالم الإسلامي، بل انشطر انشطاراً خطيراً... وتجسَّم هذا في الصراع والقتال الذي عمَّ الساحة الإسلامية، وبخاصة بين دولة السلاجقة ودولة الفاطميين... وهو صراع بين قوتين سياسيتين، عسكريتين، تريد كل منهما أن تقهر الأخرى، وأن تفرض زعامتها على العالم الإسلامي كله... بينما هناك قوة أخرى من الغرب ترى أن هذا الانقسام، وهذه الفوضى في العالم الإسلامي، هو الذي يفتح لها الطريق إلى بلاد المسلمين... ولهذا، بدأت الحركة الصليبية متزامنة تماماً مع حال الضعف والتخاذل، وموجات الفوضى والاضطراب، التي غمرت العالم الإسلامي شرقاً وغرباً.

ضعف الذاكرة التاريخية يمهد للتيه والضياع ويقود إلى الاقتلاع في نهاية المطاف

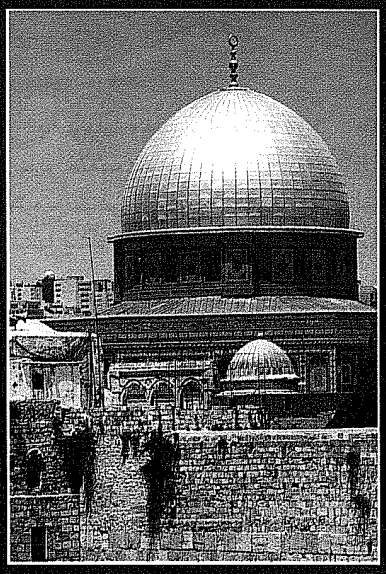

مذابح بشعة

فالحروب الصليبية بدأت عندما تحوّلت الدولة الإسلامية الواحدة إلى كثير من الدويلات والإمارات... فصارت المدينة الواحدة دولة، وصار الإقليم الصغير دولة، وصارت الغارات والمعارك بين هذه الدويلات الصغيرة هي محور حياة الحكام، وهي أيضاً مصدر مشكلات

المحكومين وهمومهم.

وبلغ هذا التفكك أقصاه، في نهاية القرن الخامس الهجري، أو نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، وعندئذ قامت فكرة الحرب الصليبية، وبدأت جموع الصليبيين وجيوشهم تزحف إلى الشرق.

ووقعت معارك كثيرة بين المسلمين المدافعين والصليبيين المهاجمين، وقد انتصر المهاجمون في كل معركة تقريباً، وانهزم المدافعون في كل معركة تقريباً. وكانت المدينة الإسلامية أو الدويلة الإسلامية لا تصمد أكثر من أيام أو أسابيع أو بضعة أشهر... فلم يمض أكثر من أربع سنوات، منذ أطلق البابا صيحته إلى الحروب الصليبية، إلى يوم أن دخل الصليبيون مدينة القدس.

لقد وصل الصليبيون إلى أسوار مدينة القدس في السابع من يونيو عام ١٠٩٩م، ودام حصارهم للمدينة نيفاً وأربعين يوماً، كما ذكر ابن الأثير، وظلوا يشددون الهجوم يوماً بعد يوم على جند المسلمين، إلى أن أقاموا برجين يطلان على سورها، أحدهما بباب صهيون والآخر بباب العمود، وقد أحرق المسلمون البرج الأول وقتلوا من فيه، أما البرج الثاني فقد زحف به الصليبيون حتى ألصقوه «بالسور»، وكشفوا من كان عليه من المسلمين، ثم رموا بالمجانيق والسهام رمية رجل واحد، فانهزم المسلمون، كما ذكر المؤرخ أبو المحاسن صاحب «النجوم الزاهرة».

حدث الهجوم الشامل الذي قام به الصليبيون ليلة ٤ يوليو ١٠٩٩م، ثم اشتد الهجوم واتخذ طابعاً عنيفاً صباح اليوم التالي ١٥ يوليو، الذي كان يوم جمعة، وبعد الظهر نجحوا في اقتحام المدينة، وفر الجنود الذين كانوا يدافعون عنها للاحتماء بالمسجد الأقصى، فتبعهم الصليبيون، واقتحموا المسجد وأحدثوا بداخله مذبحة وحشية، حتى كانوا يخوضون إلى سيقانهم في دماء المسلمين.

في الحال، انتشر الصليبيون داخل المدينة، وسارعوا إلى فتح باب العمود لكي يدخلوا منه بقية الصليبيين، واتجه آخرون لاحتلال «قبة الصخرة» التي كانت غنية بما فيها من تحف ثمينة فنهبوها عن آخرها.

لم يتم استيلاؤهم على المدينة دون مقاومة، فقد صادفوا مقاومة شديدة في قطاعها الجنوبي ولكن لم يقدر لها أن تستمر... أما «افتخار الدولة» حاكم المدينة الفاطمي فقد احتمى مع طائفة من جنده بمحراب داود، حيث اعتصموا به وقاتلوا فيه ثلاثة أيام، لكنهم لم يلبثوا أن ألقوا السلاح بعد أن بذل لهم الفرنج الأمان، وأطلق الصليبيون سراحهم، وسمحوا لهم بالخروج إلى عسقلان، فكانوا الفئة الوحيدة من بيت المقدس التي نجت من وحشية الصليبيين، وهم الذين لم يتركوا مسلماً في الطرقات أو في البيوت أو المساجد، إلا وقتلوه واستباحوا دمه، دون تفرقة بين رجل وامرأة، وشيخ أو طفل.

بدأت الحركة الصليبية متزامنة مع حال الضعف والفوضى التي غمرت العالم الإسلامي شرقاً وغرباً

لم يرع الصليبيون حرمة المسجد الأقصى، بل أجهزوا على كل من احتمى به من المسلمين، وعددهم أكثر من سبعين ألفاً، منهم جماعة من أئمة المسلمين وعلمائهم وزهادهم الذين جاؤوا من أنحاء العالم الإسلامي لكي يجاوروا المسجد الشريف.

لقد كتبوا إلى البابا في روما رسالة سجّلها المؤرخون المسيحيون في كتبهم، وقالوا فيها: «إن جنودنا كانوا يخوضون بسيقانهم حتى الركب في دماء المسلمين»!... وقال المؤرخ الصليبي المشهور وليم الصوري: «كان بيت المقدس مخاضة واسعة من دماء المسلمين».

واعتصمت جموع المسلمين في مسجد عمر - رضي الله عنه - وقد سجل أحد الكهنة المسيحيين ما رآه متألماً... «لقد أفرط قومنا في سفك الدماء... وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك... وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح، كأنها تريد أن تتصل بجثث اقتطعت منها».

أما المؤرخ المفكّر الفرنسي غوستاف لوبون، فقد قارن في كتابه «حضارة العرب» بين فتوح العرب في صدر الإسلام وبين الحروب الصليبية، حيث قال: «العرب الذين خرجوا من الصحراء، أعطوا المسيحيين في القدس العهد العمري المشهور، الذي تعهد فيه المسلمون بالمحافظة على كنائس المسيحيين ومقدساتهم، وأما الأوروبيون، فكانوا يجوبون الشوارع ويصعدون إلى سطوح البيوت، ليروا غليلهم بالتقتيل، وكأنهم لبؤات خُطفت أطفالها، وكانوا يذبحون الأولاد والشبان والشيوخ ويقطعونهم إرباً إرباً... وكانوا يشنقون مجموعة من الناس بعضهم أمام بعض بحبل واحد بغية السرعة، وقد أمر الأمير بوهيموند بإحضار الأسرى إلى برج النصر، فأمر بضرب رقاب

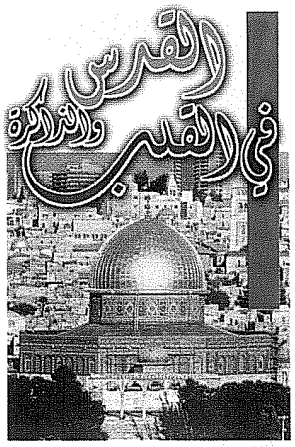

الشيوخ والعجائز والضعاف، أما الشبان والرجال فقد سيقوا ليباعوا في سوق الرقيق».

إن قراءة ما كتب عن الحروب الصليبية، سواء ما كتبه المسلمون أو ما كتبه المسيحيون، يؤكد أن ما دار في بيت المقدس حينذاك، كان مذبحة شنيعة لا مثيل لها إلا المذبحة الصليبية الأخرى التي دارت في الأندلس، ومن الصليبيين من اشترك في المعركتين، مثل دايمبرت الذي عُيِّن بطريقاً للقدس، مكافأة له على ما فعله في الأندلس حيث كان مندوباً بابوياً في إحدى المعارك الكبرى.

التاريخ يعيد نفسه

لقد كان الانتصار أكثر كثيراً مما كان الصليبيون يتمنونه حين حملوا الصليب، وحملوا السلاح، وخرجوا من أرجاء أوروبا قاصدين بيت المقدس... وصار واضحاً أن أولئك الأوروبيين يسعون إلى أهداف تتجاوز كثيراً الهدف الديني المسيحي... يريدون أن يفتحوا المشرق ويحكموه، ويستغلوا خيراته، ويحتكروا تجارته، ويتقاسمه أمراء أوروبا وحكامها، فتكون أقطار الشرق امتداداً لممالكهم وإماراتهم في أوروبا.

وكان النزاع بين هؤلاء الأمراء والحكام الأوروبيين مستمراً، مثلما صار النزاع، فيما بعد هذا بقرون عدة، قائماً بين الدول الاستعمارية التي تصارعت وتحاربت على اقتسام بلاد الشرق وأقطاره في العصر الحديث... وكذلك، كان نزاع وصراع بين الصليبيين القادمين من أوروبا وبين المسيحيين في الشرق، الذين تمثلهم الدولة البيزنطية... كل فريق يريد أن يوسع آفاق مملكته ومناطق نفوذه وسيطرته، وكل فريق يريد مزيداً من أقطار المشرق، يحكمه ويستغله.

وهكذا، تحوّلت الحرب الصليبية إلى حرب استعمارية، كتلك الحروب الاستعمارية في العصر الحديث.

وتحول مجرى الحملات الصليبية التالية، فلم يعد متوجهاً إلى بيت المقدس، وتدعيم النفوذ المسيحي فيه وفي أرجاء فلسطين والشام، وإنما راح يتجه إلى مصر، ويسعى إلى الاستيلاء عليها وإخضاعها للسيطرة الأوروبية والاستغلال الأوروبي.

ونشبت الحرب مراراً بين الصليبيين وبين حكام مصر، مرة في العهد الفاطمي ومرات في العهد الأيوبي، وانتصر الصليبيون وانهزم حكام مصر أحياناً، وانهزم الصليبيون وانتصر حكام مصر أخيراً.

إن دفة الأمور لم تتحول لصالح المسلمين إلا بعد قرن ونصف القرن من الزمان، بعد ظهور ثلاثة رجال عظماء: عماد الدين زنكي، الذي مات شهيداً، فخلفه نور الدين محمود الذي وضع الأساس، فأقام عليه خليفته صلاح الدين الأيوبي صرحاً شامخاً، حيث آمن هؤلاء العظماء الثلاثة بأنه لا سبيل إلى التصدي للصليبيين، ولا سبيل إلى تحرير بلاد المسلمين، إلا إذا اتحد المسلمون جميعاً، وكوّنوا جبهة واحدة تتمثل في دولة واحدة... دولة إسلامية تشمل العراق والشام وفلسطين ومصر والحجاز وحتى ما وراء هذا من بلاد المسلمين جميعاً.

وانتهت الحروب الصليبية التي دامت قرنين من الزمان، فقد بدأت على وجه التحديد سنة ١٠٩٦م، حين خرجوا من أوروبا، ووصلوا إلى الشرق، واستولوا بعد ثلاث سنوات على بيت المقدس، وأقاموا مملكة القدس الصليبية... وانتهت عملياً سنة ١١٨٧م، في معركة حطين التي قضى فيها صلاح الدين على قوة الصليبيين، ثم استرد بيت المقدس.

ولكن فلول الصليبيين في الشام، وما جاءها من إمدادات، ثم قواتهم التي غزت مصر مرتين، أطالت أمد الحرب مئة سنة أخرى إلى أن نزحوا عن الشرق نهائياً سنة ١٢٩١م.

ثم مضت ستة قرون، وأخذ الأوروبيون يعودون إلى الشرق في صورة جديدة، هي صورة الاستعمار الأوروبي.

وعندما شبت الحرب العالمية الأولى، عادوا بجيوش الاحتلال... ودخل الإنكليز بيت المقدس سنة ١٩١٤م، وحمل الإنكليز معهم نذر الغزوة الصهيونية ومقدماتها، وبعد ثلاث سنوات، أصدرت حكومتهم وعد بلفور تتعهد فيه بمساعدة اليهود على إقامة وطن قومي لهم في فلسطين... ثم فتح الإنكليز أبواب فلسطين للهجرة اليهودية... ثم تم الغزو الصهيوني للعالم العربي.

لم تتحول دفة الأمور لصالح المسلمين إلا بعد قرن ونصف القرن عندما أدرك المسلمون أنه لا سبيل إلى تحرير بلادهم إلا باتحادهم!

ودخل الجيش الفرنسي دمشق... وكان أول ما فعله قائد الجيش، أن ذهب إلى قبر صلاح الدين الأيوبي، ووقف أمامه، وقال: «لقد عدنا... اسمعني يا صلاح الدين... لقد عدنا» ■

المراجع:

١ - رجاء جارودي: فلسطين أرض الرسالات الإلهية - ترجمة د.عبدالصبور شاهين، دار التراث - القاهرة - ١٩٨٦م.

٢ - روحي الخطيب: القدس والمدن الفلسطينية تحت الحكم العسكري الإسرائيلي - أمانة القدس - ١٩٨٦م.

٣ - د.حسن ظاظا: القدس، ملحق مع مجلة «الفيصل»، العدد ٢٣٢.

٤ - عبدالحميد الكاتب: القدس، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٤م.

٥ - د.ماجد عرسان الكيلاني: هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م.

٦ - سمير جريس: القدس والمخططات الصهيونية، بيروت، ١٩٨١م.

٧ - خميس البكري: د.رشدي فكار في حوار متواصل حول مشاكل العصر، مكتبة وهبة - القاهرة - ١٩٨٦م.

٨ - فهمي هويدي: مقال: «يوم سقطت القدس»، جريدة الأهرام، عدد يوم ١٩٩٩/٧/٢٠م.

٩ - طارق شديد: مجلة «التضامن الإسلامي» (الحج الآن) - وزارة الحج بمكة المكرمة - أعداد: رجب ١٤١٤هـ، جمادى الأولى ١٤١٨هـ، جمادى الثانية ١٤١٨هـ.

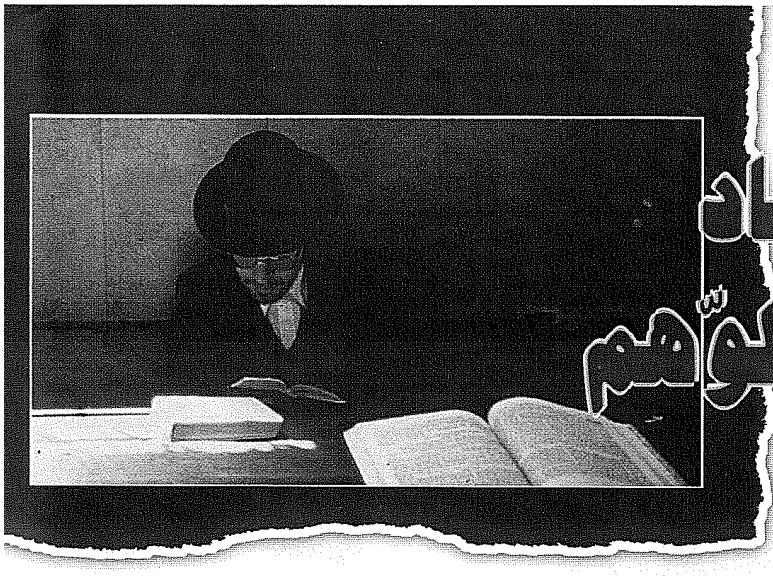

حديث عن إفساد بني إسرائيل وعلوّهم

بقلم: غازي التوبة
كاتب فلسطيني

إن المتأمل في سورة الإسراء يجد أنها تحدّثت عن إفساد بني إسرائيل وعلوهم بعد حديثها عن واقعة الإسراء التي ربطت بين المسجدين الحرام والأقصى. فما الحكمة من الربط بين المسجدين؟

وما الحكمة من الحديث عن إفساد بني إسرائيل وعلوهم في هذا الموضع بالذات؟. ومتى حدث الإفساد والعلو؟

لقد ورث الإسلام الديانات السابقة لذلك قال سبحانه وتعالى: (إن الدين عند الله الإسلام) آل عمران:١٩، (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) آل عمران:٨٥، وقد ادعى كل من النصارى واليهود والمشركين أحقيته بإبراهيم ـ عليه السلام ـ ولكن القرآن الكريم ردّ عليهم جميعاً بأن محمداً وأتباعه هم أولى الناس بإبراهيم، قال سبحانه وتعالى: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا) آل عمران:٦٨، واقتضت هذه الوراثة الربط بين المسجد الحرام وأبرز المقدسات الأخرى وهو المسجد الأقصى فقال سبحانه وتعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) الإسراء:١، وقد اقتضت هذه الوراثة تنبيه الأمة الإسلامية إلى أهمية أرض النبوات، فجاء الحديث عن إفساد بني إسرائيل وعلوهم وسيطرتهم على المسجد الأقصى مرتين ثم انتزاعه منهم، فقال سبحانه وتعالى: (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً. ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً) الإسراء: ٤ ـ ٧، والسؤال الآن: متى حدثت هاتان الواقعتان؟ معظم المفسرين أو كلهم يوضحون أن تلكما الواقعتين حدثتا في الماضي قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن الأرجح أن أولى الواقعتين هو ما شاهدناه من دخول اليهود إلى المسجد الأقصى عام ١٩٦٧م، وهذا ما سنوضحه في السطور التالية:

ذكر الطبري في تفسيره روايات عدة عن إفساد بني إسرائيل وعن المسلَّطين عليهم، فقال في رواية أخرى: كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرتين: قَتْل زكريا ويحيى بن زكريا، سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكاً من ملوك فارس من قَتْل زكريا، وسلط عليهم بختنصّر من قَتْل يحيى، وقال في رواية ثالثة: إن إفسادهم الأول كان قَتْل أشعيا نبي الله لأنّ زكريا مات موتاً ولم يقتل، أما إفسادهم الثاني فلا خلاف عليه فقد كان قَتْل يحيى بن زكريا عليهما السلام، وقال في رواية رابعة: كان الذي سلّط عليهم في المرة الأولى جالوت وهو من أهل الجزيرة، حتى بعث الله طالوت ومعه داود فقتله داود ـ عليه السلام ـ وقال في رواية خامسة: بعث الله عليهم في المرة الأولى سنحاريب من أهل أثور ونينوى وقيل إنها الموصل. وقد ذكر القرطبي وابن كثير في تفسيريهما عن إفساد بني إسرائيل قريباً مما ذكره الطبري مع تفصيل أقل في الحديث عن الإفسادين وعن المسلطين عليهم، لكننا حتى ندرك بُعدْ المفسرين القدماء عن الصواب نقارنه بما ورد في سورة الإسراء فنجد أن القرآن الكريم قد وصف بني إسرائيل بصفتين متلازمتين هما: الإفساد والعلو، وهو ما لم يحدث في كل الوقائع التي أشار إليها المفسرون القدماء، فهم قد تحدثوا عن إفساد ولم يتحدثوا عن علو، وهذه أولى المفارقات، أما المفارقة الثانية فإن القرآن قد وصف الناس الذين سيدخلون المسجد وسيدمرون ما بناه بنو إسرائيل بأنهم «عباد لنا»، والأرجح أنهم عباد مؤمنون خالصون لله وهو ما لم يتحقق في جالوت أو سنحاريب أو بختنصر... إلخ، إن عدم تطابق المواصفات التي طرحها المفسرون القدماء لدخول بني إسرائيل المسجد الأقصى مع المواصفات التي طرحها القرآن الكريم تجعلنا نرجّح أن المرة الأولى تنطبق على احتلالهم الحالي للأقصى الذي وقع في حرب حزيران عام ١٩٦٧م وذلك لأن العلو اليهودي الذي قالت عنه الآية: (ولتعلن علواً كبيراً)، فأكدت بالمفعول المطلق «علواً» ثم وصفته بالصفة «كبيراً» نجد مصداقيته في العصر الحالي، فدولة بني إسرائيل كلمتها عالية، وأوامرها مستجابة، وودُّها مطلوب، وجانبها مهاب، وانتصاراتها متتالية، وقوتها أكبر من حجمها فهي الدولة النووية السادسة في العالم... إلخ، وقد ميَّز القرآن العلو الثاني بأن بني إسرائيل سيصحبون فيه أكثر نفيراً، أي أكثر «عدداً» وهو لم يتحقق في كل مرات الإفساد الثاني التي تحدث عنها المفسرون فهم لم يصبحوا أكثر عدداً من الأقوام التي قاتلوها، وإنما سيتحقق في العلو الثاني الذي سيأتي في قابل الأيام بعد أن يدخل المؤمنون المسجد الأقصى ويستعيدوه من أيدي بني إسرائيل وينهوا إفسادهم الأول المتلازم مع علوهم والذي وقع إثر نكسة حزيران.

والسؤال الآن: ما الحكمة من حديث القرآن الكريم عن إفساد بني إسرائيل وعلوهم في السورة التي ربطت بين المسجدين الحرام والأقصى؟

الحكمة من ذلك تنبيه الأمة الإسلامية حاملة ميراث النبوات إلى أهمية أرض النبوات في حياتها القابلة، لذلك كانت الحروب مع إسرائيل في الحاضر وكانت الحروب الصليبية في الماضي أخطر ما واجه الأمة الإسلامية في حاضرها وماضيها، وكان مدار الحربين المسجد الأقصى في الحاضر أو الأرض المقدّسة المحيطة بالمسجد الأقصى في الماضي ■

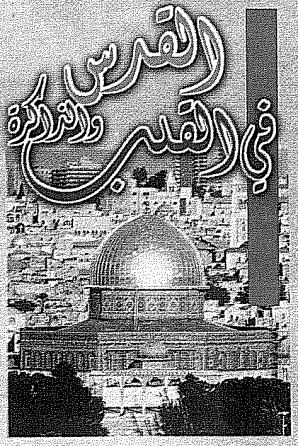

القدس في القلب والذاكرة

رأيت في ما يرى النائم، أن القيم قد اجتمعت، كانت ذكرى زمن ألفته الحنايا الحرة، وكان الوقت ضحى، لم يشرب من ليل الأرض المتألمة من وجع الجرح النازف منذ سنين، يستتر بالتعري الذي أصاب كل شيء... وتوالى الخطباء على المنصة، وجاء دور المفارقات فقالت: تتبدل الأشياء، وتتماهى الصور المتناقضة، ويقبض العدل على جمرة، لابساً قناع القهر.

بقلم: محمد حمدان السيد
كاتب سوري

لن تقهر

تتفتح الأزاهير، ثم تغمض جفنيها على يبس، تنتقل الطيور من برد إلى دفء، ويمتلئ الينبوع ويثمل، ثم يعود شحيحاً بطيء الحركة، يهمس في أذن الصخر كلمات العجز.

تتكامل الرجولة ثم تندثر، وتغيب خلف غياهب السنين، فترتطم بحقيقة التحول في كل الخلائق، إذ لا يبقى حال على حاله، ولا يبقى مكان على ما كان.

وتكون الغنيمة في الدرس والعبرة، قلباً يشتعل بالحضور الواعي، يرتفع موجه بفعل التأثر المتقد بجمر الموعظة، الذي لا يخبو له أوار، ولا يتعكر ماء النصيحة، المتفلت من بين يديه أبداً، حاملاً لافتة باهرة تقول: «الدين النصيحة»... فتتفتح عندئذٍ الأزهار الندية على شواطئ النفس المطمئنة، لترنو بعينين مخضلتين بدمعتين نادمتين، ونظرتين ضارعتين راجيتين، وتُستنفر كل الأحاسيس الماجدة، لتغطي كل التضاريس التي توعرت جراء لحظة غفلة، ولتستريح الآهة على كتف ينبوع الحنين إلى الفطرة... فيتزواج عندئذٍ قمر وليل، صرحاء وجبهة عالية تبتغي حديقة غناء، تعبق فيها رياحين التوبة والعودة التي هيجتها الأجوبة العامرة بصدى: (ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله).

إن من أنكروا كل هذه العظات، لابد أنهم فعلوها في غياب وفي يأس، كونهم جاؤوا في عصر يورث الوجع المرّ، يفتح الأبواب مشرعة للمريبين ويغلق كل المنافذ في وجه ذوي الصلب الإيماني المتين، ويقتل كلمات الأنبياء، ويصلبها على بوابات المدن، كاتباً على شواهد قبورها: قتلت لأنها فلتات إرهاب...!.

ويجيء الدَّعي منفرداً عن السرب، منكراً كل المواعظ، تاركاً غبار الجمع خلف فرسه، عائذاً بالجلاد، مستقوياً به على الضحية، ابنة جلدته وصنو جذوره، فاشتعل الصبر شيباً، وأرسل الدعي «فاكساً» إلى كل مطارات الهزيمة: أن أفيضوا إليَّ بني العرب، فقد وضعت يدي على كنز من سلام!!.

ويأتي دورها... إنها الثانية وكمن يستيقظ من حفرة قبر عتيق، ترتطم جبهة الحقيقة بحافتي الحفرة تترنح،

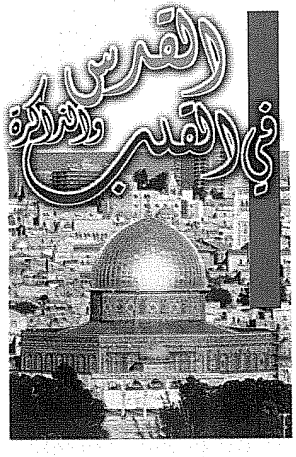

ثم تشد القامة، مسكونة بفرح الأحلام، وتنتصب فوق المنصة، مبحرة في أعين الحاضرين جميعاً باحثة عن مكان آمن، تزف فيه البشرى بعودة العذوبة الشقيقة للحظة عيش بشرية... ويُعييها البحث، فلا تجد إلا صدى الخوف والموت وبقايا متعفنة للإنسان... فتتساءل بصوت مقبل من قاع القرون:

أين فرجة الرؤيا الآمنة؟

ويتردد صدى السؤال في السهوب الممتدة من عند قدمي المنصة وحتى آخر صدر قُتلت فيه الشمس، فأصبح ندبة متجوفة، يلتئم فيها شمل الأسئلة جميعاً، ثم لا يجد السؤال جواباً.

وتعود الحقيقة للسؤال، رملاً تذره العاصفة في وجه الجبال:

- لماذا اصفرت الجباه السمراء، وفقد الأطفال البراءة، وعجمت اللغة أعوادها، فتكسرت كل الحروف الناصعة، وتحولت حطباً تأكلها نار جنون النازحين إلى ضفاف الغربة؟

ويأتي الجواب دافقاً بوهج الشماتة، قائلاً:

اسألوا دماء الشهداء المطلولة، التي اتهمت براءتها بلكنة نقيق الواقعية، لقد تعبت السرايا، فكان النوم... بعد النوم... حداء المارقين من فتحات الحياة الملتهبة، إلى حضن الأسرة المترجلة عن صهوات الميادين.

ولكن ما الذي جعل القطا يدخل حظيرة المصائد من دون حذر؟

أين منه جنون الجناحين المتحفزين أبداً إلى الأعالي؟

كيف تكبّلت الأقدام الحرة بخداع ردّة المواقع العاجزة عن اكتشاف سجن الحقيقة؟

إنه مكر الليل والنهار، وانتحار فجر الصبر فوق صخور الأنا المتعملقة في صدور النياشين العتيقة، والتحاق فتيان القوم بركب الهائمين بحثاً عن نسيان، يُدخلهم دار الظالمين، بأمان مصنوع من غدر، يوهم كل داخل أنه اكتشف الرؤيا الموصولة بالأفق العربي المبين، المتوسدة لأفق القدس.

تلك القدس تعني؟ تلك التي ارتسمت جوهرة في سورة الإسراء.

نعم تلك القدس، هي... هي... إلا كلها.

نار قلب الحقيقة تلتهم حطب الصمت، ولكنه حطب رطب، يطفئ نار عين الحاسدين، فالعشيرة كلها نامت على هدهدات بني قريظة، وترجّل الفارس منذ الزمن الذي نادى فيه منادي القوم، أن أفيضوا علينا من أسرار البقاء فوق الكراسي، كي نلعب بحروف «الاستراتيجيات».

ويأتي دورها... إنها الثالثة.

حينما غرسوني ها هنا... انتبهت إلى أنهم وضعوني على حافة السقوط، لم أجد سوى دموعي ومواقد حزني، تؤنس وحشتي، في تلك البقاع الغريبة، ذلك أنا... هل عرفتني؟ إنني الحياء.... مكاني فيهم قلق للغاية فوق صخرة الانهيار التي تتحرك نحو الهاوية القريبة، أراهم يساعدون في تحريكها، بسواعدهم المريبة، لقد اقتلعوا كل جذوري أولاً... وراحوا يساومون الوهم على انتحاري بين جباههم الخفيضة، وتغمرني أنامل حنانهم الحاقد، إذا أفضيت بأسرار العناوين التي يتصلون بها، لقد هرب التاريخ من بين أصابعهم، وتحوّل الحلم في خيالهم إلى ذكريات مؤرقة، فحاولوا التخلص منه بالدخول بأدب الوقت الصهيوني، علّهم يجدون ملاذاً من ملاحقتي المذلة ... فينادون من قاع الهوة:

كيف تستريح على ظهر صهوة...!

تمثلت الرجولة مرة في أطفال، من شرفات الحنين أطلّت، فاسترعت انتباه هؤلاء الذين إلى قاع الهوة وصلوا، سالكين وعر الثوار فقالوا:

لقد آذن النهار بالأفول... فَعَلامَ أنتم تطلّون من شرفات الحنين؟.

إننا لم نتعب بعد، وفي بقية النهار متسع للحلم، فلماذا تريدنا أن ننتكس كخيل عسكر مهزومين؟!

ألم تعلموا بعد...؟

ماذا في جعبة العويل، يهديه لجسد رفض الرضوخ للوجع...؟

لقد مات الحياء على مشارف الليل... ولم يوص لأحد.

ولكن مازالت جنباتنا تحتفظ بأشواط، تكتمل فيها الرجولة، فلا تقتلوا التمرد بفعل الجبن، وتوقفوا زحف الشهادة. وتعالت أصوات من جنبات المكان، كان أحدها يقول:

عِرْقُ التين يلد وينمو ولو في جنب صخرة... لو منعتم الشهادة عني، فلن يجديكم جبني ويجيء صوت أنثوي يهدر:

أسكنتم الوجع في صدري، ولم ير جنيني موعود أيامكم... إلى أين أنتم مخرجيّ؟

وتصمت الأرض والسماء، ويقف المارد المكبّل على بعد ميل... وعيناه تنطقان بحروف جميلة: مدينتنا «قدس لن تقهر» فالنصر معدنها والعنب ■

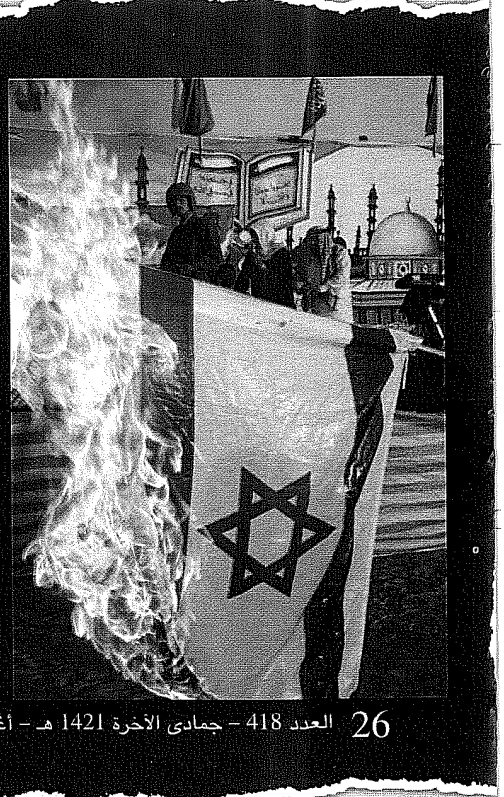

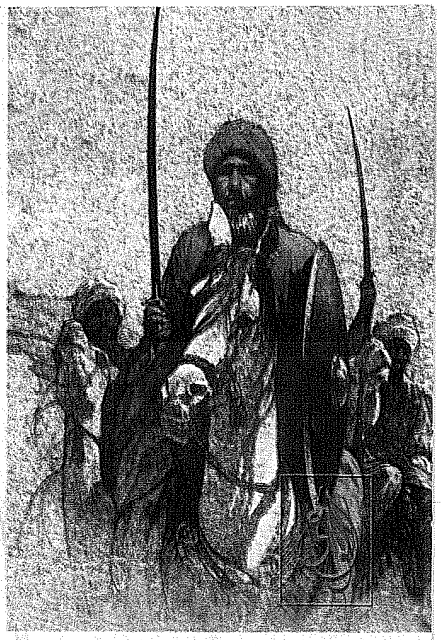

إياكَ أن تصدقي معارك الحناجر

شعر: هلال الشارع
كاتب أردني

يا قدسُ
يا مدينة البشائرْ
يا قلب كل صابر، وروح كل ثائر:
هذا خطابُ لاجئ،
بروحه يُقامرْ
من بعدما أفنت جميع ما لديه
لعبةُ الخسائرْ
تلك التي يديرها التجار في المدائن الضرائر

* * *

يا قدسُ يا أُطروحة
ترغو بها الأشداق في المنابرْ
إياكِ أن تصدقي معارك الحناجرْ
إياكَ أن تُصدِّقي حكاية النفير
فالحلمُ،
ـ حتى الحلمُ ـ في أوطاننا عسيرْ
والحرُّ فينا، لم يزل لعبدنا أجيرْ
وكلُّنا في موكب الكبائرْ
نسعى إلى السَّعيرْ

* * *

يا قدسُ
يا مدينة البشائرْ:
إياكِ أن تستمعي
لنخوة العشائرْ
فكل ما تملكه:
هراوة... وناقة عقير
يوقدها ـ على الطوى ـ محارب ضرير!
إياكِ أنْ تنتظري إفاقة الضمائرْ
فهذه القبائلُ التي تكالبتْ على النَّذير
يَنقُصها الضميرْ
يا قدسُ
يا إباءنا الأسيرْ
هذا خطابُ لاجئٍ ممتهن... كسيرْ
دارت عليه في النَّوى الدَّوائرْ
وضاعَ دَرْبُه،...
فضيَّعَ المصيرْ
هذا خطاب لاجئٍ
ضاقت على خطوته المعابر
وأوصدت بوجهه أفواهها المقابرْ
فجدَّ في المسيرْ
حتى تجاوزتْ خطاه حافة الشفير،
إياكِ أن تفكري بعودة المسافر
فقد قضتْ مدائن التخديرْ
ألا يُطيلَ بينها عصفورك المهاجرْ
جناحهُ القصيرْ

* * *

يا قدسُ
يا إباءَنا الأسير:
لا تسألي التحريرْ
لا تكثري الدعاءَ في الشعائرْ
ولتهنئي بأسرك الصغيرْ
فهذه العواصمُ الحرائرْ
تقتاتُ من أثدائها
في أسْرِها الكبيرْ
وتصْطلي حرارة الهجيرْ
ليستظل في قصورها،
ويحتمي بها الخفير
وعندما يأوي إلى فراشه
يطلبها لخدع العشيرْ
فَتَسْتَحِمّ في دموعها،
أمام سادة المخافرْ
ليمنحوها رخصة المرور للسريرْ
يا قدسُ لا تستنجدي
لا تطلبي النصير
فهذه عواصم القصدير
في الرمق الأخير،
وهذه مدائن الصغائر
تكتب تاريخ الفضاء
منْ على البعير
وترتضي واقعها المرير
في الزمن الحقير!!

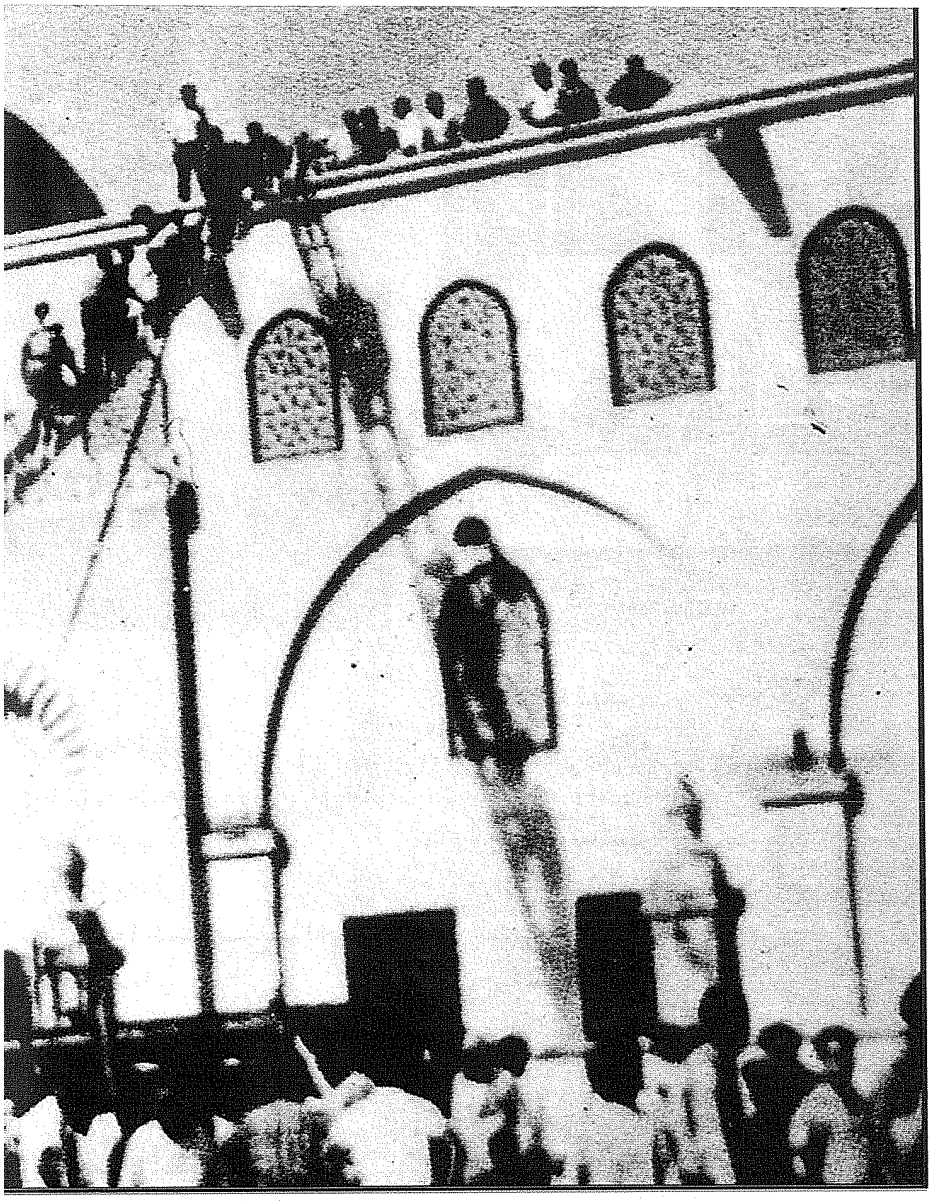

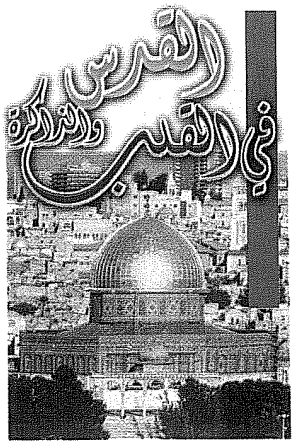

(سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)الإسراء:١.

في يوم الثامن من شهر جمادى الآخرة العام ١٤٢١هـ تمر الذكرى الحزينة الواحدة والثلاثون على حريق المسجد الأقصى، وهو أسير مكبل في يد الأعداء.

٣١ سنة على حريق المسجد الأقصى

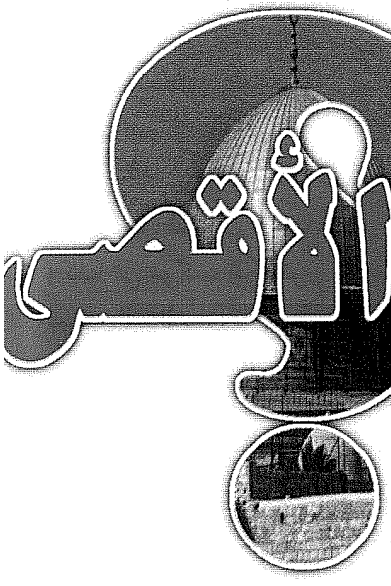

أ لا من نجدة له

إسرائيل تستهدف الاستيلاء الكامل على المسجد الأقصى بحجة البحث عن هيكل سليمان

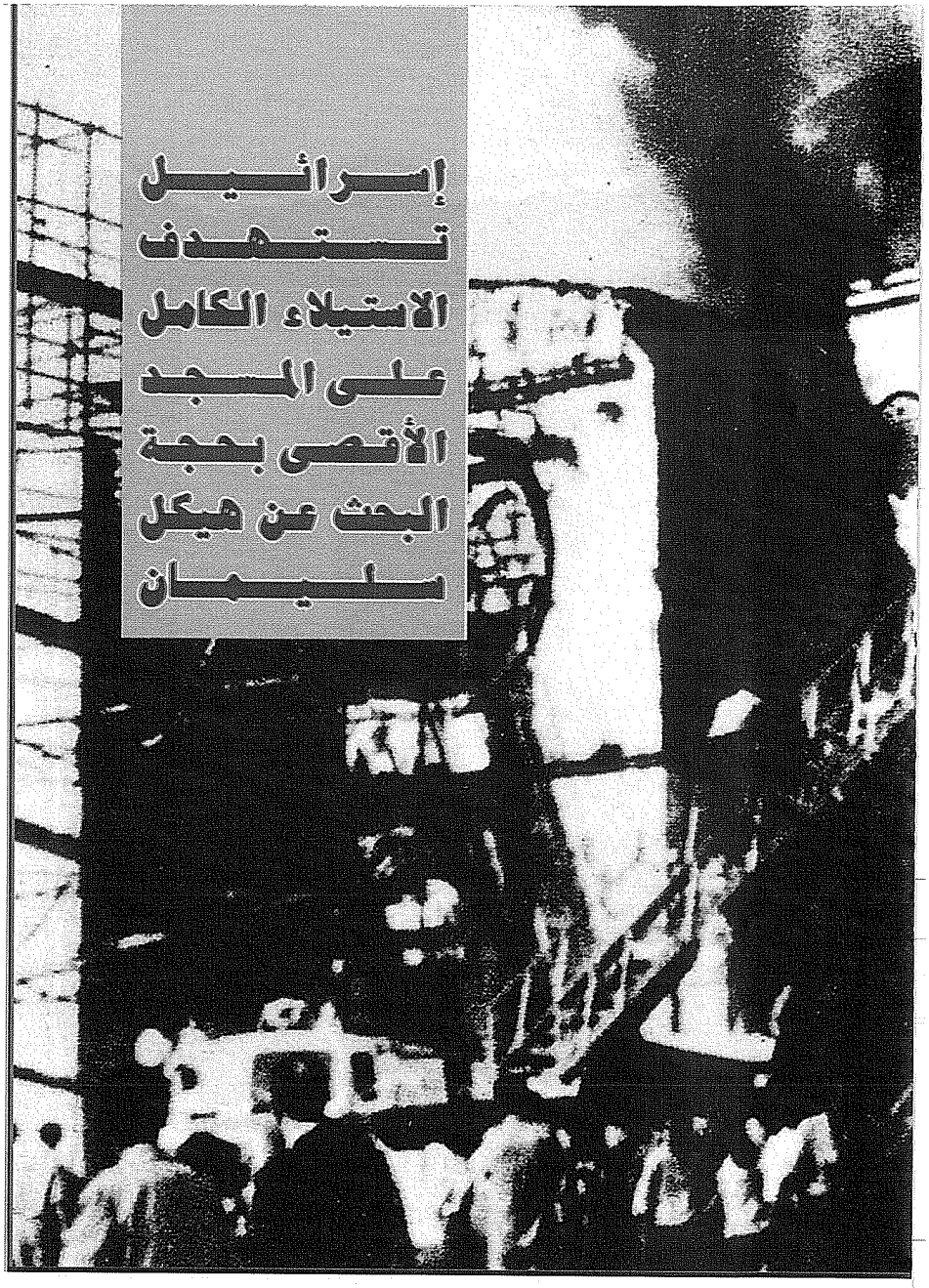

بقلم: الخضري علي السيد
كاتب مصري

يوم الخميس في الثامن من جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ الموافق ٢١ أغسطس ١٩٦٩م، أحرقت إسرائيل المسجد الأقصى، وقد دمر الحريق القسم الجنوبي الشرقي منه، كما أتى على المنبر، وقد ادعت العصابات الصهيونية أن ماساً كهربائياً سبب الحادث، ثم تراجعت وزعمت أن شاباً إسرائيلياً أوقد النار في المسجد، وبهذه المؤامرة الصهيونية اتضحت نوايا العدوان في محو الآثار الإسلامية والعدوان على المقدسات الدينية الإسلامية لتقيم على أنقاضها هيكل سليمان.

ترى كيف تمت المؤامرة الكبرى ضد الإسلام والمدى الذي بلغته الصهيونية في الاستخفاف بالمسلمين؟ فالعدوان على المقدسات وقبل الحريق بسنوات عدة أعلن مجرم الحرب «دافيد بن غوريون» بكل وقاحة أنه «لا معنى لإسرائيل من دون القدس ولا معنى للقدس من دون المسجد الأقصى»، من أجل ذلك لم يكن مفاجأة ما حدث من إقدام إسرائيل على جريمة «حرق المسجد الأقصى» أولى القبلتين وثالث الحرمين... فإن إسرائيل تستهدف من قديم الزمان الاستيلاء الكامل على المسجد الأقصى بحجة البحث عن هيكل سليمان، حتى دفعها ذلك إلى إجراء كثير من الحفريات حول المسجد وفي مساحات واسعة محيطة به امتدت إلى آلاف الأمتار، ومن المؤسف أن إشعال النار في أولى القبلتين وثالث الحرمين لم يكن مفاجأة، وأن العرب والمسلمين لم يؤخذوا على حين غرة إذ أقدمت إسرائيل على حرق المسجد الأقصى، ولم يؤخذوا كذلك على حين غرة إذا ما فعلت إسرائيل - لا قدر الله - بمقدساتهم أكثر من ذلك، فإن نوايا الصهيونية الأثيمة تجاه المقدسات في المدينة المقدسة «القدس» وضد المسجد الأقصى بالذات ومخططهم لإزالته من الوجود وإقامة هيكل سليمان على أنقاضه أمر معلوم ومكتوب ومطبوع قبل أن يكون لإسرائيل وجود في أرض العرب والمسلمين. وما اعتقد أن ذلك كان مجهولاً أو خافياً على أحد منهم هذه حقيقة، وهذه المستندات تؤيدها وتثبتها:

١ - جاء في دائرة المعارف اليهودية أنهم يجمعون أمرهم بنية الزحف على القدس وقهر العرب وإعادة العبادة إلى الهيكل «أي إلى المسجد الأقصى» وإقامة ملكهم هناك.

٢ - جاء في دائرة المعارف البريطانية أن اليهود يتطلعون إلى توسع إسرائيل واستعادة الدولة اليهودية وإعادة بناء الهيكل.

٣ - طلب اليهود في أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين من الحكومة البريطانية أن تسلمهم الحرم الشريف في مدينة القدس بحجة أنه ملك لهم.

٤ - في سنة ١٩١٨م روى «رونالد ستورس» أول حاكم بريطاني للقدس بعد الحرب العالمية الأولى أنه أقام مأدبة جمع فيها بين زعماء العرب في فلسطين ولجنة من كبار الصهاينة قدمت لتعمل على تطبيق وعد بلفور ووقف وايزمان وألقى خطبة بعد العشاء قال فيها: «إن اليهود لا يأتون إلى فلسطين ولكنهم يعودون... وإنه لمن الخبث والخيانة أن يستمع أحد إلى هؤلاء الذين يرددون أن لليهود أي أطماع سياسية في فلسطين... وكل ما يطمع فيه اليهود هو مكان يعيشون فيه بجوار الفلسطينيين»... ثم قدم

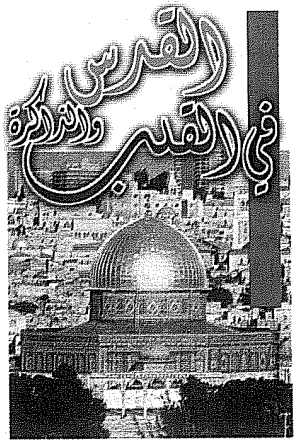

مصحفاً للعرب في صندوق من الخشب المحلى بالذهب... «خبث وخيانة».

٥ ـ في سنة ١٩٢٩م، أعلن الزعيم اليهودي «جلوزتز» أن المسجد الأقصى القائم على قدس الأقداس ملك لهم.

٦ ـ قال الوزير اليهودي البريطاني «اللورد متشت» إن اليوم الذي سيُعاد فيه بناء الهيكل أصبح قريباً جداً، وإنني أكرِّس ما بقي من حياتي لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى.

وخرجت أحلام الصهيونية إلى حيز التنفيذ بعد حرب يونيو ١٩٦٧م، وعمدت إسرائيل إلى تدعيم وجودها في القدس ـ متحدية بذلك قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة، وسعت منذ اللحظة الأولى لوضع أقدامها، في المدينة المقدسة، إلى إماتة المقدسات الإسلامية والاستخفاف بالرأي العام العربي والإسلامي، وكان من مظاهر هذا الاستخفاف وهذه الإهانة ما يلي:

ـ استباحة حرمة المسجد الأقصى بالسماح للإسرائيليين والإسرائيليات بدخوله في ملابس فاضحة وفي أوضاع مستهجنة كأنهم في أماكن الدعارة والفجور.

ـ هدم جميع الأبنية الأثرية الملاصقة للمسجد الأقصى.

ـ القيام بحفريات حول المسجد تلحق أضراراً جسيمة بمبناه بحثاً عن آثار عبرانية تكشف عن هيكل سليمان.

ـ تصريح أدلى به وزير الأديان الإسرائيلي في مؤتمر ديني عقد في مدينة القدس عقب الاحتلال قال فيه: «أرض الحرم ملك يهودي بحق الاحتلال وبحق شراء أجدادهم لها منذ ألفي سنة».

ـ إنشاء صندوق لجمع الأموال من أجل إعادة بناء الهيكل.

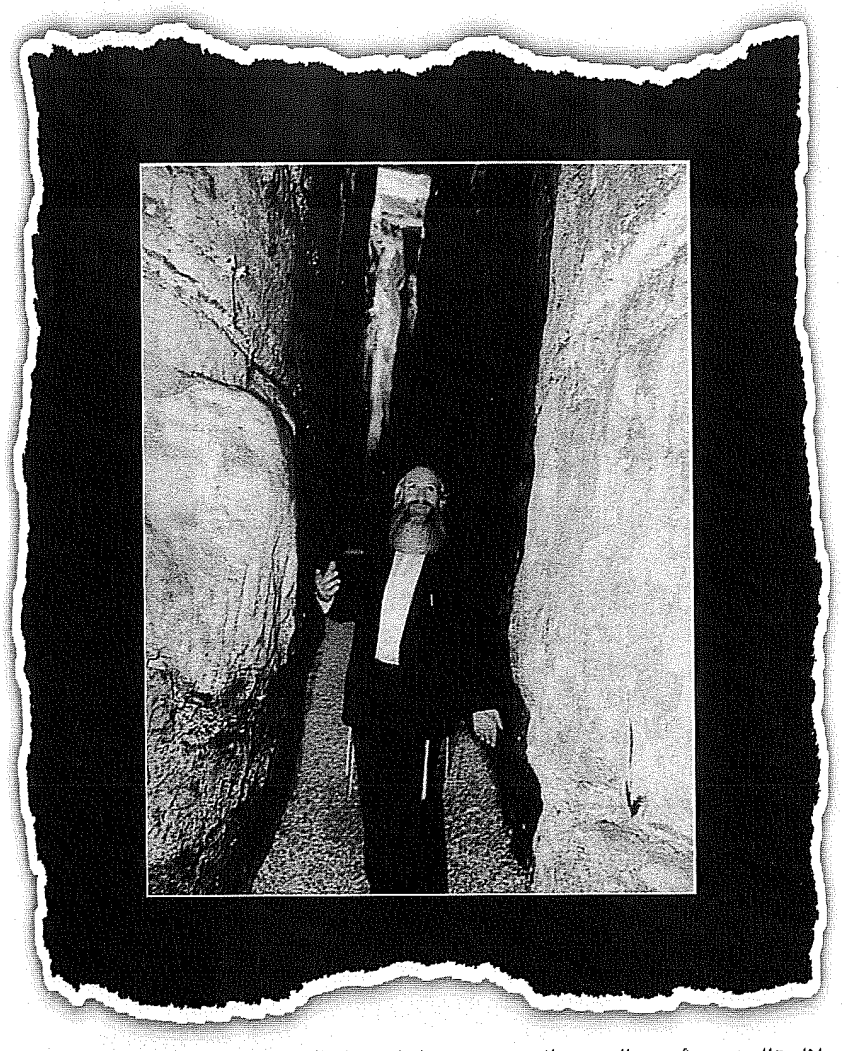

الحفريات حول المسجد تلحق أضراراً جسيمة بمبناه بحثاً عن آثار عبرانية تكشف عن هيكل سليمان

ـ وثيقة قدمتها لجنة إنقاذ القدس لمجلس الجامعة العربية عن نوايا إسرائيل تجاه المسجد الأقصى، وهذه الوثيقة هي خطاب للماسوني الأميركي «جريدي ترى» قال فيه: إن هيكل سليمان كان المحفل الماسوني الأصل، وإن سليمان كان رئيس المحفل، وإن مسجد عمر واقع على الهيكل هو والصخرة التي قدم عليها أبونا إبراهيم ولده إسماعيل قرباناً لله... وأنني كماسوني أرأس جماعة في أميركا تطمع أن ترى هيكل سليمان وقد أعيد بناؤه، وأن هذه الجماعة تقوم بجمع مئة مليون دولار لهذا الغرض.

ـ مهدت الصحف الإسرائيلية لعملية إزالة المسجد الأقصى من الوجود حيث كان شعارها يجب الاستيلاء بسرعة على

المقدّسات الإسلامية ووضعها تحت سلطة إسرائيل مهما كان الثمن.

والثمن في نظر إسرائيل قليل لا يكلفها شيئاً، فهو استنكار من مجلس الأمن.

ثم ماذا بعد وقوع الحادث المأساوي المفجع الذي أصاب المسلمين في أقدس مقدساتهم حين أقدم الصهاينة على إحراق المسجد الأقصى، فالكثير من الصحف والمجلات العربية والإسلامية خرجت صفحاتها مجللة بالسواد بعد الحادث، وردود الفعل السيئة في البيانات والتصريحات والنداءات والبرقيات المعبّرة عن مبلغ الألم الذي عصر النفوس، وعن شدة اللهب الذي يغلي في الصدور، وعن الدم الذي نزفته القلوب أسى وحسرة، ولكن سبحان الله انتهى الدور عند كلمات التنديد والاستنكار، ومضى ثلاثة وثلاثون سنة ومازالت التصريحات والنداءات والبرقيات، وهنا نقول نعم يا أمة الإسلام!! ماذا تنتظرون؟ وماذا أنتم فاعلون؟ هل بقي لكم من عذر، أو شبه عذر بعد كل هذا البغي الإجرامي، وبعد أن بلغ السيل الزبى. لا... يا إخواننا المسلمين إنه من المحال حقاً، أن يقف إلى جانبكم مناصر ومؤيد ممن آلوا على أنفسهم أن يناوئوا الإسلام، وأن يحاربوا المسلمين، من المحال جداً أن يقولوا لعدوكم الباغي إسرائيل كفى، كفى ظلماً وعدواناً، يا إسرائيل، من المحال... من المحال أن يقولوا لطفلهم المدلل قولاً كهذا حتى ولو كان مجرد كلام، حتى ولو حبراً على ورق، ولو أحرق المسجد الأقصى إذاً ما العمل؟ ما العمل يا إخواننا في دين الله؟ وماذا تنتظرون؟ ما العمل بعد كل هذا الإثم الذي يرتكبه معكم عدو غادر ماكر، لم تعرف له أي صفة من صفات الشرف في كل تاريخه الأسود الطويل، وصدق الله العظيم: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) المائدة:٨٢. والحقيقة أن حريق المسجد الأقصى لن يكون الأخير!.

فالحقيقة التي لا مهرب منها هي أن حرب الصهيونية ضدنا هي حرب دينية يهودية حدد اليهود مضمونها، وهم اليوم يكشفون عن هذا المضمون الذي ما كان يخفى إلا على الأغبياء والواهمين.

إن حربنا مع إسرائيل هي حرب طبقية

«بن غوريون»: «لا معنى لإسرائيل من دون القدس ولا معنى للقدس من دون المسجد الأقصى»

استعمارية، كما أنها حرب دينية، ليس لأننا نحن نريدها حرباً دينية، ولكن لأن الذين هيأوا للحرب وجمعوا اليهود من كل مكان في الأرض، إنما فعلوا ذلك مدفوعين بالحقد الديني الموروث، وما نجحوا في أول خطواتهم إلا بتحريك الغرائز الحيوانية للحقد الطائفي الذي حملوه منذ ألفي عام.

إنها حرب دينية لانملك نحن تغيير أسبابها، لأننا لم نبدأها ولم نخطط لها ولم نحدد غاياتها، إننا لا نملك غير العمل لتغيير نتائجها التي يتصورها اليهود. وبعد ذلك، أما يزال في العرب والمسلمين من يعلق أملاً على الضمير العالمي والهيئات الدولية ومؤتمرات جنيف ومدريد وموسكو وغيرها والحلول السلمية؟

أما يزال فيهم من يعتقد أن هذه الحرب من أجل فلسطين؟ أو من أجل الشرق الأوسط... أم أنها من أجل القضاء على الإسلام وحرق المسلمين ومسجدهم الأقصى.

هل يحتاج المسلمون بعد ألسنة النار التي التهمت المسجد الأقصى إلى من يوقد حميتهم، ويشعل إرادتهم للوقوف صفاً واحداً وجبهة واحدة في وجه العدوان الصهيوني؟ عندما يشعر المسلمون بأنه لا سبيل لإنقاذهم من ورطاتهم المتعددة، سواء في فلسطين أو غيرها، إلا بالعودة إلى الله - فإذا عادوا إليه وحققوا تعاليمه وأوامره فإنه سبحانه - لا يمكن أن يتخلى عنهم كما قال في كتابه الكريم: (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) فإذا ما سلكنا هذا المسلك وأحسنا البناء، أمكننا حينئذ أن نسير على الدرب التي توصلنا إلى إنقاذ المدينة المقدسة «القدس» ■

المراجع:

١ - بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ - د.عبدالحليم يونس.
٢ - مجلة الأزهر شهر شعبان سنة ١٤٠٨هـ.
٣ - مجلة الأمة القطرية المتوقفة - العدد ٣٦ .
٤ - مجلة الوعي الإسلامي - العدد ٥٥ .
٥ - مجلة الوعي الإسلامي - العدد ٥٧ .

قالوا عن القدس والأقصى

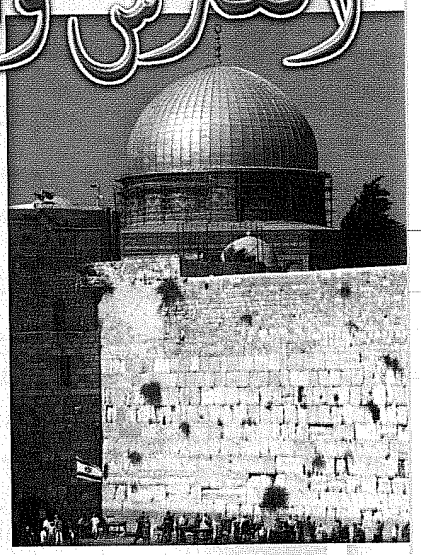

• «يا إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك، ولم يبق إلا الإخلاد إليك والاعتصام بحبلك والاعتماد على فضلك أنت حسبي ونعم الوكيل».

صلاح الدين الأيوبي

• «إن ما تحتاجه القدس اليوم، هو موقف موحد واضح وحاسم للحفاظ على المقدسات، ترتاح إليه قلوب دعاة السلام في كل مكان، موقف يعلن أن القدس عربية إسلامية محتلة، وأن الأمة الإسلامية والعربية مسؤولة عن تحريرها، وأن تحريرها واجب مقدس لا يجوز التفريط فيه أو التخاذل عنه، وأنه لا سلام إلا بعودة فلسطين بمقدساتها إلى أمتها العربية الإسلامية، ما تحتاجه القدس هو إعداد الأمة روحياً وعلمياً وحضارياً، وعلينا تفعيل القرارات الدولية وإبطال كل الإجراءات التعسفية والالتزام الجاد بتدعيم صمود الأهل في فلسطين وفي القدس، وبتدعيم وتكثيف الجهود الدولية والحكومية والشعبية للمحافظة على الهوية الإسلامية وكافة الشواهد الحضارية للتراث العربي الإسلامي في فلسطين المحتلة وفي القدس».

يوسف جاسم الحجي
رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

• «القدس وفلسطين أرض الإسراء والمعراج. الأرض التي بذل فيها المسلمون دماءهم وتضحياتهم وملايين الشهداء منذ فجر الإسلام هي أرض عزيزة على كل مسلم وإن وعد الله محقق بتحرير فلسطين لا محالة».

عبدالله العلي المطوع
رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي

• «إننا ننادي سائر المسلمين كلاً من مكانه لأن يدفع الأذى عن إخوانه المرابطين على أرض الإسراء والمعراج، بل وإننا نحاول أن نعمل لإعادة بيت المقدس وأكناف بيت المقدس إلى ضمير الأمة وذاكرتها بعد أن حاول اليهود مسحه من التاريخ، ولكن أنى لهم هذا؟! إن أمة الإسلام لا تموت وإن قضية القدس والمسجد الأقصى كانت ولا تزال وستبقى. إن شاء الله. حية خالدة في ذاكرتها وفي ضميرها وفي كل جوانب حياتها».

طارق سامي سلطان العيسى
رئيس جمعية إحياء التراث الإسلامي

• «ليست القدس كغيرها من المدن والبلاد، إن لها تاريخاً مع رسل الله إلى خلقه وأنبيائه إلى بني البشر، والمسلمون الذين لا يفرقون بين أحد من رسل الله عليهم وحدهم أن يحافظوا على هذه المدينة لأنهم هم حملة الدين الحق الذي جاءهم من الله والذي حافظ الله عليه من التبديل والتحريف والتغيير، إن العمل المدفوع بالأمل والعمل القائم على أساس إعطاء كل ذي حق حقه من حاكم أو محكوم هما سببان عظيمان في نهضة الأمة واستعادة مقدساتها».

الشيخ د. جاسم مهلهل الياسين
أمين عام اللجان الخيرية. جمعية الإصلاح الاجتماعي

• «بالنسبة لأمة الإسلام، فإن بيت المقدس هي أكثر من مدينة وأكثر من عاصمة روحية ومعلم تاريخي، إنها رمز تبرز فيها كل حقائق الإسلام وخصائصه وتلتقي عندها أسباب وحدة المسلمين وعزتهم»

الأستاذ كامل الشريف
أمين عام المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة

• «إن قضية فلسطين لن تموت لأنها عقيدة في قلب كل مسلم فهل سمعتم أو قرأتم عن عقيدة يحملها في قلبه ألف مليون يمكن أن تموت؟ إن الناس يموتون في سبيل العقيدة وما ماتت عقيدة من أجل حياة إنسان».

الشيخ علي الطنطاوي

• «من الجنون أن نحسب قضية فلسطين نزاعاً بين العرب واليهود الذين يطلبون الإقامة بعد طرد أهلها، القضية أساساً، هل بقي للعرب ما يقدمونه في هذه الدنيا؟! أبقيت لهم رسالة يستحقون العيش لها؟!

الشيخ محمد الغزالي

• «إنني أرحب بكل عمل يخدم قضية القدس والمسجد الأقصى ويوجه أمة الإسلام إلى خطورة ما يعد لها، وإيقاظ الأمة لأداء واجبها لإنقاذ القدس الشريف والأقصى المبارك».

الشيخ يوسف القرضاوي

• «لقد آن الأوان لتجميع الأمة من شرق العالم وغربه من شمال العالم إلى جنوبه بغض النظر عن الجنسيات واللغات والثقافات. على الحمية الدينية لنصرة المسجد الأقصى الأسير».

الشيخ أبو الحسن الندوي

• «نقول وننادي كل المسلمين في العالم بأن القدس والأقصى في خطر (اللهم قد بلغنا اللهم فاشهد)».

الشيخ حامد البيتاوي
خطيب المسجد الأقصى المبارك
رئيس رابطة علماء فلسطين

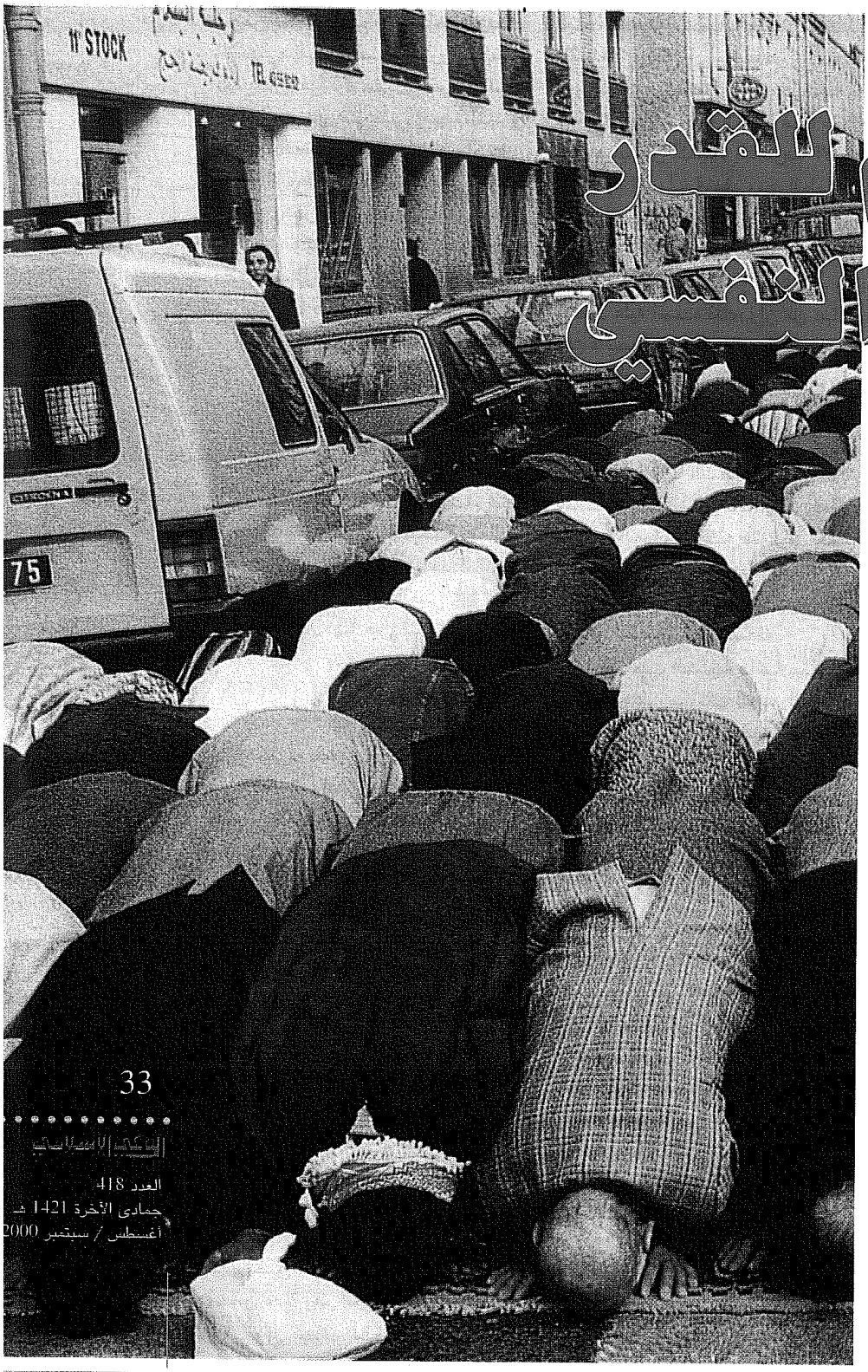

التسليم للقدر والأمن النفسي

د. محمد محمود متولي
كلية الشريعة. قسم العقيدة والدعوة

المسلم في الحياة هدف للبأساء والنعماء، يطلب الرزق فلا يتحصل له، ويدعو فلا يُستجاب له، أو يُجاب بغير ما دعا، أو يُعطى الإجابة ويسأل الله كشف الضر فلا يزال الضر باقياً. فيقول لسان حاله:

تعودت مسَّ الضر حتى ألفته
وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر

يرجو الصحة فلا يجدها، ويتمنى لأحبائه طول العمر، ولكنه يفجع بهم وهو يرجو بقاءهم ويطلب العزة ولكن الذلة تتكالب عليه من عدو حاسد، أو رفيق كائد، يتقدمه أناس لا يؤهلهم علم ولا خُلُقٌ ولا كفاءة كما قال القائل:

تقدمتني أناس كان خطوهم
وراء خطوي إذ أمشي على مهل

أو كما قيل:

طبعت على كدر وأنت تريدها
صفواً من الأخطار والأكدار

وموقف المسلم هو التسليم. قال رب العزة والجلال: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) الأنبياء:٣٥، وقال عز وجل: (وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء) الأعراف:٩٤.

ومن بطء الإجابة إلى تأخر الإمداد الإلهي، إلى تخلف الأرزاق، يلج الشيطان، فيسوِّد على الناس حياتهم، ويوغر صدورهم على ربهم، فيرق إيمانهم، حتى يكونوا قانطين، أو على حافة القنوط، ولذلك كان الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره من أركان الإيمان، وكل شيء عند رب العزة والجلال بمقدار، وله وقته ومكانه، يقول سبحانه وتعالى: (وكل شيء عنده بمقدار) الرعد:٨.

ابن عطاء: لا يكن تأخير أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجباً ليأسك

ويطمئن الرسول الكريم ﷺ قلوبنا على أنه لا يضيع دعاء أبداً عند الله سبحانه وتعالى، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء بمثلها» رواه أحمد والبزار، وأبو يعلي بأسانيد جيدة والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وقد عالج الإمام ابن الجوزي قضية الإلحاح في الدعاء، وتأخر الإجابة، ووسوسة الشيطان لزرع اليأس والقنوط، موضحاً كثيراً من أحكام الابتلاء مما يترتب عليه تثبيت القلوب ومما ذكره رحمه الله ما يلي:

١ ـ قد ثبت بالبرهان أن الله تعالى مالك، وللمالك التصرف بالمنع والعطاء، فلا وجه للاعتراض على المالك، إذا تصرف في ملكه، قال تعالى: (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور) الملك:١.

٢ ـ وإلى جانب ملكيته للكون، فقد ثبتت حكمته سبحانه وتعالى بالأدلة القاطعة، فربما رأى من يدعو في دعائه مصلحة له، والحق أن لا مصلحة له فيه، وقد يخفى وجه الحكمة فيما يفعله الطبيب من أشياء ظاهرها الأذى، وباطنها المصلحة، وقد روى الطبراني من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يقول الله عز وجل: «إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، وإن بسطت عليه أفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا السقم، ولو أصححته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من يطلب باباً من العبادة، فأكفه عنه لئلا يدخله العجب، إني أدبِّر أمر عبادي بعلمي بما في قلوبهم، إني عليم خبير» روي بأسانيد متعددة تجبر ضعفه.

٣ ـ صاحب الحاجة دائماً متعجل، وهذا جزء من مكونات الطبع البشري، يصورها قوله تعالى: (خلق الإنسان من عجل. سأوريكم آياتي فلا تستعجلون) الأنبياء:٣٧، وقد يكون للاستعجال ضرر، وللتأثير مصلحة في ضمير الغيب لا يعلمها إلا الله، وقد قال النبي ﷺ: «لا يزال العبد في خير ما لم يستعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي»، رواه أحمد وأبو يعلي.

وقد صور ابن عطاء الله السكندري كون المصلحة في التأخير، والمعزة في التعجيل في حِكَمه الرائعة فقال: لا يكن تأخير أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجباً ليأسك، فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك، لا فيما تختاره لنفسك، وفي الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريد.

ومهما تأخرت الإجابة فلا ينبغي أبداً التشكك في الوعد الإلهي، يقول ابن عطاء الله السكندري لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود ـ وإن تعين زمنه ـ لئلا يكون ذلك قدحاً في بصيرتك، وإخماداً لنور سريرتك.

ويجب على المؤمن اليقين بأن لكل شيء أمداً يظهر فيه، ومرة أخرى يقول ابن عطاء الله «ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار، فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها، وواجب نعتها»، وصدق الله العظيم: (لقد خلقنا الإنسان في كبد) البلد:٤.

وكم من عجلة أعقبتها ندامة، وكم من تأن أعقبته سلامة، وكم من فائت أعقبته نجاة، وكم من مُدرَك صاحبته هلكة.

٤ ـ قد يكون امتناع الإجابة لآفة فيك، كطعام فيه شبهة حرام، أو يكون قلبك وقت الدعاء في غفلة، أو تكون قد أذنبت ذنباً ما صدقت التوبة منه، فتسد أبواب القبول لتخلص من الشبهة طعامك، وتلزم اليقظة قلبك، وتصدق التوبة من ذنبك، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين. فقال: (يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم) المؤمنون:٥١، وقال: (يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) البقرة:١٧٢.

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب. يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يُستجاب له»، رواه مسلم والترمذي، كما روى ثوبان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه» رواه النسائي بإسناد صحيح وابن حبان والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

٥ ـ قد يكون ما ترجوه سبباً في زيادة ذنوبك لعدم إخلاصك النية فيه، أو قد يؤدي إلى تأخرك عن مرتبة خيرة كنت تسعى إليها، فكان المنع بسببك أنت، أو لوقايتك من نفسك، أو

لمعالجة قلبك من الرياء والمداهنة، أو النفاق، فيخليك ربك ليحليك وقد ضرب الله لذلك مثلاً ينبغي تدبّره، قال عز من قائل: (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) الزمر:٢٩. وقد روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» متفق عليه.

٦ ـ أن الله قد يمنع عبده الإجابة ليطيل الوقوف على بابه، لأنه لو أجابه لشغل عنه سبحانه وتعالى، وهو يحب أن يسمع صوته، ويراه ببابه، ولأن الله سبحانه وتعالى علم من الخلق انشغالهم بنعمه عنه، لأنها زينة مزينة، لذلك خلط نعمه بعوارض تدفعهم إلى بابه.

٧ ـ التيقن بأن الدنيا دار ابتلاء واختبار، فإذا طلب المؤمن طلباً فلم يُجب وجب عليه الصبر على ما ينافي مراده، وذلك هو الصبر على إعراض الله عن إجابته، فإذا تدبرت ذلك سكنت نفسك، وفي ذلك يقول ابن عطاء الله السكندري: «لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار، فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها. قال تعالى: (ونبلوكم بالخير والشر فتنة وإلينا ترجعون) الأنبياء:٣٥.

٨ ـ ومن أسباب السكينة والرضى بقضاء الله وقدره أن يؤدي الإنسان ما عليه قبل أن يطلب ماله، فالمملوك يؤدي حق سيده عليه أولاً: وهو موقن أنه لا يجب على المالك أن يحقق له ما يهوى، وإذا أعطاه شيئاً فهو من باب التفضل والإنعام، لأن ما عند الله من نعم ينال بطاعته، ولا يمكن نواله بمعصيته، لا ينبغي للإنسان أن يضيق بتأخر الإجابة وهو مكبّل بالمعاصي، قد سد أبواب الإجابة بمعاصيه، فلو تاب لانفسح الطريق أمام الإجابة، ألم يقل الله تعالى: (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً. ويرزقه من حيث لا يحتسب) الطلاق:٢، ٣.

٩ ـ ومما يسكن آلام النفس حين يحدث ضد مرادها الاقتناع بتدبير الله، وأنه أعلم بمصالح عباده منهم (هو أعلم بكم) ولننظر في قصة موسى والخضر، لنعرف أن الظاهر كثيراً ما يكون غير واقعي أو غير حقيقي، فسفينة تخرق، وتعرَّض للغرق، وولد يقتل، وجدار متهدم يُقام، كل هذا في الظاهر ضرر، ولكنه في الباطن خير، وما أقامك الله فيه خير مما تريد أن تقوم أنت فيه.

إذا طلب المؤمن طلباً فلم يُجب وجب عليه الصبر على ما ينافي مراده، وذلك هو الصبر على إعراض الله عن إجابته

١٠ ـ وقد يكون في حصول ما تطلب نقصاً في أجرك، وحطاً من مرتبتك التي أراد الله لك بلوغها، فلم تبلغها بعملك، فبلغك إياها بابتلائه لك، فارض عن تقديره فيك يرض عنك سبحانه وتعالى.

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يصب منه» رواه البخاري.

كما روى أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله بعبده خيراً عجّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة» رياض الصالحين.

وأخيراً، ليتأمل أهل المصائب قوله تعالى: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها. إن ذلك على الله يسير. ليكلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) الحديد:٢٢ـ٢٣.

ففي هاتين الآيتين يخبرنا ربنا عز وجل: أن المصائب مقدَّرة قبل خلق الخليقة وقد سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن الآية فقال: سبحان الله، ومن يشك في هذا؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة.

صاحب الحاجة دائماً متعجل وهذا جزء من مكونات الطبع البشري

وقال قتادة: بلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود، ولا شكة قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، وصدق رب العزة: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) الشورى:٣٠.

وروى الإمام أحمد والإمام مسلم بسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قدَّر الله المقادير قبل أن يخلق الأرض بخمسين ألف سنة» ولفظ مسلم «كتب الله...». وليعلم المسلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، فيتصرف في حياته برضى واطمئنان. وقد قال عكرمة رحمه الله: ليس من أحد إلا هو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكراً، والحزن صبراً. فلنجعل الأقدار دافعاً لتجديد الحياة، واختبار القوة إيماناً، ولنكن كما قال مصطفى صادق الرافعي رحمه الله:

وكن رجلاً كالضرس يرسو مكانه
ليطحن لا يعنيه حلو ولا مر

عالمية الإسلام وعولمة الغرب

مقارنة في الأسس والنتائج

يقلم: د.عبدالعزيز الخطابي
كاتب مغربي

هل يُساغ مقارنة ظاهرتين فكريتين بينهما خمسة عشر قرناً؟ وهل الظاهرتان ذواتا مؤدى واحد، ماذا في أسس هاتين الظاهرتين، وما بنيتهما التوسطية؟ ما بين الأسس والنتائج، وماذا يكون حال الظاهرتين على مستوى الثمرات؟

لقد بدأت فكرة عالمية الدين الإسلامي وخطابه الشامل لكل البشرية من ساعة نزول النص المقدّس حينما خُوطب النبي المصطفى ﷺ بقوله تعالى في الآية ٢٨ من سورة سبأ: (وما أرسلناك إلا كافة للناس)، ثم حدد مضمون الرسالة فقال في الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

وعلى هذا النص بدأ النهج الإسلامي وعموم معارفه يتجه نحو دعوة الناس كافة إلى مجتمع العدل العالمي. والفكر العالمي الحق، والدولة العالمية نظاماً، والقانونية طبيعة، وتكونت حضارة المسلمين على إلغاء كل ما يميز بعض البشر عن بعضهم، قال تعالى في الآية ١٨ من سورة المائدة مخاطباً غير المسلمين: (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فَلِمَ يُعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق). وهكذا يلغي النص القرآني كل أساطير التفضيل، ويبقى الالتزام بالعقيدة الكونية السليمة والعمل الصالح النافع للبشرية كافة، فقال تعالى في الآية ١٣ من سورة الحجرات: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، وعليه كان الناس كافة في منطق هذه الحضارة سواسية في الحقوق والواجبات، وسعى النص إلى إلغاء التفاوت الاقتصادي بين الناس بمبادئ التكافل والزكاة ومسؤولية المال العام لكيلا يكون الناس فقراء وأغنياء أو أجراء وملاكين، أو أقوياء وضعفاء، ونعى على المستضعفين عدم مقاومتهم كل سياسات الاستضعاف.

بدأ هذا الفكر من إيمان رجل واحد به وسار كالضوء والنسائم العطرة ليدخل كل القلوب قبل العقول، وليدخل الضمائر قبل مناط التفكير، والتدبّر اللذين وقفا إلى جانب حقائق هذه الحضارة التي انطلقت من الفطرة الإنسانية، وتناغم القانون الشرعي فيها مع القانون الطبيعي، لذلك قال علماء حضارة الإسلام: إن كل ما حسّنه الطبع والعقل حسّنه الشرع، وسالت دماء المسلمين لأجل أن يحرروا المستضعفين من جور حكامهم واستشعروا مسؤوليتهم الشرعية عن كل مضطهد ومستلب في العالم كله،

لذلك انتشر الإسلام ولا يزال ينتشر في قلاع «الضلال العلمي» رغم كل وسائل التقنية الماكرة التي استغلت لتشويهه(١)، وإذا كان الإسلام كالشمس يضيء حالياً نصف الأرض، فإنه ستتحقق حتمية القرآن بقوله تعالى في الآية ٩ من سورة الصف: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)، وستعم كلمة لا إله إلا الله كل العالم عاجلاً أم آجلاً، ويوماً بعد يوم يتجدد الخطاب العالمي الإسلامي، والذي قاوم الهجمات الصليبية الفكرية والعسكرية بسبب عالمية خطابه، وقاوم فكرة تكتل العالم الصليبي وراء الاتحاد الأوروبي، وقاوم فكرة القطبين الكبيرين والدول الخمس الكبار في المنظمة الدولية، داعياً إلى أن الإنسان ولد حراً وسيبقى حراً له ما لكل فرد من الإنسانية حق الحياة والحقوق الأساسية الأخرى، ولا تقوى نظرية أو قوة على مصادرة هذه الحقوق كلا أو بعضاً، فهذه من السنن الكونية.

أما الاتجاه التلمودي الصليبي المتحالف ضد «تيار الحق الإسلامي» المقبل على ما بينهما من تباغض فقد تحرّك أساساً فيما يطلق عليه عصر التنوير الأوروبي هو «مفهوم الدولة القومية» الأوروبي الذي تشكل القانون الدولي العام لتنظيم التعاون بين دول أوروبا بعدما سموه عصر نهضتهم وتحوّل إلى نظرية التكتلات واستجماع القوى العدوانية، وكانت الحرب العالمية الأولى، فتشكل العالم بقطبين كبيرين، وحيكت المكائد لإسقاط «أحد القطبين» لينفرد القطب الثاني بالتحكم بالعالم تحت استراتجية عدوانية سموها بالنظام العالمي الجديد، وكانت الثقافة الغربية المؤسسة أصلاً على مقولة «الصراع الدائم بين الإنسان والطبيعة والصراع بين الإنسان والإنسان»، في جذورها الأولى، قد أنتجت فكرة، هانتغتون في عام ١٩٩٣م، عن صدام الحضارات المقبل، وصرح أنه صدام بين حضارة الغرب والحضارة الإسلامية.(٢)، ومنها ومن مثيلاتها خرجت نظرية العولمة التي تستند إلى تطور وسائل الاتصال والمواصلات لتقرر أن العالم الفسيح أصبح قرية صغيرة فلابد من ربطه برمته ثقافياً أولاً، ثم اقتصادياً وسياسياً، وأن يدير هذا العالم من سموه بالإنسان المتقدم في المدينة «وسائل القوة الحربية والاقتصادية»، فهو المنظر لأصول العولمة الغربية وهو المنفذ لها وهو الشرطي الدولي لتحقيق نتائجها، وهكذا تحولت ظاهرة العولمة الغربية إلى نظام عالمي مفروض بالقوة العدوانية وتحوّل النظام العالمي إلى واقع عملي تجسّد في استلاب الثروات من البلدان المتخلفة، والعدوان الحربي المباشر على الشعوب الإسلامية في كثير من أقطارها.

عالمية الإسلام فكرة أسسها القرآن لا تتقيد بزمن ما فهي ليست فكرة تاريخية آنية

وأخيراً مجازر العولمة الكافرة في الشيشان هذه الظاهرة التي تحوّلت من نظرية إلى نظام عالمي ثم إلى واقع فعلي، هل يمكن مقارنتها بتلك العالمية التي دعا الإسلام، ولا يزال يدعو إليها، على الرغم من تفاوت أزمات الظاهرتين الفكريتين، وهل تتفقان في الأسس والبنى الوسطية والنتائج؟ أم أنهما تتغايران، بتغاير فلسفة كل منهما.

والجواب: أنه لما كانت عالمية الإسلام فكرة أسسها النص القرآني، ولما كان هذا النص، مطلقاً خارج الزمان والمكان ونسبية الوعي الإنساني، فإنها لا تتقيد بزمن ما، فهي ليست فكرة تاريخية آنية وعليه فهي تمتد من زمن التأسيس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهي تلتقي في مسارها الزمني مع زمن عولمة الغرب لذلك جاز حذف متغير الزمن من الظاهرتين وجازت مقارنتهما، وبهذا يكون تحليل الفارق بين الظاهرتين على محاور ثلاثة:

أ - محور الأسس النظرية.

ب - محور البنى الوسطية.

ج - محور الآثار والنتائج.

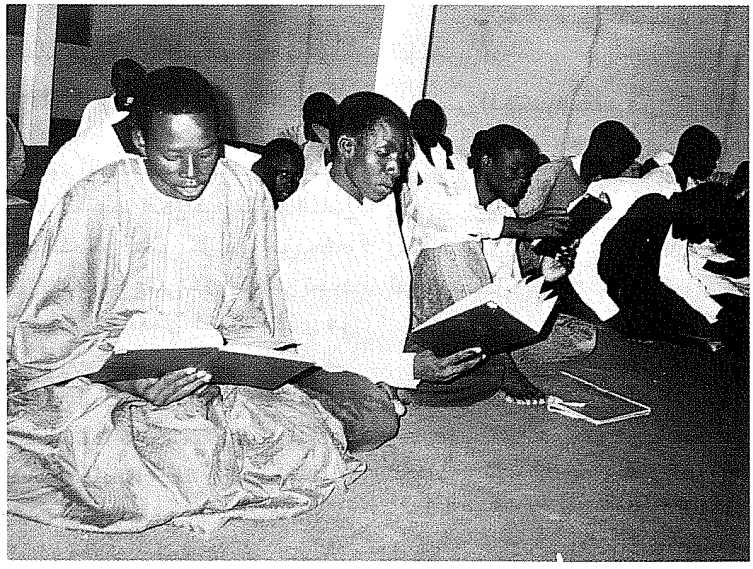

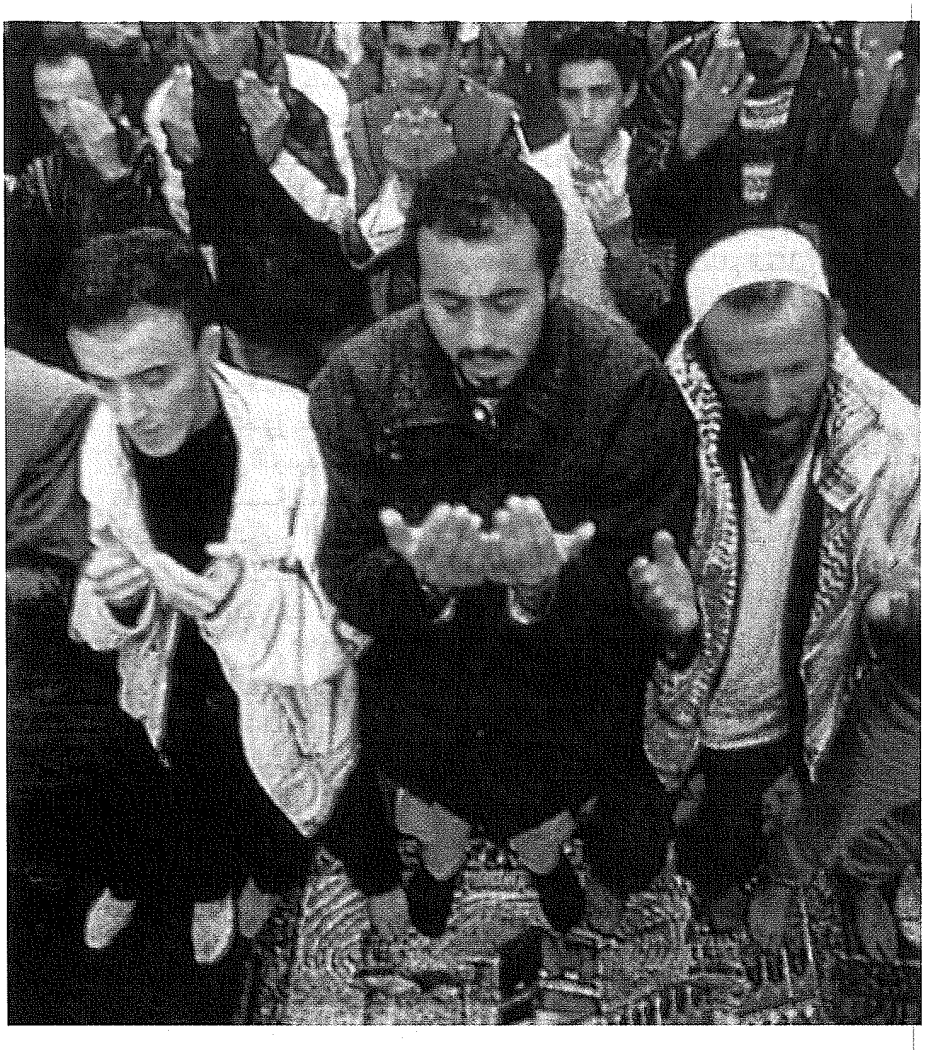

أ - محور الأسس النظرية

لم تنطلق فكرة العالمية الإسلامية من حسابات الواقع، وحسابات المنفعة البراغماتية إنما هي أصل فكري أيديولوجي بحت استهدف إعادة بناء الواقع على أساسه، فالعالمية الإسلامية انطلقت من رؤية مثالية لبناء واقع جديد، أي من أسبقية الفكر على المادة وحركة الأشياء، بينما انطلقت العولمة الغربية من نظرية نفعية أفرزها واقع الصراع فأرادت تطوير نتائجه باتجاه استلاب عقل وثقافة المستضعفين في العالم، ثم بعد ذلك ثرواتهم وقواهم العاملة، وأخيراً مصائرهم ووجودهم، مدفوعة بنظرية «الجوييم» اليهودية» التي ترى أن كل البشر خدم لجنس ما، في حين أن مفهوم المنفعة في عالمية الإسلام يجانس مفهوم الحق فيه فأكرم الناس على الله من أعطى كل ذي حق حقه، ووزع المنافع على كل البشر تحت استراتيجية العمل الصالح الذي هو قرين الإيمان في مئات المواضع في القرآن الكريم، وأن ثقافة عالمية الإسلام تبدأ بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وإعمال العقل والنظر والتدبر والحوار والإقناع ولا تكون القوة المسلحة إلا بعد استنفاد كل الوسائل المتحضرة السلمية في حين بدأت فكرة العولمة بالعدوان دفعة واحدة وفرض العولمة بالقوة الغاشمة.

فهي تجسيد لواقع الجبروت التكنولوجي والاقتصادي، بينما عالمية الإسلام تجسيد لواقع قوة الفكرة وأصالة الحقيقة العقلية والفطرية ولذلك اختلفت وسائلهما وبنيتهما الوسطية لأنها انطلقت من حقيقة التوحيد، فالخالق واحد والكون الواحد الذي يعمل بنظام شامل واحد، والإنسان الذي أصله واحد «آدم: الذي من تراب» لتكون كل تلك المكوِّنات يحكمها فكر واحد هو الإسلام ويوجهها كتاب واحد هو القرآن، قال تعالى في الآيتين ٨٥ من سورة آل عمران: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين).

فأسس المجتمع العالمي في الإسلام تهدف إلى جعله مجتمعاً واحداً يتساوى كل أفراده ودوله في الحقوق والواجبات، ويشجع تنوع الثقافات داخل شموليته، ويوزع هبات الله على أفراده بالعدل.

ب - البنى الوسطية بين الظاهرتين

تعتمد دعوة الإسلام العالمية أساساً على الدعوة السلمية، إلا إذا وصل الأمر إلى العناد والمكابرة والتدرع بالقوة ضد الحق، فحينئذ يأتي دور

الجهاد لمقاومة القوة بالقوة، بينما العولمة الغربية فرضت بالهيمنة والجبروت.

والعالمية الإسلامية: تحترم كل الثقافات القومية ما لم تتعارض مع تصور الإسلام الموحى به من عند الله الحكيم العليم بمصالح البشر، فتعدلها لتنقّي الثقافات القومية للأمم من المفاسد والشرور، لذلك قال عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وتحترم التنوع الثقافي وتستفيد منه لإثراء ثقافتها وتاريخ التجربة العالمية الإسلامية، صريح في الإفادة من ثقافات الشعوب، بل إنها تحترم الأديان السابقة، ولا تجبر أحداً على ترك دينه ويدخل في ذلك حتى المشكوك في دياناتهم كالصابئة والمجوس، بينما العولمة الغربية تلغي ثقافات الأمم والقيم الاجتماعية التاريخية لصالح قيم مفروضة من صيرورة تاريخية غربية على صيرورات الأمم والشعوب تحت مقتضيات معادلتها الثنائية التي تقسم العالم وفق مقولة «المركز والهامش»، وفي جهة العلاقة بين الفكر والتكنولوجيا، فإن العالمية الإسلامية تجعل فكر العدل العالمي يوجه التقنية، بينما العولمة الغربية تجعل التقنية هي التي توجد القيم والفكر، وعلى مستوى العدل في توزيع الثروات، فالإسلام لا يجيز نهب ثروات الشعوب - حتى من لم يدخل بعد في عالميته - أما مع فقه الإسلام فهي لا تجيز نقل الزكاة من بلد إلى آخر طالما هناك المستحقون لها.

وترى العالمية الإسلامية أن المسلمين تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، فأبرز المحرَّمات الكيل بمكيالين في القضاء الإسلامي الدولي منه والداخلي، وتحافظ على عموم حق الحياة للإنسان عامة.

العالمية الإسلامية تحترم كل الثقافات القومية ما لم تتعارض مع تصور الإسلام الموحى به من عند الله الحكيم العليم بمصالح البشر

وفي هذا: علينا ألا ننجر وراء العولمة الغربية تحت شعار نقل الحضارة والتقدم إلى العالم الفقير وتوفير مقومات الرفاهية(٣)، فأسسها وبنيتها الوسطية لا تفرز إرادة خيرة لنقل التقدم والرفاهية، فاتفاقية الغات (G.A.T) التي تحرر التجارة تستغل الوفرة الصناعية لتحطيم القوى المنتجة في الدول الفقيرة للوضع غير المتكافئ، فتقرير التنمية الدولي ١٩٩٢م يقرر أن خسارة البلدان الأقل نمواً تقدر بـ٦٠٠ مليون دولار سنوياً، وخسارة أفريقيا - التي ستتحرر قريباً إن شاء الله - تقدر لوحدها بـ١,٢ مليار دولار.(٤) ويقرر التقرير أن الدول النامية لا تحصل إلا على ربع الدخل الدولي، وهي تضم ثلاثة أرباع سكان العالم، فإذا دخلت اليابان والصين فإن حصة العالم النامي ١٠٪.(٥) وحصة الدول الصناعية السبع ٩٠٪.

ج - محور النتائج

من ذلك تبين أن عالمية الإسلام، هي عالمية الضعفاء المغيبين ليتحرروا ويتساووا في حقوقهم الإنسانية مع المستغلين، بينما عولمة الغرب هي عولمة الجبروت والقوة التي تمعن في استلاب ونهب الفقراء، وتذويب شخصيتهم الثقافية والتاريخية في حين ينمي الإسلام في أطر مبادئه العامة ثقافات الشعوب، وأن مقولة نقل التقدم والرفاهية والتقنية إلى العالم المتخلّف وراءها السم الزعاف لهذه العولمة العدوانية، الصراعية لأجل الاستلاب والنهب.

مستقبل العولمة والعالمية الإسلامية

إن وعي الحاضر والمستقبل للمسلمين في العالم، ومعهم كل المضطهدين سيؤدي بهذه العدوانية الشرسة إلى التفتت، وأن هذه العولمة تحمل في داخلها عوامل فنائها كبقية وسائل الهيمنة العالمية السابقة كالاستعمار وأشكال الاحتواء، ويبقى ما ينفع الناس بعد أن يطرد الزبد ولكن بالوعي والعمل والإصرار على ثقافة القرآن والدعوة إليها، وأن البديل لعولمة العدوان هو عالمية الإسلام العادلة الحقة.

عالمية الإسلام هي عالمية الضعفاء ليتحرروا ويتساووا في حقوقهم مع المستغلين

قال تعالى في الآيات الثلاث ١٠٥ - ١٠٧: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذِّكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون. إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين. وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

وبهذا ينتظر العالم صحوة المسلمين وحوارهم العقلاني للتبشير بعالميتهم تساعدهم في ذلك حتمية قررها النص القرآني، وهو أصدق الحديث ■

الهوامش و المراجع :

١ - للتفاصيل: ادوارد سعيد : تغطية الإسلام.

٢ - مصطفى السعدني: حوارات الحضارات، ورقة علمية ٢٨.

٣ - ذهب أحد زملائنا إلى أنه لا يعترض أحد عليها بهذا الاعتبار.

٤ - محمد حافظ دياب: البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة ١٩٩٨م (مترجم).

٥ - المصدر نفسه.

بصائر في جانب العبادة (٧)

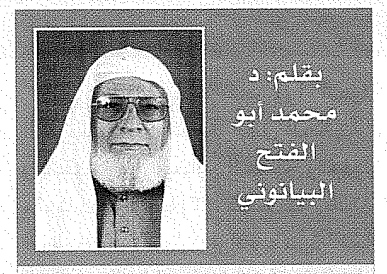

بقلم: د محمد أبو الفتح البيانوني
كلية الشريعة . جامعة الكويت

إن البصيرة الرابعة في جانب العبادة تكمن في ضرورة تبصير الناس بوظائف العبادة الفردية والاجتماعية، وآثارها العظيمة في الفرد والمجتمع، وذلك ليزيد حرصهم عليها وتمسكهم بها، ويحاسبوا أنفسهم على التقصير فيها.

فإن كثيراً من الناس يزهدون فيما هو نافع لهم، إذا ما جهلوا نفعه ولم يلمسوا فائدته.! ويمكننا تفصيل وظيفة العبادة في وظيفتين: فردية، واجتماعية.

أما الوظيفة الفردية: فتتجلى في جانبين هما:

أ ـ جانب يتصل بعلاقة العبد بالله عز وجل خالقه.

ب ـ جانب يتصل بعلاقة العبد مع نفسه.

أما الجانب الأول: فهو «تحقيق عبودية الإنسان لله، وتقريبه منه»، فإن العبادة تقوي صلة الإنسان بخالقه، وتنمي الحب بينه وبين ربه، وتؤهله لحب الله له، وتشعره برضا الله عنه.

العبادة كلمة تُقال، ولا طقوساً مجردة تؤدى، ولا حالاً تعرض وتزول، وإنما هي اتباع وخضوع نابع عن حب لله، وشعور بالحاجة إليه.

وإلى هذا المعنى يشير قول الحسن البصري ـ رحمه الله ـ «ليس الإيمان بالتمني، ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل).

ويؤكد هذا المعنى قول الله عز وجل: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) البقرة:١٧٧.

ومن هنا كانت العبادة في الإسلام سبيلاً لنيل حب الله وبلوغ رضاه... (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم. قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) آل عمران: ٣١ ـ ٣٢.

وجاء في الحديث الشريف الصحيح: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعذينه» رواه البخاري: ٦٥٠٢.

هذا عن وظيفة العبادة في الجانب المتعلق بالله سبحانه.

أما الجانب الثاني المتعلق بالعبد نفسه: فإن العبادة تهذِّب للمرء نفسه وتزكيها، وترقي له روحه وتنميها، وتوسع له أفقه وتفكيره، وتصحح له سلوكه وتنقيه.

وكثيراً ما أشارت النصوص الشرعية إلى هذه الوظيفة الفردية للعبادة ولا سيما في الشعائر التعبدية، فقد قال عز وجل: (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يُذهب السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) هود:١١٤.

وقال: (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) العنكبوت:٤٥، وقال: (إن الإنسان خُلق هلوعاً. إذا مسه الشر جزوعاً. وإذا مسه الخير منوعاً. إلا المصلين. الذين هم على صلاتهم دائمون. والذين في أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم. والذين يصدقون بيوم الدين. والذين هم من عذاب ربهم مشفقون. إن عذاب ربهم غير مأمون. والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم بشهاداتهم قائمون. والذين هم على صلاتهم يحافظون) المعارج:١٩ـ٣٤.

> كثيراً من الناس يزهدون فيما هو نافع لهم إذا ما جهلوا نفعه ولم يلمسوا فائدته

كما جاء في الأحاديث الشريفة إشارات كثيرة إلى وظائف العبادة الفردية في حياة الناس، من ذلك حديث: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين»، وجاء: «الصوم جنة ما لم يخرقها» رواه النسائي بإسناد حسن، وابن خزيمة في صحيحه.

فهذه النصوص الشرعية وأمثالها كثير: تشير إلى أثر العبادة في الإنسان، وتبين وظيفتها الفردية في العبد، فتجعله إنساناً مهذباً، متوازناً في تحقيق متطلبات الروح والجسد، قوياً لا يهاب، صبوراً لا يجزع، صدوقاً لا يكذب، أميناً لا يخون.

هذه بعض الوظائف الفردية للعبادة، أما وظيفتها الاجتماعية، فتتجلى في أثر تلك الوظيفة الفردية في المجتمع، التي تجعل من الفرد عضواً صالحاً في المجتمع، يصلح بصلاحه من جهة، وتعود على المجتمع عامة بالخير والنفع من جهة أخرى.

فما من عبادة في الإسلام، فردية كانت أو جماعية إلا ولها أثر في المجتمع قلَّ أو كثر، خفي أو ظهر... وإن كانت الوظيفة الاجتماعية أو الآثار العامة تبرز أكثر وأكثر في العبادات الجماعية.

فالصلاة: وهي عبادة «فردية وجماعية» في وقت واحد، تصل العبد بربه، وتقوي صلته به، وتحقق عبوديته له، ولها أيضاً آثار اجتماعية مهمة، من ذلك: تنظيف سلوك الفرد والمجتمع، وتنقيته من الفحشاء والمنكر، وتوثيق صلته بأخيه المصلي معه في صلاة الجماعة، وقد روي في الحديث الشريف: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً»، ومثل هذا واضح كذلك في الصيام والزكاة والحج.

الحجاب: وهو عبادة «فردية واجتماعية» تحفظ للمرأة كرامتها وعفتها وحياءها في نفسها

والحجاب: وهو عبادة «فردية واجتماعية» تحفظ للمرأة كرامتها وعفتها وحياءها في نفسها، الذي جبلت عليه من جهة، وتميزت به على الرجال.

كما تحفظ المجتمع من الفتنة بالنساء التي أشار إليها الرسول ﷺ بقوله: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» متفق عليه.

فالحجاب يحفظ المجتمع من آثار النظرة المحرمة التي تفعل فعلها في قلوب الرجال، وترهق أعصاب الشباب والمراهقين... كما يحفظه من انتشار الفحشاء التي يُعد السفور والتبرج أكبر العوامل على وجودها وانتشارها. وإن من الغفلة عن هاتين الوظيفتين للحجاب، أو عن إحداهما، وجد التساهل في الحجاب، وانطلق بعض الناس يقول: «إن المرأة الشريفة لا يلزمها الحجاب ولا يفيدها، والمرأة الفاسدة لا يصلحها الحجاب ولا يحجزها عن الفساد، فليس للمرأة حاجة إليه!! إلى غير ذلك من أوهام وأخطاء.

ليس الإيمان بالتمني، ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل

ولو فهم الرجال والنساء على السواء حقيقة الحجاب في الإسلام ووظيفته، ووقفوا على عظم آثاره الفردية والاجتماعية، لما رأينا امرأة تتساهل في أمره، ولا رجلاً يدعو إلى التهاون فيه.. ويُقال مثل هذا في أي عبادة فردية أو اجتماعية من العبادات، كالزكاة والصيام والجهاد.

ولنعلم جميعاً أن أي تضييع لجانب من جانب هذه الوظيفة، أو الغفلة عنها، يعتبر تضييعاً لحقيقة العبادة، وتحويلاً لها عن حقيقتها.

ومن هنا جاء: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً» رواه أحمد في الزهد موقوفاً على ابن مسعود، انظر «كشف الخفاء» للعجلوني (٣٨٢/٢). وجاء: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» رواه البخاري وأبو داود والترمذي، انظر (جمع الفوائد ٤١٥/١).

وجاء: «رب قائم حظه في قيامه السهر، ورب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش» رواه الطبراني وغيره، وقال الحافظ العراقي: إسناده حسن، وقال تلميذه الهيثمي: رجاله موثوقون، انظر (فيض القدير ١٦/٤)، و(جمع الفوائد ٤١٥/١).

نسأل الله عز وجل أن يبصرنا بوظيفة العبادة في حياتنا، وأن يذيقنا حلاوة عبادته ومناجاته... وأن يغفر لنا غفلتنا وتقصيرنا فيه.

وإلى حديث قابل إن شاء الله عن بصيرة أخرى من البصائر الدعوية في جانب العبادة ■

المقررات الجامعية في القرآن الكريم

المقرر الرابع من هذا المنهج الدراسي الكامل تعليم الحكمة (ويعلّمهم الكتاب والحكمة) من صفات هذا المعلم أنه يتلو عليهم الآيات القرآنية ويعلمهم معاني كتاب الله، ويعلمهم الحكمة،

بقلم: د. أحمد شرشال
كلية الشريعة. جامعة الكويت

وتأمل أخي الطالب هذا التركيب العجيب، وهذا الأسلوب البديع حيث أفرد لتلاوة الآيات فعلاً وهو «يتلو» وجاء بفعل آخر لتعليم الكتاب وهو «ويعلمهم» وأشرك «الحكمة» في نسق التعليم، لأنها مربوطة بتعليم الكتاب، فهما كالشيء الواحد وحذف كل ذلك من التزكية، لأن التزكية لا تعلم ولا تحفظ ولا تتلى وإنما هي ثمرة من ثمرات التلاوة، وتعليم الكتاب، وتعليم الحكمة فإذا لم تثمر هذه المقررات الدراسية تزكية فهي كالعدم، فالتزكية لا تعلم ولا تتلى ولا هي مثل المقررات وإنما هي محض سلوك وعمل يظهر بعد التلاوة وبعد تعليم الكتاب وبعد تعليم الحكمة.

ونحن الآن نقوم بعملنا هذا بتعليم التزكية، كالصناعة والحرفة التي يحتاجها الإنسان ويقوم بها لتدر عليه ما ينفعه، هذا حالنا، ورب حال أفصح من لسان.

وقد بيّن القرآن أن الله أنزل الحكمة كما أنزل الكتاب فقال:

(وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم) النساء:١١٣،

وقال:

(واذكروا نعمة الله وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) البقرة:٢٣١

وقال:

(واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) الأحزاب: ٣٤

ففي هذه الآيات بيان لهذا المعلم وأنه يعلّمهم الكتاب ويعلّمهم الحكمة، وأن الله قد أنزل الحكمة كما أنزل عليه القرآن، وهي السنة كما قال غير واحد من السلف، فنوّع المتلو إلى نوعين: آيات وهي القرآن، وحكمة وهي السنّة، وبها تتبين مقاصد القرآن وأسراره وحكمه وأحكامه.

التزكية لا تعلم ولا تحفظ ولا تتلى وإنما هي ثمرة من ثمرات التلاوة وتعليم الكتاب وتعليم الحكمة

والحكمة وردت في كتاب الله على نوعين: مفردة، ومقترنة بالكتاب، فالمفردة وقعت في ثمانية مواضع وفسرت بالنبوة وفسرت بعلوم القرآن وفقه ما فيه من علوم، ونزع ابن عباس في تفسيره للحكمة إلى المعرفة بالقرآن وفقه ما فيه من العلوم، وهو من أوسع التفسيرات للحكمة.

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى:

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) البقرة:٢٦٩

قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه محكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله» وفي رواية عنه هي: «التفسير والتفقه في القرآن» الإتقان: ٣٨٥/٢، وقال مجاهد: «هي القرآن والعلم والفقه، وهي الإصابة في القول والعمل».

أقول: ولا يكون الإنسان مصيباً للقول والعمل إلا إذا فهم القرآن والسنة فهماً صحيحاً، قال مجاهد في قوله تعالى:

(وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) ص:٢٠، يعني الفهم والعقل والفطنة» ابن كثير ٣٣/٤.

وأما الحكمة المقرونة بالكتاب فهي السنة، وفسرها بذلك الحافظ ابن كثير وعزاه إلى غير واحد من السلف وهو ما أخذ عن الرسول - ﷺ - سوى القرآن:

«ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»، ومصداق ذلك في كتابه الكريم:

(وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى. علَّمه شديد القوى) النجم:٣-٥

قال الشافعي: «الحكمة سنة رسول الله، وهو قول قتادة» ورجحه أصحاب الشافعي، والدليل عليه أنه تعالى ذكر تلاوة الكتاب أولاً وتعلميه ثانياً ثم عطف عليه الحكمة، فوجب أن يكون المراد من الحكمة شيئاً خارجاً عن الكتاب، وليس ذلك إلا سنة الرسول - ﷺ - الرازي: ٧٤/٢.

قال ابن القيم: «وأحسن ما قيل في الحكمة قول مجاهد ومالك إنها معرفة الحق والعمل به والإصابة في القول والعمل، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن والفقه في شرائع الإسلام وحقائق الإيمان» ٧٧/٢.

وقد تطلق الحكمة على امتثال الأوامر واجتناب النواهي وهي العمل بما جاء في القرآن أمراً ونهياً كما جاء ذلك في قوله تعالى:

(ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة) الإسراء:٣٩

واسم الإشارة يعود على ما تقدم ذكره من التكاليف الشرعية التي لا يتطرق إليها النسخ، والتي تبلغ خمسة وعشرين تكليفاً بدءاً من قوله تعالى:

(لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً) الإسراء:٢٢، وختمها بقوله: (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً) الإسراء:٣٩. قال القرطبي: فكتاب الله حكمة، وسنة نبيه حكمة، وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه» ١٢٤/١.

أقول: ومن ثم اشتركت الحكمة في نسق تعليم الكتاب: (ويعلمهم الكتاب والحكمة) فتكون المقررات الدراسية تلاوة للآيات القرآنية، وتعليماً للكتاب وتعليماً للسنة ■

تطلق الحكمة على امتثال الأوامر واجتناب النواهي وهي العمل بما جاء في القرآن أمراً ونهياً

أضواء على تاريخ القراءات القرآنية ٢

ابن مجاهد ...
عالم القراءات الملوم اللائم

بقلم: د. رفيق حسن الحليمي
كاتب فلسطيني

أما كونه ملوماً من قبل علماء عصره ومن تبعهم من العلماء، فلهفوة أو سقطة مما يمكن أن يندرج تحت «سقطات العلماء»، ولم تكن تلك السقطة بالهيّنة الليّنة التي يمكن التسامح معها، أو التغاضي عنها، والمرور عليها من دون لوم أو محاسبة أو تنبيه، حتى يصحو العقل ويرشد القلب، وينيب إلى الصواب، فينفض عنه أدران الفِعْل، وآثام السقطة، فتتطهر الروح بنور الهداية وسبل الرشاد. كلُّ ما في الأمر أن ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) ألف كتاباً في القراءات القرآنية، اقتصر فيه على سبع قراءات، من بين عشرات القراءات التي كانت في عصره، وقد كان الرقم «سبعة» واختياره من بين الأرقام العشرية وغير العشرية سبباً في الإشكال على العامة، حيث ترك لهم مجالاً للتخبط العشوائي والخلط بين واقعين مختلفين أشد الاختلاف، هما: الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وجاءت فيها الآثار النبوية في أحاديث صحيحة ثابتة، والقراءات السبع التي اختارها في كتابه. ولكن العلماء في عصره وبعد عصره لاموه أيَّما لوم، ونددوا بتسبيعه القراءات، أمّا كتابه الذي لم يطعن فيه أحد من العلماء إلا في مسألة التسبيع تلك، فقد ذاع أمره وانتشر في الآفاق والأمصار على أيدي النسَّاخ والورّاقين وبين طلاب العلم والدارسين، لدقته وجلال قدره وعظيم أثره، وأمّا لوم العلماء لشيخ القرّاء، وتنديدهم بالتسبيع، فقد كان ضرورة لرفع الإشكال الذي حدث، أملتها عليهم عقيدتهم، لأن الأمر يتعلق بأمر من أمور الدين، تصحيحاً للنهج الذي ينبغي للعلماء والباحثين أن ينتهجوه و يسيروا على خطاه، حتى لا يحيد أحدٌ - فيما بعد - عن الجادة، وحتى يبقى الحق أبيضَ ناصعاً، لا تشوبه شائبة من زيغ أو فساد أو ضلال.

ابن مجاهد وتسبيع القراءات

هو أبو بكر أحمد بن موسى العباس، المشهور بابن مجاهد، شيخ القرّاء والإقْراء في عصره توفي سنة (٣٢٤هـ) (١)، أما كتابه فلم أجد في حدود ما قرأت أن له كتاباً سواه، وقد جاء تحت عنوان القراءات السبع، ألّفه في حدود سنة (٣٠٠هـ) (٢)، وهو كتاب جمع فيه سبع قراءات لسبعة من أئمة القراءة في عصرهم (القرن الثاني)، اشتهروا بالثقة والأمانة والضبط. وقد ذهب المرحوم الدكتور صبحي الصالح إلى أن اقتصاره على «سبع القراءات» جاء مجرد محض مصادفة، وقد توافقت مع الرقم «سبعة» الذي ورد في حديث الأحرف السبعة، ولكن الدلائل المنظورة تؤكد أنه كان مُصِرّاً - لسبب أو لآخر - على ذلك الاختيار، ومن بين هذه الدلائل:

أولاً: يقوم منهجه في كتابه على مبدأ «الانتقاء» للقراء الذين اشتهروا في بداية القرن الثاني ومنتصفه بالأمانة والضبط، وهو انتقاء يرتكز على اختيار قارئ واحد من كل مصر من الأمصار الإسلامية الخمسة التي وصلتها نسخة من مصحف الخليفة عثمان بن عفّان رضي الله عنه، وهي: المدينة - مكة - البصرة - الكوفة - الشام، وقد اختار من كل مصر قارئاً واحداً، ولكنه زاد على الخمسة اثنين، اختارهما من الكوفة فأصبح العدد سبعة .وكان من الممكن أن يكونوا أقلّ من ذلك أو أكثر، فقد كان الشيخ يعقوب من قرّاء البصرة المشهورين غير أن ابن مجاهد حذفه من قائمة اختياره وأثبت مكانه الكسائي الذي لم يكن في البداية من بين قائمته، فبقي اختياره مرتكزاً على الرقم سبعة (٣). لذلك وصفه العلماء بمسبّع القراءات، أي الذي جعلها سبعاً.

ثانياً: أن القراءات، كانت قد جمعت في مؤلفات علمية قبل ابن مجاهد، وقد خلت أو ابتعدت أو تحاشت الرقم «سبعة»، فقد ورد أن أول من جمعها في كتاب هو: أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى في مكة سنة (٢٢٤هـ) وقد جعلها خمسًا وعشرين قراءة، بما فيها القراءات التي اختارها ابن مجاهد (٤).

ثم جمعها ابن جبير الكوفي نزيل أنطاكية (ت ٢٥٨هـ) وجعلها خمساً، اختار من كل مصر قارئاً واحداً (٥). وألّف إسماعيل بن إسحق المالكي (ت ٢٨٢هـ) كتاباً جمع فيه قراءة عشرين إماماً منهم السبعة(٦). وكذلك جمع ابن جرير الطبري المفسر والمؤرخ (ت٣١٠هـ) في كتابه الجامع نيفاً وعشرين قراءة (٧). ومعنى ذلك أن ابن مجاهد كان مسبوقا بأعمال علمية في جمع القراءات والتأليف فيها، واختيار طبقات من أئمتها، كانت أعدادهم تزيد كثيراً عن السبعة، وقد اقتصرت في عمل علمي واحد على خمسة قرّاء يمثلون خمسة أمصار، وهو ما رأيناه عند ابن جبير.

العلماء في عصر ابن مجاهد وما بعده لاموا ابن مجاهد ونددوا بتسبيعه القراءات

ثالثاً: كانت القراءات على كثرتها الكاثرة، ومع مرور الأيام وانتشار دور العلم في المشرق والمغرب ولعدم القدرة على الإحاطة بها جميعا، تمر بمرحلة تشبه «الانتقاء» أو الانتخاب لما هو أثبت وأصح وأوثق، والاقتصار فيه على عدد محدود منها، وقد توقفت - كما سنرى في القرن الثالث للهجرة - عند الرقم سبعة، يقول مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) (٨): «لم تكن عبارة «القراءات السبع» قد عرفت في الأمصار الإسلامية من قبل أو حين بدأ العلماء يؤلفون فيها، وإنما بدأت تشتهر على رأس المئتين (بداية القرن الثالث) بإقبال الناس في الأمصار على قراءة بعض الأئمة دون بعض» (٩)، وذكر أيضاً «أن الناس على رأس المئتين، كانوا:

- بالبصرة على قراءة أبي عمرو ويعقوب، «قارئان».
- وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم، «قارئان».
- وبالشام على قراءة ابن عامر، «واحد».
- وبمكة على قراءة ابن كثير، «واحد».
- وبالمدينة على قراءة نافع، «واحد». واستمروا على ذلك» (١٠). وهذا الذي ذهب إليه يؤكد ظاهرة الانتقاء من كل مصر لقراءة واحدة أو قراءتين من بين قراءات عديدة وقرّاء عديدين، هذا من ناحية، كما يؤكد من ناحية أخرى أن الانتقاء توقف أو تمحور عند جمهور المسلمين عند الرقم «سبعة»، بطريقة تلقائية، ولكن من دون أن يكون هذا الانتقاء في كتاب يتداوله الناس ليصبح وثيقة رسمية، يستند إليها ويعتمد عليها، إلى أن جاءابن مجاهد، فكان الانتقاء عنده محصوراً في الرقم «سبعة»، يقول مكي بن أبي طالب: «فلما كان على رأس الثلاثمئة أثبت ابن مجاهد اسم الكسائي وحذف يعقوب» (١١) لتظل القراءات عنده سبعاً، ومعنى ذلك أن تسبيع القراءات كان متعمداً من قبل ابن مجاهد، رغم أن التسبيع

كانت القراءات على كثرتها ومع مرور الأيام وانتشار دور العلم ولعدم القدرة على الإحاطة بها تمر بمرحلة تشبه «الانتقاء» أو الانتخاب لما هو أثبت وأصح وأوثق

كان قد شاع بين الناس على مدى قرن من الزمان تقريباً، من دون أن يثير ذلك حفيظة أحد، لأن التسبيع آنذاك لم يكن ضمن وثيقة رسمية (في شكل كتاب)، ولم يكن صادراً عن عالم وشيخ من شيوخ القراءات الذين يعتد بأقوالهم، فقد كان مجرد اختيار شاع على أيدي الناس، وقد يكون معه أو يلازمه اختيارات أخرى، وقد تزيد أو تنقص عن الرقم سبعة، ولكن وضع هذا «التسبيع» في كتاب على يد شيخ القرّاء في عصره، هو الذي جرّ عليه اللوم، وأشكل على العامة بين الأحرف السبعة والقراءات السبع.

لم يتهاون ابن مجاهد مع من خرج عن أصول الطرق المعتمدة في علم القراءة وفقاً لما أقرّه علماء القراءات

شيخ القراءات الملوم

ولعل أول من تصدى لابن مجاهد، على تسبيعه القراءات أبوالعباس بن عمّار (ت بعد الثلاثين وأربعمئة هـ)(١٢)، فقد لامه وقسا عليه في تعبيره بقوله: «لقد فعل مسبِّع هذه السبعة مالا ينبغي له، وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كلّ من قلّ نظره، أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر، وليته إذ اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة» (١٣)، وظل العلماء من بعد ابن عمار يرددون هذا اللوم والنقد لمسّبع السبع، وقد ترتب على ظاهرة «التسبيع» أمران مهمان لا بد من التوقف عندهما:

أولهما: كان بهدف دفع شبهة الإشكال على العامة والخلط بين الأحرف السبعة والقراءات السبع، فقد انبرى قوم من علماء القراءات ـ بعد ابن مجاهد ـ للتأليف في القراءات بعيداً عن الرقم سبعة، فقد «ثمنوا القراءات وعشروها وزادوا على عدد السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد لأجل هذه الشبهة»(١٤).

ثانيهما: ساد اعتقاد بين الناس أن كل قراءة خالفت القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد هي قراءة شاذة لا يعتد بها ولا يعوّل عليها. وفي ذلك يقول ابن جني (٣٩٢هـ) ما معناه: إن القراءات أصبحت على ضربين: أحدهما ما أودعه ابن مجاهد كتابه الموسوم بقراءات السبعة وهو ما اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار، وثانيهما: «تعدى ذلك فسماه أهل زماننا شاذاً أي خارجاً عن قراءة القراء السبعة» (١٥)، وفي ذلك يقول السبكي في شرح المنهاج: «صرح كثير من الفقهاء بأن ما عدا السبعة شاذ»، «توهمًا منه» انحصار المشهور فيها(١٦).

ولتصحيح هذا الاعتقاد ـ أيضاً ـ انبرى العلماء لدراسة القراءات الخارجة عن اختيار ابن مجاهد، أو ما توهمه الناس أنه شاذ، وقد صنفوا ذلك في قسمين: الأول: ما شذّ فعلاً عن طرق القراءة الصحيحة المعتمدة، وهو «ما يخالف رسم المصحف»، فلا شك في أنه ليس بقرآن، والثاني: ما لا يخالف رسم المصحف وهو على قسمين: الأول: ما ورد من طرق غريبة، فهذا ملحق بالأول، والثاني: ما اشتهرعن أئمة هذا الشأن القراءةُ به قديماً وحديثاً، فهذا لا وجه للمنع منه (١٧)، وهذا النوع من القراءات الصحيحة «التي لا وجه للمنع منه»، وجاء خارجاً عن «القراءات السبع» هو الذي ألف فيه العلماء واختاروا منه «القراءات العشر والأربع عشرة» (١٨)، واعتدوا بها واعتمدوا عليها، إلى جانب اعتمادهم واعتدادهم بالقراءات السبع.

شيخ القراءات اللائم:

لم يتهاون ابن مجاهد مع من خرج عن أصول الطرق المعتمدة في علم القراءة وفقاً لما أقرّه علماء القراءات، من حيث صحة السند، ودقة النقل، فقد أجمعوا أن أصح القراءات وأعلاها سنداً، وأثبتها روايةً وأَوْلاها بالأخذ، وأَوَّلها تصنيفاً ما يندرج تحت لقب «المتواتر» وهو: «ما رواه جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم» (١٩)، وقد تمثل التواتر في القراءات السبع بإجماع جمهور القراء، ويأتي بعد ذلك ما أدرجه العلماء تحت لقب «المشهور» وهو ما وافق الرسم العثماني، وصحّ سنده، ووافق العربية، وفي ذلك يقول ابن الجزري – وأكده غيره من العلماء –: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا

يجوز ردها ولا يحلّ إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء أكانت عن السبعة أم عمّن هو أكبر منهم» (٢٠).

غير أن بعض القراء استهوتهم أنواع أخرى، كانت عارية من صحة الإسناد، ومخالفة للرسم العثماني، انساقوا وراءها واعتدّوا بها وروّجوا لها، مخالفين بذلك ما اتفق عليه العلماء في هذا الشأن ٠ ومن هؤلاء أبو بكر بن مِقْسَم (٢١)، الذي كان يختار من القراءات ما بدا له أنه أصح في العربية، ولو خالف النقل أو رسم المصاحف، ومنهم أيضا ابْنُ شَنْبوذ (٢٢)، وكانا من علماء النحو، ولعل افتتانهما بالنحو الكوفي بما فيه من تشعيبات هو الذي جرّ عليهما ما جرّ من المحاسبة واللوم. ومما يروى أن هذين المقرئين وابن مجاهد تلقوا علم القراءات عن عالم واحد هو ابن شاذان الرازي، «ولكن اشتراك الثلاثة في التلقي عن شيخ واحد لم يمنع ابن مجاهد من التشدد مع زميليه، لإجماع القرّاء في عهده على الأخذ بالأثبت في الأثر والأصح في النقل وليس الأفشى في اللغة والأقيس في العربية» (٢٣).

فعقد العلماء مجلسين،الأول: لمنع ابن مقسم من قراءته على النحو السابق، وهو ما كان ينكره عليه العلماء، والثاني: لاستتابة ابن شنبوذ. وقد انعقد المجلسان بأمر شيخ القراء ابن مجاهد (٢٤). أما ابن مقسم فقد أُحْضِر بأمر من السلطان وأوقف للضرب فأذعن بالتوبة في حضرة القرّاء والفقهاء، وكتب بتوبته محضراً شهد عليه الحاضرون، وقيل إنه لم ينزع عن تلك القراءات الشاذة التي استتيب من أجلها، وأنه كان يقرأ بها حتى وفاته (٢٥)، وأما ابن شنبوذ فقد عقد له الوزير أبو علي بن مقلة مجلساً، حضره القضاة والفقهاء والقرّاء، ولم يذعن ابن شنبوذ بالرجوع والتوبة، إلا بعد أن جُرِّد من ثيابه وضرب بالدِّرَّة (السوط)على قفاه ضرباً شديداً (٢٦)، ثم عاد بعد ذلك فنقض توبته، ولم يوف بعهده الذي قطعه على نفسه في محضر التوبة السابق فحمل مرة ثانية إلى دار السلطان وعوقب بالحبس (٢٧). ولعل هذا التصرف الحازم من قبل القراء والفقهاء والوزير ابن مقلة والسلطان، كان سبباً في دفع فتنة كادت تحدث في كتاب الإسلام (٢٨)، وكان عاملاً في صون القراءات القرآنية من الاجتهادات الفردية التي تخالف الأصول المتبعة في الرواية والنقل ٠على أن هذه الفتنة تذكر بما يشبهها في عهد عثمان بن عفّان رضي الله عنه، عندما اختلف المسلمون فيما بينهم في القراءات، وكاد يكفّر بعضهم بعضاً، الأمر الذي دفع حذيفة بن اليَمَان إلى مخاطبة الخليفة، فكان الجمع العثماني الذي درأ الخلاف والاختلاف بين المسلمين. ولعلّ ما نسمعه من بعض أوجه القراءات في أيامنا هذه ـ عبر وسائل الإعلام على أيدي القرّاء والمقرئين ـ لا يمثل إلا جزءاً محدوداً من الأحرف السبعة، ذلك أن القراءات السبع والعشر والأربع عشرة جزء من كل، أما الكل فهو الأحرف السبعة ■

القراءات جمعت في مؤلفات علمية قبل ابن مجاهد وقد تحاشت الرقم «سبعة»

الهوامش و المراجع :

(١) د.صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن ص ٣٤٧، دار العلم للملايين ط السادسة، بيروت ١٩٦٩م.
(٢) وقيل سنة (٣٠٠هـ) أو ما حولها، وقيل سنة ٣٢٢هـ أي قبل وفاته بعامين، انظر: الجمع الصوتي للقرآن الكريم ص١٦٨، دار الكتاب العربي – القاهرة د.ت.
(٣) مباحث في علوم القرآن ص ٢٤٩، الجمع الصوتي ص ١١٩.
(٤) الجمع الصوتي ص ١٧٣.
(٥) المرجع السابق، الموضع السابق.
(٦) المرجع نفسه الموضع السابق.
(٧) المرجع نفسه الموضع السابق.
(٨) القيرواني الأصل القرطبي الإقامة أحد علماء القراءات في القرنين الرابع والخامس، طاف كثيراً في البلاد الإسلامية، له مؤلفات تزيد على المئة، وقد ألّف كتابه: مشكل إعراب القرآن ببيت المقدس سنة ٣٩١هـ، انظر: مقدمة مشكل إعراب القرآن مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٤م.
(٩) مباحث في علوم القرآن ص ٧٤٨.
(١٠) الجمع الصوتي ص ٩١١– ١٢٠؛ مباحث في علوم القرآن ص ٢٤٨.
(١١) الجمع الصوتي ص ١٢٠.
(١٢) هو الإمام المقرئ المفسر أحمد بن عمار المهدوي (ت حوالي ٤٣٠هـ)، مباحث في علوم القرآن، هامش ص ٢٤٨.
(١٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ج ١٠ ص ٤٠٦، مطبعة الحلبي ١٩٥٩م، وانظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن ج١ ص ٢٢٩ ط الأولى، الحلبي ١٩٥٧م.
(١٤) فتح الباري ج ١٠ ص٤٠٨ ؛ وانظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ج١ص ٤٣، المكتبة التجارية الكبرى د.ت.
(١٥) ابن جني، المحتسب ج ١ص ٣٢، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٦م، وقريباً من هذا ما ورد في فتح الباري (الموضع السابق).
(١٦) فتح الباري (الموضع السابق) .
(١٧) المرجع السابق، الموضع السابق.
(١٨) مباحث في علوم القرآن ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠.
(١٩) المرجع السابق ص ٢٥٦.
(٢٠) النشر ج١ص٩ ؛ البرهان ج١ص٣٢٧.
(٢١) هو محمد بن الحسن بن يعقوب المشهور بابن مقسم، أحد نحاة بغداد (ت ٣٥٤هـ)، مباحث في علوم القرآن هامش ص ٢٥٤.
(٢٢) هو محمد بن أحمد بن شنبوذ، أحد قراء بغداد ونحاتها (ت ٣٢٨هـ) المرجع السابق، هامش ص ٢٥٢.
(٢٣) مباحث في علوم القرآن ص ٢٥٢.
(٢٤) المرجع السابق ص ٢٥١.
(٢٥) الجمع الصوتي ص ٢٩٨.
(٢٦) المرجع السابق ص ٢٩٢.
(٢٧) المرجع السابق ٢٩٧.
(٢٨) المرجع نفسه ص ٢٩٦.

من فدائيي الصحابة

الشهيد البراء بن مالك

بقلم: أ.د. محمد الزحيلي
كلية الشريعة. جامعة الكويت

أنزل الله تعالى الإسلام على رسول الله ﷺ، فبلّغ الرسالة كاملة نقية، وحمَّل الأمانة من بعده صحابته الطيبين الطاهرين، فقاموا بحملها خير قيام، وشمَّروا السواعد إلى تبليغها للناس، وانطلقوا في أرجاء المعمورة شمالاً وشرقاً، وغرباً، دعاة، ومعلمين، ومجاهدين، وقراء، ومبلغين. قاتلوا في سبيل ذلك، وروَّوا الأراضي بدمائهم الزكية، وانتشرت قبورهم في البلاد المفتوحة، وكانوا بركة وأئمة حيثما حلّوا، ونتيجة لإخلاصهم، ولسر الإسلام، ودعوته الخالدة، دخل الناس في دين الله أفواجاً، وبقيت الشعوب والأمم تحمل الدَّين، وتعتنق الإسلام، وتعترف بالفضل للصحابة الكرام، وتذكرهم بكل خير وفضل، لأنهم حملوا إليهم النور، وكانوا السبب في هدايتهم، ونقلهم من الضلال والوثنية والجاهلية، إلى النور والتوحيد والحضارة، ولا تزال البلدان الإسلامية تفخر بالصحابة الذين ارتحلوا إليها، وأقاموا فيها، وماتوا أو استشهدوا على أرضها. ومن هؤلاء البراء بن مالك، الفدائي، البطل، أحد الفضلاء من أهل المدينة، الذي استشهد عند فتح تُسْتَر في بلاد فارس، ودفن فيها، وقبره موجود فيها.

والبراء بن مالك نموذج رائع عن صحابة رسول الله ﷺ، وله الفضائل الكثيرة، والمكانة الكبيرة، والمواقف البارزة المشهودة، ولذلك يستحق أن يكون مثلاً أعلى للمسلم الفدائي المجاهد في كل زمان ومكان.

اسمه ونسبه

هو البراء بن مالك بن النضر بن ضَمْضَم بن زيد بن حَرام، الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني.

وهو أخو أنس بن مالك لأبيه وأمه، وأمُّهما أم سُلَيْم في رأي الكثيرين، لكن ابن حجر رحمه الله تعالى قال: «وفيه نظر، فأما أم أنس فهي أم سُلَيْم بلا خلاف، وأما أم البراء بن مالك فهي سمحاء «والصواب: سَحْماء» وهي أم شَريك بن سمحاء «والصواب «سَحْماء».

وهذا هو الراجح، لما جاء في «صحيح مسلم» من قصة

شريك بن سَحْماء «وكان أخاً للبراء بن مالك لأمه»، وأكد ذلك ابن القيم - رحمه الله -، وكان أنس قد زوّج بنت البراء بن مالك من مولاه سيرين.

مشاهد البراء بن مالك

ذكر أبو نُعَيْم أن البراء بن مالك كان من أهل الصُّفَّة، وهم الصحابة المتفرغون للعبادة من جهة، ويشكلون الجيش الاحتياطي الجاهز من جهة أخرى، ولذلك شهد البراء بن مالك جميع المشاهد والغزوات مع رسول الله ﷺ، إلا بدراً، فشهد غزوة أحد، والخندق، وما بعدها من المشاهد، وبايع تحت الشجرة في الحديبية. وشهد البراء بن مالك حروب الردة زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وشهد اليمامة وشهد قتل مسيلمة الكذاب، وله أخبار في ذلك، سنذكر جانباً منها.

شارك البراء بن مالك في فتح السُّوس، وأنطابُلس، وتُسْتُر، وكان على ميمنة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه يوم فتح «تُسْتُر»، وله فيها مواقف جريئة وخالدة، ومشهورة، سنذكر بعضها، واستشهد على بابها الشرقي.

وهكذا كانت الدعوة همَّه الأول، وكان الجهاد في سبيل الله غايته القصوى، والشهادة في سبيل الله أسمى أمانيه، ولذلك خرج مع الجيوش الإسلامية من الجزيرة ليبلِّغ دين الله، ويحمل رسالته يؤدي الأمانة، ويضحِّي بدمه الزكي لأجلها، حتى حقق الله له أمنيته في الشهادة، ليبقى حياً يرزق عند ربه، ويخلد في جنات النعيم يوم القيامة.

مواقف البراء

كان البراء واثقاً من نفسه، واثقاً بربه، لا يهاب أحداً في دين الله، ويُلقي بنفسه على الموت، فيهرب منه، حتى أتى قدر الله تعالى له، وكان لا تهتز فرائصه، طامعاً بالجنة وبالشهادة وبمرضاة الله، ويسألها ربه، فكان الفدائي الجريء، وكانت له المواقف المشهودة في الرجولة والبطولة والشجاعة، ومنها:

١ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلت على البراء بن مالك، وهو يتغنَّى بالشِّعْر، فقلت له: يا أخي، تتغنى بالشعر، وقد أبدلك الله به ما هو خير منه، القرآن؟ قال: أتخاف عليَّ أن أموت على فراشي، وقد تفرَّدت بقتل مئة «كافر» مبارزة، سوى من شاركت فيه، إني لأرجو الله ألا يفعل الله ذلك بي، واشتهر أن البراء قتل في حروبه مئة نفس من الشجعان مبارزة.

٢ - زحف المسلمون إلى المشركين والمرتدين في اليمامة حتى ألجؤوهم إلى الحديقة وفيها عدو الله مسيلمة، واشتد قتال بني حنيفة على الحديقة، فقال البراء: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم، فاحتُمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم فقاتلهم على باب الحديقة، حتى فتحه على المسلمين، ودخل عليهم المسلمون، وقتل الله مُسَيْلمة، وجُرح البراء يومئذ بضعاً وثمانين جرحاً، بين رمية وضربة، فأقام عليه خالد بن الوليد رضي الله عنه شهراً حتى برأ من جراحه.

كان الرسول ﷺ يشيد بمواقف الصحابة ويذكر مناقبهم ليشجعهم عليها

٣ - وعن أنس رضي الله عنه أن خالد بن الوليد قال للبراء يوم اليمامة: قم يا براء، قال: فركب فرسه، وحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل المدينة، لا مدينة لكم اليوم «أي قاتلوا قتال المستميت، ولا تفكروا بالرجوع إلى المدينة»، وإنما هو الله وحده والجنة، ثم حمل وحمل الناس معه فانهزم أهل اليمامة، فلقي البراء مُحكِّم اليمامة «وهو قائد جيش مسيلمة» فضربه، وصرعه، وأخذ سيفه، فضرب به حتى انقطع.

وعن أنس رضي الله عنه عن البراء قال: لقيت يوم مسيلمة رجلاً يُقال له: حمار اليمامة رجلاً جسيماً، بيده سيف، أبيض، فضربت رجليه، فكأنما أخطأته، وانقعر، فوقع على قناة، فأخذت سيفه، وأغمدت سيفي، فما ضربت به ضربة حتى انقطع.

٤ - روى الطبراني قال: «بينما أنس بن مالك وأخوه عند حصن من حصون العدو، يعني بالحريق بالعراق، فكانوا يُلقون كلاليب «حديدة معوجَّة الرأس» في سلاسل محمَّاة، فتعلق بالإنسان، فيرفعونه إليهم، ففعلوا ذلك بأنس، فأقبل البراء حتى ترآى في الجدار، ثم قبض بيده على السلسلة، فما برح حتى قطع الحبل، ثم نظر إلى يده، فإذا عظامها تلوح، قد ذهب ما عليها من اللحم، وأنجى الله أنس بن مالك بذلك.

٥ - روى البيهقي وابن الجوزي «أن المسلمين انتهوا إلى حائط قد أغلق بابه، فيه رجال من المشركين، فجلس البراء بن مالك على تُرْس، وقال: ارفعوني برماحكم، فألقوني إليهم، ففعلوا، فأدركوه، وقد قتل منهم عشرة».

٦ - ذكر ابن القيم عن سعيد في «سننه» عن ابن سيرين، أن البراء بن مالك بارز مَرْزُبان المرازبة بالبحرين، فطعنه، فدقَّ صلبه، وأخذ سواريه، وسَلَبه، فلما صلى عمر - رضي الله عنه - الظهر، أتى البراء في داره، فقال: «إنا كنا لا نُخَمِّسُ السَّلَبَ، وإن سلب البراء قد بلغ مالاً، وأنا خامسه، فكان أولَ سَلَبٍ خُمِّس في الإسلام سلب البراء، وبلغ ثلاثين ألفاً، والسَّلَب: ما يأخذه المجاهد من أموال القتيل الكافر في المعركة.

شهد البراء ابن مالك جميع المشاهد والغزوات مع رسول الله ﷺ إلا بدراً

٧ ـ أخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه قال: «لما كان يوم العقبة بفارس، وقد زوى الناس «انصرفوا عن القتال»، قام البراء رضي الله عنه، فركب فرسه، وهي تُزْجى «تُساق» ثم قال لأصحابه: بئس ما عوَّدتم أقرانكم عليكم! فحمل على العدو، ففتح الله على المسلمين. واستشهد البراء رضي الله عنه يومئذ».

٨ ـ لقي البراء زحفاً من المشركين يوم تُسْتُر، وقد أوجعوا في المسلمين، فقالوا له: يا براء، أقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقني بنبي الله ﷺ، فمُنِحوا أكتافهم، وحَمَل، وحَمَل الناس معه، فقتل الرئيس العظيم للفرس، وأخذ سَلَبَه، فانهزم الفرس، ثم قُتل البراء شهيداً رضي الله عنه.

أثنى العلماء على البراءِ بن مالك وبيّنوا مكانته الرفيعة في عبارات ذهبية وجمل مختصرة

فضل البراء ومناقبه

كان رسول الله ﷺ يشيد بمواقف الصحابة، ويذكر مناقبهم، ليشجعهم عليها، ويصرح بها للتشجيع على الثبات عليها، ويرصد خصائصهم، وميزات كل منهم، ويدعو لصاحب الخصيصة، فتصبح تلك الفضائل والمناقب سجايا عندهم، وكأنهم فُطِروا عليها، والتزموا بها، ومن ذلك ما جاء في فضل البراء ومناقبه. وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «كم من أشْعَثَ، أغْبَرَ، ذي طِمْرين، لا يُؤبهُ له، لو أقسم على الله عز وجل لأبره، منهم البراء بن مالك».

هذا فضل البراء، ومنقبته، وصفاته الخَلْقية والخُلقية، وتظهر بجلاء عند بيان مكانته، فهي إيمان قوي، وتواضع جمٌّ، وثقة بالله مطلقة، ويقين صادق، وهمة وقَّادة، وعمل صالح، فإذا اتجه إلى الله تعالى فلا يُخيِّبُ دعاءه ورجاءه، ويستجيب لطلبه، ويحقق نداءه، لأنه لا يطلب إلا الحق والعدل والصدق، وقد تحقق ذلك كما سبق في الروايات، فكانت التجربة والتطبيق العملي أكبر برهان.

مكانة البراء:

أثنى العلماء على البراء بن مالك، وبيَّنوا مكانته الرفيعة في عبارات ذهبية، وجمل مختصرة، نقتبس بعضاً منها:

قال ابن عبدالبر رحمه الله تعالى: «كان البراء بن مالك أحد الفضلاء، ومن الأبطال الأشداء، قَتَل من المشركين مئة رجل مبارزة، سوى من شارك فيه». وقال ابن الأثير رحمه الله تعالى: «وكان شجاعاً مقداماً وكان يكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألا تستعملوا البراء على جيش من جيوش المسلمين، فإنه مَهْلكه من المهالك يُقْدِم بهم».

كانت صفات البراء التواضع من غير ضعف والصلاح مع العمل والقوة على أعداء الله تعالى

وكان البراء حسن الصوت، يحدو بالنبي ﷺ، ويَرْجُز له في أسفاره، فكان هو حادي الرجال، وأنْجَشَةُ رضي الله عنه حادي النساء.

وذكر أبو نُعَيْم رحمه الله تعالى أن البراء بن مالك من أهل الصُّفة، وقال عنه: «وكان طيِّب القلب، يميل إلى السماع، ويستلذ الترنم، أحد الشجعان والفرسان».

هذه هي مكانة البراء بن مالك رضي الله عنه، وهذه صفاته، وهي صفات التواضع من غير ضعف، والصلاح مع العمل، والقوة على أعداء الله تعالى، والشجاعة في الحق، مع الإقدام، وطيب القلب، وحُسن الصوت، والترنم بالشعر بروح أبيّة ترقق القلب، وتشحذ النفس والعواطف، بطلاً مغواراً في الحرب، يُحسب له الحساب، ويَعْدل الصفوف، ويحسم المواقف، فجزاه الله خيراً، وهنيئاً له بالشهادة في سبيل الله تعالى، ليكون في علّيين، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ومع الأنبياء والمقربين.

وفاة البراء

وبعد كفاح مرير، ورحلة مباركة، وجهاد مقدس، توفي البراء شهيداً، حيث استشهد يوم حصن تُسْتُر، وقبره فيها، وذلك في أثناء خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة عشرين من الهجرة، وقيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة ثلاث وعشرين، قتله الهُرْمزان، وأكد ابن عبدالبر وغيره الخبر الأول، وأنه قتل يوم تُسْتُر، لأن السوس وأنطابك وتُسْتُر افتتحت سنة عشرين في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وانفرد الحاكم بقوله: «إن البراء استشهد يوم تُسْتُر، وهي من فارس، وإنما استشهد البراء بن مالك سنة إحدى وعشرين من الهجرة». وهكذا استقر جسد البراء في تُسْتُر من بلاد فارس التي لا يزال علم الإسلام يرفرف عليها طوال أربعة عشر قرناً، والحمد لله، وأن أهلها مسلمون عابدون صالحون، وهم في صحيفة البراء رضي الله عنه، وانتقلت روحه الطاهرة إلى بارئها، لتكون كالطير ترفرف لأهل الدنيا، وفي جنات النعيم، وهي تنعم بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ولم تمت هذه النفس الزكية إلا في وقتها وأوانها المقدَّر عليهم، على الرغم من دخول المعارك، واقتحام المهالك، والإصابة في معركة واحدة بثمانين جرحاً، فلا نامت أعين الجبناء، اللهم ارزقنا حُسن الإيمان بك، والتوكل عليك، وأحسن خاتمتنا ■

أهم المراجع:

الاستيعاب لابن عبدالبر، والإصابة لابن حجر، وأسد الغابة لابن الأثير، ومشاهير علماء الأمصار للبستي، وحلية الأولياء لأبي نُعَيْم، وسير أعلام النبلاء للذهبي، وطبقات ابن سعد، والمستدرك للحاكم، والأعلام للزركلي، والمعارف لابن قتيبة، وزاد المعاد لابن القيم، وحياة الصحابة للكاندهلوي.

غير خاف على كل متحسس أحوال عالمنا المعاصر... ما يعرض للأمة المسلمة وهي بسبيل تطلعها إلى استرداد عافيتها الحضارية وتكاملها... من تحديات ومخاطر على كل أصعدة الحياة.... ولعل ما يعنينا في هذا السياق ما اصطلح على تسميته في إطار التعاونيات الأوروعربية بـ«الشراكة الأوروبية»... وهو مفهوم محدث يعبر عن علاقات ذات أطر وملامح محددة بين الاتحاد الأوروبي وبين كل دولة عربية على حدة، بدعوى ظروفها الخاصة.!!

الشراكة... وأبعاد التنافس الحضاري

بقلم: عطية فتحي الويشي
كاتب مصري

والحقيقة أن الاتحاد الأوروبي حين يمارس هذه السياسة، إنما يمارسها بصفته، ولكنه في الوقت نفسه يحرص على أن تكون صيغة الشراكة مع كل دولة محددة بظروفها الخاصة، كأن تكون هناك صيغة شراكة تونسية تختلف جوهرياً عن صيغة شراكة مع مصر أو مع المغرب وهكذا.

والهدف الظاهر هنا هو التعامل من منطلق الخصوصيات العربية القطرية وتكريسها، والابتعاد عن أي صيغة للشراكة الأوروعربية ذات طابع جماعي، ولا شك أن تكريس الاتحاد الأوروبي لصيغ شراكة مختلفة الجوانب على هذا النحو: إنما يعكس أهدافاً ضمنية قوامها نفي فكرة التجمع العربي، فضلاً عن التجمع الإسلامي.!

فإنه لا يزال عالقاً بأذهاننا صور مروادة الاتحاد الأوروبي حكومة الرفاة التركية - ذات التوجه الحضاري الإسلامي - عن مشروعاتها في إطار التعاون الإقليمي الإسلامي، ولا سيما مشروع مجموعة الدول الثماني الاقتصادية، مقابل الدعم غير المشروط من قِبَل ذلك الاتحاد وحلف الناتو... ذلك فضلاً عن أننا حين نتجه إلى استكناه مفهوم الشراكة، فإننا لا نحصل على مؤشرات واضحة للمكاسب الحقيقية التي يمكن أن نجنيها كأمة من تلك العلاقات المشوبة بالريبة والتوجس.!!

فالشراكة على هذا النحو تعد مشروعاً غربياً لا يخدم إلا المصالح الغربية المحصورة في نقطتين اثنتين، باعتبارهما مصدر تهديد للأمن القومي الأوروبي، وهاجس إزعاج حضاري خطير بالنسبة للغرب بأسره.

النقطة الأولى: هي الحد من ظاهرة الهجرات العربية نحو أوروبا وهذا الاتجاه يتمثل في فتح أسواق اقتصادية لدى الأطراف العربية مما يعني خلق فرص عمل محلية من شأنها الحد من تدفق الهجرة العربية والإسلامية التي تحمل إلى جانب رفع مستواها الاجتماعي العقيدة والتقاليد

الشراكة غول متحفز لإجهاض محاولات التكامل الاقتصادي العربي الإسلامي

الإسلامية أيضاً...! ومن ثمَّ الحد من احتمالات المد الأصولي نحو الغرب ولاسيما أن حركة التسرب الحضاري في المؤسسة الغربية تشهد نمواً مضطرداً لصالح الدعوة الإسلامية. ومواجهة ما يسمى بالأصولية الإسلامية في الأقطار العربية، للحيلولة دون اتساع رقعتها إلى الخارج نحو دوائر أوسع لتتماس بالمحكات - الحدود - الحضارية ... الأمر الذي يستوجب استحداث نمط مختلط من شراكة اقتصادية - أمنية.

النقطة الثانية: إن هذه الشراكة الاقتصادية - أو الأمنية على السواء: لا تراعي في أدبياتها أي خصوصية حضارية لمن تتعامل معهم من جانبنا... فإنه من خلال اتفاقيات الشراكة الأوروبية العربية التي أبرمت حتى الآن مع تونس والمغرب - وفي الطريق مصر والجزائر وبعض دول الخليج - تركز على نقطة فتح أسواق أوروبية في هذه البلاد العربية، الأمر الذي يعد - في تقرير الخبراء - «تقويض أسس الصناعة وتكريس النمط الحالي لتقسيم العمل بين الطرفين، حيث إن هذه الدول غير مؤهلة للمنافسة مع دول الاتحاد الأوروبي».(١)

الشراكة الاقتصادية أو الأمنية على السواء لا تراعي في أدبياتها أي خصوصية حضارية

وإن الذي يدفعنا إلى افتراض سوء النية، والريبة في سلامة المقاصد الغربية حيال علاقة الشراكة هذه ما يلي:

أولاً: إن هذه العلاقة الاقتصادية، تقوم أساسا على فتح الأسواق أمام المنتجات العربية الزراعية... مقابل ضمان تدفق المواد الخام اللازمة للتقنيات الصناعية في الغرب، مما يعني الاتجاه إلى إبقائنا في خانة الانحسار والتبعية، وعلى الجانب الآخر نجد أن «هناك فجوة تكنولوجية قد تؤثر علينا بالسلب في حال إنشاء منطقة حرة مع الاتحاد الأوروبي»(٢)، وذلك يعكس بطبيعة الحال منطق المنفعة والابتزاز الغربي لمقدراتنا الاقتصادية، والتي تتمحور حوله علاقة الشراكة هذه، فنحن في غير ظروفها أمكننا التوصل إلى معدلات أحسن لعمليات التبادل التجاري مع الأغيار وفي أحوال كثيرة.

ثانياً: إن هذا الاتفاق تجاهل الدول العربية غير المتوسطية، رغم أنه يضم دولاً أوروبية غير متوسطية، وهو ما لا يضع ترابط المصالح التاريخية والسياسية والاقتصادية والأمنية والاستراتيجية بين الدول العربية وبعضها بعضاً في الاعتبار وهو ما يعني أن فكرة الشراكة هي فكرة أوروبية خالصة لم تشارك دول الجنوب - الإسلامية خصوصاً في صياغتها أو إخراجها إلا بسهم ضئيل...!! الأمر الذي يؤثر بطريقة أو بأخرى على فكرة التجمع العربي الإسلامي.

ثالثاً: الحال التركية: وما تلقاه من صد وإعراض أوروبي عن مشروعات الاندماج الاقتصادي والسياسي... وعلى الرغم من التوافق الجغرافي... والتناسب الأيديولوجي - على مستوى النظم الحكمية العلمانية فإن تركيا ليست بأفقر من أفقر دولة في الاتحاد الأوروبي - اليونان - وليست لها مشكلات اقتصادية أعوص مما في إيطالياً مثلاً.... أضف إلى ذلك التناسب الأيديولوجي المعاصر بين دول الاتحاد الأوروبي ومؤسسة الحكم في تركيا، هذه الأخيرة التي بلغت بأيديولوجيتها السياسية حداً مبالغاً فيه بحيث يمكننا القول إنه نموذج علماني بالغ الصرامة لا طاقة لأي من دول العالم بتنميطه وتمثله على الإطلاق!! وعلى الرغم من ذلك فقد «رأى الرئيس التركي أن بلاده استبعدت من مشروع توسيع الاتحاد بسبب معايير دينية».(٣).

هذا في الوقت الذي ذهب الاتحاد الأوروبي أثناء انعقاده في كانون أول ١٩٩٧م بلكسمبورج إلى تفضيل وضم دول شيوعية - فضلاً عن قبرص - ذات عهد جديد بالديمقراطية واقتصادات السوق الحرة، مثل جمهورية التشيك، واستونيا، والمجر، وسلوفينيا، وبولندا... إنها إذاً الحساسية الحضارية تجاه قضية التاريخ العثماني الحافل، الذي لا سبيل لدى الغرب إلى تجاهله أو تجاوزه إلى غيره بحال.!

وعلى جانب آخر، فإن كثيراً من المفكرين الغربيين ينظرون إلى التعارض الشيوعي الرأسمالي باعتباره شكلياً فهم «لا يرون في الرأسمالية والاشتراكية أي تعارض أساسي بينهما، بل هما تطبيقان متقابلان لحضارة واحدة».(٤)

رابعاً: الرغبة الجامحة في تأبيد الولاء العربي للغرب، وسد أي سبيل دون اتجاه عربي إسلامي نحو تعاون اقتصادي شطر الشرق الأقصى مع الصين واليابان ونمور آسيا... والذي نحقق من خلاله قدراً أعظم من العدالة والنزاهة، والاحترام والمنفعة الحقيقية... وهكذا كانت الشراكة إحدى الضمانات القوية التي يرتكز عليها التفوق الحضاري الغربي!.

هذه المقاصد الخبيثة... لا سبيل إلى تحاشي أضرارها إلا باتحادنا على أصعدة الحياة كافة وفق رؤى حضارية إزاء قضايانا المصيرية.... وهو ما يبدو: «بمثابة مخرج مناسب وعملي أيضاً، خصوصاً وأن أقوى الأسس التي يستند إليها الاتحاد الأوروبي: إصراره على العمل المنفرد مع كل دولة عربية متوسطية على حدة

والتي من شأنها أن تضر بمواقفنا الجماعية»(٥)، إن تجارب الوحدة كلها بعيداً عن الإسلام لم يكتب لها أي نجاح، ولم تثمر إلا عن فتن وزوبعات. ولعل الطامحين إلى وحدة اقتصادية عربية بغير زخم حضاري إسلامي... (كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) العنكبوت:٤١.

وهكذا يبدو غول الشراكة متحفزاً لإجهاض محاولات التكامل الاقتصادي العربي الإسلامي.... وذلك بإفشالها عن طريق تدشين مشروعات الشراكات ذات التوجه التفكيكي اللعين...!! فضلاً عن الحيلولة دون تواصلنا مع من تكمن مصالحنا في رحالهم... ومحاولة صرفنا عن كل ما فيه نفع وفائدة لنا في المدى البعيد... ولكن ترى متى ستفيق الأمة من غفوتها التي طالت واستطالت حتى بات غطيطها يسمع من مكان بعيد، فتصير هكذا نهباً لكل خوان أثيم... نسأل الله العافية.

ولا يفوتنا أن نشير إلى فخ السوق الشرق أوسطية، الذي يمثل إحدى حلقات مؤامرة التذويب الحضاري ضد الأمة المسلمة، والحيلولة دون صحوتها ونهضتها، ونحن في هذا المقام لن نعول عليه كثيراً باعتباره مشروعاً ولد ميتاً بالمفهوم الحضاري الدقيق.!

الهوامش والمراجع:

١ ـ نقلاً عن: مغاوري شلبي ـ مصر والاتحاد الأوروبي ـ كتاب الأهرام الاقتصادي؛ ١١٩ ـ ١٩٩٧م ـ ٦٢.

٢ ـ انظر الأهرام ـ ١٩٩٦/٩/١٧م.

٣ ـ صحيفة الأهرام المصرية ١٩٩٨/٢/٢١م.

٤ ـ حازم الببلاوي ـ الواقع الاقتصادي المعاصر ـ كتاب العربي ـ الكويت ـ ١٩٨٦م ـ ص ١٨٤.

٥ ـ حسن أبو طالب ـ العلاقات المصرية الأوروبية ـ مقال ـ الأهرام المصرية ـ ١٩٩٥/٨/١١م ـ بتصرف.

التضامن الإسلامي بين النظرية والتطبيق

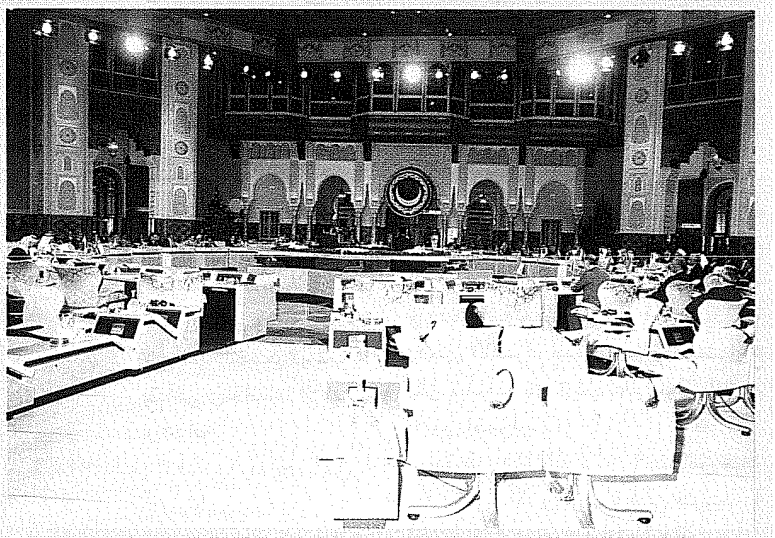

إعداد: أ.د. محمد رواس قلعه جي

جامعة الكويت ـ كلية الشريعة

لعل من أهم ما يطرح للبحث اليوم موضوع «التضامن الإسلامي» نظراً لتفرق المسلمين، واشتغال كل فرد، أو كل جماعة بنفسها، وتناسيها غيرها من الأفراد أو الجماعات الإسلامية، حتى أصبحت الإنسانية في هذا العصر ذات المثل العادية هي المتحكمة، وانمحى خلق الإيثار، وضعف إلى حد التلاشي خلق التضامن، وأصبحت قيمة التضامن المبني على الإيثار قيمة خرافية أسطورية، لا وجود لها في حياة الناس إلا قليلاً، ونحن سنتناول بحث التضامن الإسلامي تناولاً إسلامياً محضاً، وسنبحثه بروح علمية محضة بعيدة عن نشاز العواطف، لأن حاجتنا إلى وضع النقاط على الحروف أكثر من حاجتنا إلى إذكاء الحماس، وسنعرضه بعون الله بشكل نظرية متكاملة بما يتناسب وهذا المقام من الاختصار.

١ ـ تعريف التضامن الإسلامي

لو رجعنا إلى كتب اللغة نسألها عن معنى التضامن؟ لأجابتنا هذه الكتب: أن هذه الكلمة تعود إلى ضمن: وضمن ترد في اللغة بمعان متعددة منها قولهم: ضمن الرجل ضماناً: إذا كفله أو التزم أن يؤدي عنه ما قد يقصر في أدائه، وكلمة تضامن: على وزن تفاعل، وهذه الصيغة تعني ضمن معانيها المشاركة يعني أن يضمن كل طرف الطرف الآخر.

وهذا المعنى اللغوي يتفق مع المعنى المراد في العلوم الاجتماعية إلى حد كبير إذ التضامن فيها يعني: التزام القوي أو الغني معاونة الضعيف أو الفقير، والذي يلاحظ في هذا التعريف أنه لا يبين الإطار الذي يتم فيه هذا التعاون، وهذا ما بيَّنه المفهوم الإسلامي للتضامن من حيث يمكننا تعريف التضامن الإسلامي بقولنا: التضامن الإسلامي هو التزام القوي الوقوف بجانب الضعيف بما لا يتنافى ومقاصد الإسلام وأهدافه.

على الإنسان أن يتضامن مع نفسه أولاً فيغذيها ويزكيها بالقيم والمثل الإسلامية

٢ ـ الأسس العقدية للتضامن الإسلامي

إن أي نظام اجتماعي مهما كان محكم البناء إذا لم يكن مغروساً في أعماق المحكومين فإنه على شفا جرف هار، لأنه لا يلبث أن تعبث به الأهواء أو تضيق به الأنفس، فيكثر الاحتيال عليه، فضلاً عن أن تنفيذه يحتاج إلى جيش من المراقبين لضبط المحتالين والمتهربين من تطبيقه.

والنظم الإسلامية كلها تنطلق من داخل الإنسان، لأنها التطبيق العملي للعقيدة التي يعتقدها ومن هنا كان المسلمون أحرص الناس على تطبيق النظام عندما يكون هذا النظام إسلامياً، وأبعد الناس عن تطبيق النظام وأكثر الناس احتيالاً عليه عندما يكون هذا النظام غير إسلامي.

وإذا أردنا أن نبحث عن الصلة بين نظام التضامن الإسلامي، وبين العقيدة الإسلامية وجدنا أن هذا النظام ينبع من هذه العقيدة، ومن هنا نجد أن أكثر الناس تطبيقاً للتضامن الإسلامي أعمقهم إيماناً، فإذا ما وجدنا من الناس إعراضاً عن تطبيق التضامن الإسلامي، كان علينا أن نداوي ذلك بجرعات من الإيمان.

٣ ـ حكم التضامن الإسلامي

إن قمنا بجولة في بطون كتب الفقه الإسلامي ـ أي الكتب المعنية بحكم التضامن الإسلامي ـ أمكننا أن نميز بين صنفين من التضامن الإسلامي من حيث الإلزام به وعدم الإلزام به، والالتزام به وعدم الالتزام.

١ ـ الصنف الأول: تضامن مفروض بحكم الشرع أعني بذلك أن الإنسان إذا ما رفض القيام بهذا الصنف من التضامن ألزمه القاضي القيام به، ونفذه عليه جبراً شاء أم أبى، فإذا ما رفض الالتزام بما ألزمه به الشارع كان ضامناً لما يترتب على تركه القيام به من أضرار.

ويتجلى هذا النوع من التضامن في:

أ ـ الزكاة: والزكاة هي فريضة تضامنية فرضها الله تعالى على الأغنياء، تؤخذ وتؤدى إلى الفقراء والمحتاجين، قال تعالى في الآية ٤٣ من سورة البقرة (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين). من أداها طيبة بها نفسه يفرج بها عن مكروب ويعين بها ضعيفاً كانت طهرة لنفسه، وكان له أجرها وذخرها عند الله تعالى ومن امتنع عن أدائها كان عليه إثم ترك الزكاة وأخذت جبراً منه مع زيادة إن رأى الحاكم فرض العقوبة المالية عليه مجدياً في ردعه ومنع غيره من إمساك الزكاة فقد روى أبو داود والنسائي والإمام أحمد في المسند ٢/٥ عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أعطى زكاة ماله مؤتجراً فله أجرها ومن منعها فأنا آخذها وشطر ماله، عزمة من عزمات ربنا ليس لآل محمد منها شيء»، وقد كانت الزكاة إلى جانب الفروض التضامنية الأخرى كفيلة باجتثاث الفقر من المجتمع الإسلامي في وقت قصير، رغم أن الفقراء كانوا كثيرين، والمال في أيدي الناس كان قليلاً، فقد نقلنا في كتابنا «موسوعة فقه عمر بن الخطاب» مادة: زكاة/٧ أن معاذ بن جبل بعث بشيء من أموال الزكاة التي جمعها في اليمن إلى عمر في المدينة ـ فأنكر عليه ذلك عمر وقال: لم أبعثك جابياً، ولا آخذ جزية، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فترد في فقرائهم، فقال معاذ: إني لم أبعث إليك بشيء وأنا أجد أحداً يأخذه مني، فلما كان العام الثاني بعث إليه بشطر الصدقة فتراجعا بمثل ذلك فلما كان العام الثالث بعث إليه بها كلها، فراجعه بمثل ما راجعه فقال معاذ: ما وجدت أحداً يأخذ مني شيئاً.

واليوم مع فيض الأموال بأيدي المسلمين ترى الفقر منتشراً بينهم، وهذا دليل إمساكهم عن أداء الزكاة المفروضة عليهم. وقد ضمني مجلس مع أحد الأغنياء من المسلمين فدعوته لإخراج زكاة أمواله، وبعد الحساب الذي أجريته وجدنا أنه إن دفع زكاة ماله فإن هذه الزكاة التي يدفعها تكفي لإعالة ثلاثة آلاف عائلة فقيرة لمدة سنة إذا أعطى لكل عائلة منها راتباً شهرياً مقداره مئة دينار كويتي، أو ما يعادل ألفاً ومئتي ريال سعودي.

أعطى الفقهاء الواجبات التضامنية حكم المستحب إلا أن طمع المسلم بالنجاة وطلبه في الجنة يضعها بدرجة

ب ـ زكاة الفطر: وزكاة

الفطر فريضة تضامنية أخرى يؤديها القادر عليها عن نفسه ومن يعوله إلى المحتاجين.

وإذا كانت الزكاة تتناسب طرداً مع ما يملكه المسلم من الأموال النامية، فإن زكاة الفطر تتناسب طرداً مع عدد الأشخاص الذين يعولهم، وهذه الزكاة رغم إقبال جمهور المسلمين على دفعها لا تكفي للقيام بحاجة المحتاجين، وإن كنا لا ننكر مساهمتها في سد جزء من هذه الحاجة.

ج ـ الكفارات: الكفارات التي شرعها الله تعالى لتكفير بعض الذنوب هي فرائض تضامنية أيضاً، والواجب في الكفارات لا يخرج عن الصيام أو الإعتاق، أو الكسوة، أو الإطعام، والصيام هو تضامن مع النفس لتهذيبها وكبح جماحها، وتقوية إرادتها، والإعتاق تضامن مع جماعة من بني الإنسان أسقط بأيديهم فضرب عليهم الرق، ويقدم لأعتاق المسلم على غير المسلم، بل لا يقبل في بعض الكفارات إعتاق غير المسلم، لأن الحرية أثمن ما يناله الإنسان، فيقدم المسلم فيها على غيره، والكسوة والإطعام، ويدخل في الإطعام الدماء الواجبة في الحج ـ هي تضامن واجب مع فقراء المسلمين لتخفيف ما بهم من فقر.

د ـ النفقات الواجبة على الزوجة والأقارب، كالإنفاق على الأولاد والإنفاق على الوالدين، والإنفاق على الإخوة الفقراء على التفصيل الذي ذكره الفقهاء في كتبهم، هو من الواجبات التضامنية التي تنفذ بحكم الشريعة الإسلامية وإن العرف والضغط الاجتماعي والخوف من اللجوء إلى المحاكم يجعل الناس يطبقون من تلقاء أنفسهم هذا البند من التضامن ولا يحجم عن تطبيقه إلا شاذ.

هـ ـ كل تضامن دعت إليه الضرورة:

وهذا موضع اتفاق بين الفقهاء لا يخالف فيه منهم أحد، نذكر على سبيل المثال ما ذكره ابن قدامة في المغني أن من أضرَّ به الجوع واحتاج إلى طعام غيره وكان ذلك الغير مستغنياً عنه لكونه زائداً عن حاجته، كان المحتاج إليه أحق به ممن هو في يده، فإن طلبه منه وجب عليه بذله له، فإن امتنع عن ذلك كان للمضطر قتاله عليه، فإن لم يقدر على استخلاصه منه فمات من الجوع وجبت ديته على من منعه الطعام لأنه تسبب في موته بمنعه الطعام عنه.

وما ذكره القرطبي في تفسيره ٢٤٢/٢ «اتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة، فإنه يجب صرف المال إليها. قال الإمام مالك: «يجب على الناس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم».

وما ذكره ابن عابدين في حاشيته: إنه إذا شب حريق في منزل ولم يمكن إطفاؤه إلا من منزل مجاور، فعلى صاحب المنزل المجاور أن يأذن بدخول بيته لإطفاء حريق جاره، فإن امتنع عن الإذن، كان لهم الدخول بغير إذنه.

٢ ـ الصنف الثاني: تضامن مفروض بالسلطان الديني لابقوة القانون، وهذا الصنف من الواجبات التضامنية وإن لم يكن لمستحقها أن يقيم الدعوى أمام القضاء بطلبها، إلا أنها تكون واجبة على الفرد بحكم إيمانه وهي ما يعطيها الفقهاء حكم المستحب.

وهذه الواجبات التضامنية قد أعطاها الفقهاء حكم المستحب إلا أن طمع المسلم بالنجاة يوم الحساب، وطلبه الدرجات العلى في الجنة يضعها في قلبه بدرجة الواجبات، نذكر في ذلك الإطار المادي، الصدقات، والتضامن في غير ما هو ضروري وحاجي للوصول إلى الأفضل، كإقراض تاجر مالاً ليوسع تجارته،

وإعارة طالب علم كتاباً ليستفيد منه مع توافر هذا الكتاب في الأسواق، والتوسعة على العيال في الإنفاق وغير ذلك.

٤ ـ أنواع التضامن الإسلامي

عندما نطلق كلمة التضامن الإسلامي يخيل إلى بعضنا أننا نعني بذلك التعاون المادي، مع أن مدلول هذه الكلمة أوسع من هذا المعنى بكثير ومن استقراء الأحكام الفقهية، والآداب الشرعية في الإسلام نستطيع أن نقول: إن التضامن الإسلامي يشتمل على نوعين من التضامن، التضامن المادي والتضامن الأدبي، ونحن سنخص كل نوع من هذين النوعين بكلمة مختصرة تلقي الضوء عليه.

النوع الأول: التضامن المادي

وهذا النوع من التضامن يتمثل في:

أ ـ مجموع الأموال التي تؤدى إلى المحتاجين وهذه الأموال قد تدفع إليهم بشكل نقود، أو أدوية أو أغذية أو ملابس.

ب ـ أو في مجموع الخدمات التي تقضى بها حاجات المسلمين، كدلالة أعمى على الطريق، وإمداد بالخبراء في ميدان من الميادين المتعددة، وإعارة ما يُحتاج إليه، ونقل ابن سبيل إلى بلده، وحفظ الأمانة لمن ائتمنه عليها، والولاية على اليتيم ونحو ذلك، قال

عليه الصلاة والسلام: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته».

ج - أو في مجموع المنافع التي تجلبها للمسلمين: كشراء ما هو متوافر في بلادهم وبلاد غيرهم منهم دون غيرهم، واستثمار الأموال في بلادهم دون بلاد غيرهم، واختصاصهم بالخير دون غيرهم.

والنوع الثاني: التضامن الأدبي

ويتمثل هذا التضامن فيما يلي:

أ - العكوف على النفس وتهذيبها، والعكوف على التصرفات وإقامتها على الطريقة الإسلامية.

ب - مراقبة سلوك كل من الحاكم والمحكوم وتقويمه بلين ورفق على الطريقة الإسلامية بما يتعاطاه المسلم من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

ج - العمل على الارتقاء بالمستوى الفكري للمسلمين بنشر العلم وتعزيز التفكير العلمي بينهم، وإبعادهم عن الخرافة، فقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن قبيلة الأشعريين - وكان عدد العلماء فيهم كثير - تجاور قبيلة قد ساد الجهل بينها فغضب عليه الصلاة والسلام لأنهم لا يتضامنون مع بعضهم بعضاً للعمل على محو الجهل بين صفوف الجهال منهم، فصعد عليه الصلاة والسلام المنبر وقال: «ما بال أقوام لا يعلّمون جيرانهم ولا يفقهونهم، وما بال أقوام لا يتعلّمون من جيرانهم ولا يتفقّهون والله ليعلمنّ قوم جيرانهم ويفقّهونهم، وليتعلّم قوم من جيرانهم ويتفقهون أو لأعاجلنهم العقوبة.(١)

د - العمل على عدم إيقاع المسلمين في الإثم، وإنقاذهم من النار ومن هنا نص الفقهاء على عدم إلقاء السلام على المشغول عن رد السلام، فقد نقلنا في الجزء الأول من كتاب موسوعة فقه إبراهيم النخعي أنه مر بقوم فلم يسلِّم عليهم، فأنكر القوم ذلك، فرجع عليهم، فقال بعضهم: يا أبا عمران مررت بنا ولم تسلِّم علينا، فقال: إنني رأيتكم مشاغيل فكرهت أن أؤثمكم. ونصوا على عدم رفع الصوت بالقرآن عند المشغول عن سماعه لئلا يأثم بترك الاستماع إلى القرآن وهو يُتلى.

ونصوا على عدم أمر المحتضر بالشهادة، بل يكتفي بالنطق بالشهادتين أمامه لأنه وهو في حال شدة قد يرفض امتثال الأمر، فيأثم، بل ربما كانت عاقبته بذلك لا إلى خير.

هـ - تنفيذ الأنظمة التي تصدرها الدولة مادامت لا تتعارض مع أحكام الإسلام، قال عليه الصلاة والسلام: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام كتاب الله فيكم».

و - تأييد المسلمين في قضاياهم العادلة إعلامياً، وفي المحافل الدولية حتى ينتصر الحق وتعلو كلمة الله.

٥ - طرفا التضامن

إن تحديد طرفي التضامن «المتضامِن والمتضامَن معه» غاية في الأهمية وبخاصة في عصرنا الحاضر الذي اختلط فيه الحابل بالنابل، نظراً لاختلال الموازين بفعل الغزو الفكري العنيف الذي اجتاح البلاد الإسلامية.

وشذ عن ذلك جيل يتسمى بأسماء المسلمين ولا يحمل قيم الإسلام ولا مثله ولا يزن أموره بميزانه.

وعلى العموم، فإن المتضامن قد يكون هو المتضامن معه، وعندئذ نسمي هذا التضامن بـ«التضامن مع النفس»، وقد يكون مع غيره وعندئذ نسميه «التضامن مع الغير» وسنبين ذلك فيما يلي:

١ - التضامن مع النفس

على الإنسان أن يتضامن مع نفسه أولاً، فيغذيها ويزكيها بالقيم والمثل الإسلامية، كالرحمة، والكرم، والحب، والإيثار والمروءة ونحو ذلك ويتم ذلك عن طريق ممارسة العبادات بإخلاص فرائضها ونوافلها، ويعتبر الإنسان مسؤولاً أمام الله تعالى عن هذه التزكية قال تعالى: (قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دسّاها) الشمس:٩-١٠.

وقد غفل بعض المسلمين اليوم عن هذه التزكية، نظراً لإقبال بعضهم على مطالب الجسد المادية حتى خبثت النفوس، وتدنّست، وقست القلوب، وأصبحت لا تهتز لآلاف القتلى الذين تزهق أرواحهم وهم مظلومون نتيجة لمؤامرة دنيئة على أرضهم، أو على خيراتهم أو على دينهم، أو نتيجة حقد تاريخي دفين أخذ يتنفس لهباً اليوم.

ب - وعلى الإنسان أن يتضامن مع نفسه فيهذب سلوكها حتى يصبح السلوك المستقيم جزءاً من ماهيتها لا ينفصل عنها لأن الثواب والعقاب عند الله تعالى مرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذا السلوك، ويعتبر الإنسان مسؤولاً أمام الله تعالى عن تهذيب سلوكه، قال تعالى: (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) الإسراء:٣٦.

ج - وعلى الإنسان أن يتضامن مع نفسه فكرياً

أي نظام اجتماعي إذا لم يكن مغروساً في أعماق المحكومين فإنه على شفا جرف هار

من أضرَّ به الجوع واحتاج إلى طعام غيره وكان ذلك الغير مستغنياً عنه لكونه زائداً عن حاجته، كان المحتاج إليه أحق به ممن هو في يده

فينمي عقله بالتفكير السليم، وأنواع الرياضات الفكرية ويغذيه بالعلم النافع.

د ـ وعليه أن يتضامن مع جسده فيقويه بأنواع الرياضة والنظافة وكل ما يعود عليه بالنفع، ليكون قادراً على أداء مهامه بكل جدارة، ويمنع عنه كل ما يضره من المسكرات والمخدرات، يقول عليه الصلاة والسلام: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف».

٢ ـ التضامن مع الغير

إن المتضامن إما أن يكون فرداً أو جماعة، وكذلك المتضامن معه إما أن يكون فرداً أو جماعة...

وسنبين ذلك فيما يلي:

أ ـ تضامن فرد مع فرد: إن تضامن الفرد مع الفرد بغض النظر عن لونه أو جنسيته، أو قوميته، أو دينه أمر إنساني محض ولم يمنع منه الإسلام، بل أمر به مادام في دائرة الحلال فمن حق الجائع أن يُطعم، ومن حق العاري أن يُكسى، ومن حق المشرد أن يؤوى سواء أكان أبيض أم أسود، عربياً أم أعجمياً، مسلماً أم كافراً، وحق الجار ثابت على الجار بقطع النظر عن دينه أو لونه أو قوميته، أو جنسيته، فرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» وقال: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم».

وليس من بأس أن يشتري المسلم من النصراني، وأن يشاركه في تجارة أو صناعة أو نحو ذلك ما دام ذلك في دائرة الحلال.

ولكن الذي يمنع هو أن يحسن المسلم الظن بالكافرين حتى يفضل التعامل معهم والتضامن معهم على التعامل والتضامن مع المسلمين، وهذا ما نشاهد بوادره اليوم بين المسلمين، فإذا ما أراد المسلم مربية لأولاده أو خادمة لبيته اختارها كافرة نصرانية أو بوذية، وإذا ما سألته عن السبب قال إنها أحسن أخلاقاً وأسهل انقياداً، وإذا ما أراد محاسباً أو مديراً لأعماله اختاره كافراً، وإذا ما سئل عن سبب ذلك قال: إنه أكثر أمانة وأشد إخلاصاً، بل وصل الأمر إلى أنه إذا ما طلب منه نصراني ومسلم قرضاً، أقرض النصراني وأمسك عن المسلم بحجة أن النصراني أحسن وفاء للدين من المسلم.

ب ـ تضامن فرد مع جماعة: وتتمثل هذه الجماعة بالدولة وبالمؤسسات وبالهيئات التي يتعامل معها الأفراد، وتضامن الفرد معها يتمثل بالتقيد بأنظمتها، والعمل على ازدهارها، وقد عمل الإسلام على تحقيق هذا التضامن، فجعله فرضاً على الفرد ليقوم النظام.

ولكن نقطة الضعف في ذلك تكمن في أن هذه الدولة أو المؤسسة التي يجب على الفرد طاعتها، هي الطرف الأقوى، وبيدها وضع النظام الذي تريده، وبيدها القوة والسلطان اللذان يكرهان الفرد على القبول. ولذلك فإنه لا يؤمن عدم الطغيان من جانبها.

وقد عالج الإسلام نقطة الضعف هذه بالتحاكم إلى الإسلام ومبادئه كلما ادعى أحد عليها التجاوز والطغيان فقال تعالى: (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) النساء:٥٩. إن من الواجب أن تتضامن الجماعات الإسلامية فيما بينها، فالشركة الإسلامية تتضامن مع الشركة الإسلامية، فلا تشتري احتياجاتها إلا منها، والهيئة الإسلامية تتضامن وتتعاون مع الهيئة الإسلامية الأخرى، إن في مجال البر والإحسان، أو في مجال الدعوة إلى الله، أو في مجال مقاومة الظلم والعدوان على بلاد المسلمين، أو غيرها من المجالات، والدولة الإسلامية تتضامن مع الدول الإسلامية، فلا تستورد احتياجاتها إلا من دولة إسلامية مثلها، ولا تستخدم الأيدي العاملة والخبرة الفنية إلا من دولة إسلامية طالما يتوافر فيها ذلك، وبذلك تبقى ثروة المسلمين تدور بين المسلمين، يتقوون بها على تحسين أوضاعهم العامة، وعلى مقاومة أعداء المسلمين، ليس هذا فحسب بل لا بد من تضامن الدولة الإسلامية مع الدول الإسلامية في مجال الإعلام، وفي المحافل الدولية، فلا يصدر في أجهزة الإعلام الإسلامية أو في محفل من المحافل الدولية ما يضعف موقف دولة من الدول الإسلامية في قضية من قضاياها. إن التضامن الإسلامي فريضة إسلامية لا يجوز إهمالها، لأنها مظهر من مظاهر الوحدة الإسلامية وإن وقعت الحدود واختلفت الممالك، وإذا كان تطبيق النظرية الإسلامية، في التضامن بشكلها الكامل تقوم دونه عقبات يجب أن تعمل الدول الإسلامية والشعوب الإسلامية على إزالتها، فإن ذلك لا يعفى المسلمين من الأخذ بما استطاعوا من هذه النظرية، لأن ما لا يُدرك كله لا يُترك كله. وبعد: فإني لا أدَّعي أنني قد قلت كل ما أريد قوله في التضامن الإسلامي، ولكن حسبي من ذلك أني حددت الإطار العام للموضوع، وأثرت نقاطاً جديرة بالبحث والتأمل، لتكون مادة للمناقشة. أسأل الله تعالى السداد والتوفيق ■

الدولة أو المؤسسة التي يجب على الفرد طاعتها هي الطرف الأقوى وبيدها وضع النظام الذي تريده

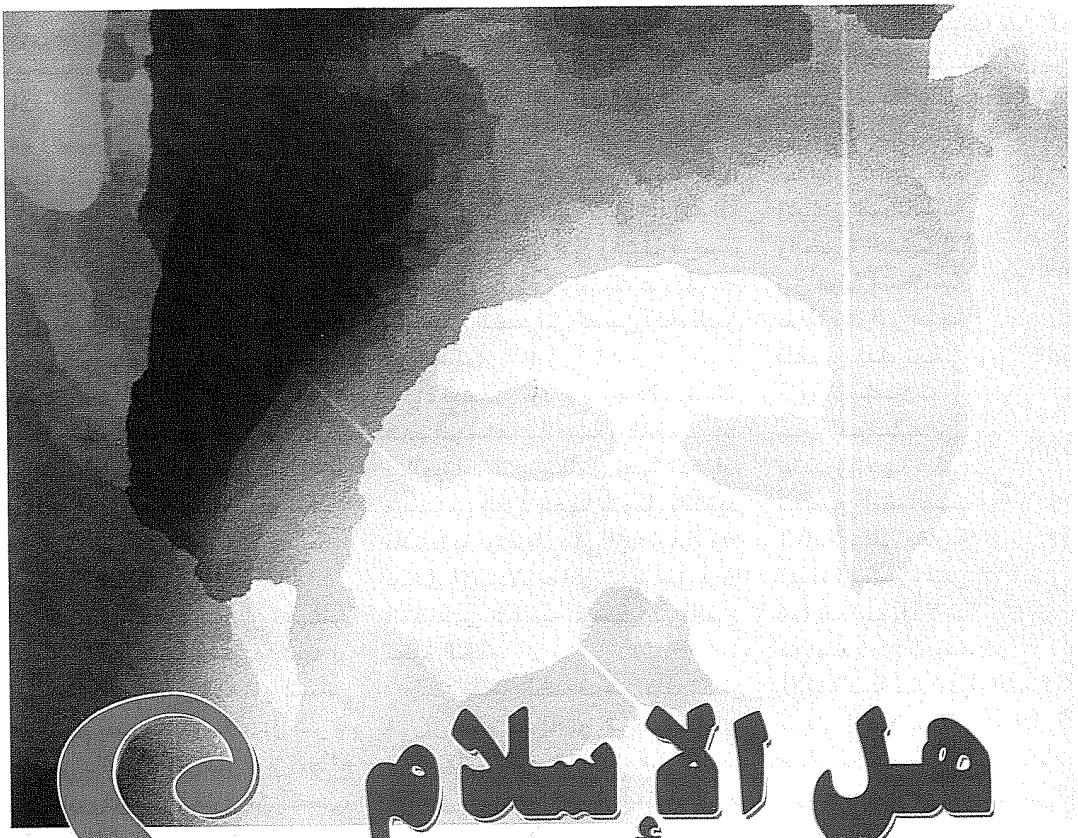

هل الإسلام دين مخيف؟

الوجود الإسلامي المكثّف داخل الدول الغربية يشكل تهديداً محتملاً على مستوى التركيب السكاني لمنظومة الغرب «الأورو-أميركي»

إعداد: د. حسن عزوزي
كاتب مغربي

هل الإسلام دين مخيف؟ أو بالأحرى هل في تعاليم الإسلام ومبادئه ما يخيف الغرب ويضايقه؟ عندما نتمعن جيداً في طبيعة السؤال بحد ذاته يتبادر إلى الذهن سؤال ينطلق في الاتجاه المعاكس هو: هل في المسيحية أو اليهودية ما يخيف الإسلام؟

نحن المسلمين نؤمن طبعاً بكل الكتب السماوية المنزلة من عند الله تعالى، وبالتالي فإننا نقر بأنها إنما أُنزلت لهداية الناس وابتغاء الخير والسعادة لهم في الدنيا والآخرة، وهذا ما يدفع إلى القول: إنه لا يمكن أن تحمل أي دعوة إلى العنف أو إرهاب الناس، فلا شيء إذاً في الأديان السماوية يخيف الناس أو يرعبهم.

الغربيون أنفسهم عندما تتم مناقشتهم في الموضوع بعد اطلاع عقلائهم على المضامين القرآنية والتعاليم الإسلامية بصفة عامة، يقرون بأن الإسلام يعترف بالنصرانية، ويُجل المسيح عليه السلام وأمه ويكنُّ الاحترام لأهل الكتاب، ويأمر بعدم مجادلتهم إلا بالتي هي أحسن، كما أنه يدعو إلى السلم والأمن والتعايش، بيد أنه بالرغم من ذلك فإنهم يتوجسون خيفة من هذا الدين ليس لأن في تعاليمه ما يدفع لذلك، ولكن لأن له تأثيراً قوياً في النفوس وقدرة كبيرة على اكتساح المساحات الجغرافية وتجاوز حدوده التقليدية إلى الحد الذي أصبح فيه حاضراً في كل أرجاء الدنيا، بل في

عقر ديار الغرب النصراني ذاته، كل هذا يجعل الغربيين يعترفون مع شيء من الحيرة والدهشة بأنه فعلاً هناك ما يخيف في الإسلام كدين كاسح له قابلية التنامي والانتشار بسرعة مذهلة وله قوة الجذب والتأثير. وهذه المخاوف لها ما يبررها في نظرهم، فالوجود الإسلامي المكثّف داخل الدول الغربية الذي يمثله نسبة عالية من مجموع المهاجرين من الدول الإسلامية يشكل تهديداً محتملاً على مستوى التركيب السكاني لمنظومة الغرب «الأورو - أميركي»، كما أن إقبال الغربيين على اعتناق الإسلام بكثافة وتلقائية وطواعية واقتناع يجعل مواطنيهم من المهتمين والمتتبعين يتخوفون من احتمال تناقص أتباع المسيحية لصالح الإسلام خصوصاً إذا أخذنا في الاعتبار أن الإحصاءات الأخيرة قد أثبتت أن مجموع أعداد المسلمين في أوروبا وأميركا تنيف عن العشرين مليوناً، ستة منها تتحرك داخل أميركا، وتأتي بعدها فرنسا التي يوجد بها ما يناهز الخمسة ملايين أي نسبة ١/١٢ من سكان فرنسا حسب إحصاءات عام ١٩٩٩م، ونذكر بهذا الصدد أن الفاتيكان كان نشر عام ١٩٨٥م إحصاءات بيَّن فيها للمرة الأولى في تاريخها أن عدد المسلمين فاق عدد الكاثوليك، وحسب هذه الإحصاءات فإن عدد الكاثوليك وقتئذ كان قد بلغ ٨٥٠ مليون نسمة مقابل ٨٦٥ مليون نسمة عدد المسلمين.(١)

من جهة أخرى وحسب إسقاطات من مصادر غربية كان حجم التيار اليهودي المسيحي يمثل ٣١٪ والتيار الإسلامي ١٧٪، وفي سنة ٢٠٢٥م ستنخفض نسبة التيار اليهودي - المسيحي إلى ٢٥٪ مقابل ارتفاع نسبة التيار الإسلامي إلى ٣٣٪، أما توقعات المصادر نفسها لآخر القرن الواحد والعشرين فتشير إلى أن نسبة التيار اليهودي - المسيحي ستكون أقل من ٢٠٪، والإسلامي أكثر من ٤٠٪، وهكذا يمكن القول: إنه بعد أربعة أو خمسة أجيال من الآن ستكون نسبة المسلمين أكثر من ٥٠٪ من سكان العالم.(٢)

بعض المراكز الإسلامية في الغرب تغص بالمصلين يضطر رجال الشرطة إلى تنظيم السير في الطرقات المجاورة لها

غير أن هذه الأرقام التي يرى الغربيون أنها مدعاة للتخوف والتوجس لا تشكل - في حقيقة الأمر - أي تهديد أو خطر على المنظومة الغربية، فالمسلمون القابعون في الديار الغربية أناس بسطاء مسالمون، يمارسون شعائر عباداتهم وتعاليم دينهم بشكل عادي وطبيعي، وجُلّهم من ذوي الثقافة البسيطة السطحية، وهم لا يكنّون أي عداوة أو بغض لمواطنيهم الأصليين الذين يتعايشون معهم وفق أبهى صور التعايش السلمي وأحسنها، فلماذا التخوف إذاً منهم ومن كثرتهم ما داموا لا يضمرون أي شكل من أشكال العنف أو الاعتداء تجاه غيرهم؟ إننا عندما نبحث في أطاريح الغربيين الذين لا يملون الحديث عن خطورة الإسلام الحاضر معهم في أوطانهم نجدهم يتهمون الإسلام بشتى الاتهامات التي ينصبُّ بعضها على الطقوس والشعائر الإسلامية التي يمارسها المسلمون، فهم يرون أن الالتزام بتلك الشعائر والمحافظة على تطبيقها وتفعيل العمل بها «الصلاة والصيام على وجه الخصوص»، يزيد من حدة التشدد والصلابة في المواقف لدى هؤلاء وبالتالي فإنهم يتعصبون لدينهم ضد الأديان الأخرى، وهذا اتهام باطل من أساسه وتخوّف لا مسوغ له، فهناك جهل تام بطبيعة الشعائر الدينية الإسلامية التي لا تدعو في شيء إلى التشدد أو التطرف

كما يزعم القوم، وإنما عكس ذلك فهي تمنح المسلم المؤمن أمناً داخلياً وشعوراً نفسياً مستقراً لا يدفع إلى أدنى مشاعر التشدد أو التعصب، ولعل منبع هذه المخاوف من طرف الغربيين هو ما يستشعره بعضهم من قلق وريبة تجاه المسلمين المقيمين بالديار الغربية الذين يترددون على المساجد أيام الجمع وغيرها بأفواج غفيرة تثير الانتباه لدى المارة وتدعو في كثير من الأحيان إلى الإزعاج، وهذا ما عبرت عنه مراراً مختلف وسائل الإعلام الغربية، وهي توزع وتنشر صوراً للمسلمين وهم يؤدون صلاة الجمعة ببعض البلدان الغربية، وقد ضاقت بهم المساجد فاضطروا للصلاة خارجها «أي في الطرقات والساحات العمومية»، بل إنه في بعض المراكز الإسلامية التي تغص بالمصلين يضطر رجال الشرطة إلى تنظيم السير في الطرقات المجاورة عن طريق تحويل اتجاهات المرور مدة ساعة أو ساعتين يتطلبها أداء شعيرة الجمعة، وبذلك تصبح الصور المنشورة في المجلات والجرائد الغربية (٣) التي تُظهر المصلين سجداً أو ركعاً بأعداد كبيرة ومثيرة منبع قلق ومصدر تخوّف لدى الغربيين وبخاصة عندما يتم إرفاقها وتذييلها بعناوين برّاقة وجذابة تحط من قدر الإسلام وتزدري المسلمين وتحرض على التخويف والترويع من أسس الإسلام ومبادئه وقيمه زعماً بأنها تغذي كل أشكال العنف والتطرف والغلو التي تحدث هنا وهناك، بالمقابل يجب الاعتراف بأن هناك أصواتاً غربية تحذر من مثل هذا الخلط وتندد بالكتابات والتحقيقات الصحفية التي تبالغ في وصم الإسلام وقيمه بشتى نعوت العنف والتعصب التي هو براء منها، فهؤلاء الذين تمثلوا إلى حد ما دعوة الإسلام السلمية والمتسامحة يعترفون بأن بعض مظاهر العنف والتطرف التي تكون وراءها بعض الجماعات الإسلامية لاتستند إلى أي مرجعية إسلامية ولا تغذيها تعاليم الإسلام ومبادئه.

الأمير تشارلز أشاد بأفضال الإسلام على الإنسانية، وانتقد تحامل الغرب عليه وسوء النظرة التي يكونها على تاريخه ومعالم سيرورته

• ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز •

وتكفي الإشارة في هذا السياق إلى ما يقوم به مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية بلندن من جهد مشكور في سبيل استدعاء كبار الشخصيات الغربية المعتدلة للتحدث عن الإسلام وحضارته، وتظهر قيمة ذلك في مدى التأثير البالغ والصدى الواسع الذي تحدثه تلك المحاضرات المنظمة التي تتحدث عنها وسائل الإعلام الغربية وتقدم ملخصات عنها، ولعل أشهر محاضرة احتضنها المركز المذكور هي محاضرة الأمير تشارلز التي ألقاها أواخر عام ١٩٩٣م تحت عنوان: «الإسلام والعالم الغربي»(٤)، وقد أشاد فيها بأفضال الإسلام على الإنسانية، وانتقد تحامل الغرب عليه وسوء النظرة التي يكونها على تاريخه ومعالم سيرورته، يقول: «إننا في الغرب ننظر في تاريخنا إلى الإسلام فنراه مصدراً للتهديد لأنه في القرون الوسطى تمثل بالفتوحات العسكرية، وفي الوقت الحاضر تمثل كمصدر لعدم التحمل والتطرف والإرهاب، ويستطيع الإنسان أن يتفهم كيف أن احتلال السلطان محمد الفاتح للقسطنطينية عام ١٤٥٣م، وانهزام الأتراك في ضواحي فيينا في عام ١٥٢٤م و ١٦٨٣م، بعث الرعب في قلوب حكام أوروبا.

أما حكم الأتراك للبلقان فقد قدَّم المزيد من الأمثلة على الظلم الذي استولى على العالم الغربي، ولكن التهديد لم يكن وقفاً على طرف واحد، إذاً عندما غزا نابليون مصر عام ١٧٩٨م تبع ذلك غزوات وفتوحات كانت في القرن التاسع عشر وأصبح العالم العربي كله محتلاً من قِبَل الدول الأوروبية، وبسقوط الأمبراطورية العثمانية أصبح الاحتلال الأوروبي للعالم الإسلامي كاملاً جامعاً، هذا النوع من الاحتلال قد انقضت أيامه الآن، ولكن حتى يومنا هذا فإن رؤيتنا للإسلام هي رؤية ناقصة شوهتها أعمال التطرف غير الطبيعية... لقد تشوه حكمنا على الإسلام لأننا ظننا التطرف هو الأمر العادي الأساسي... إن التطرف موجود ويجب معالجته ولكن اعتباره الأمر الأساسي في الحكم على أي مجتمع يؤدي إلى التشويه وافتقار الحكم إلى العدالة.

كثيرون من الناس ينظرون إلى الشريعة الإسلامية على أنها قاسية وبربرية وغير عادلة، إن صحفنا قبل كل الصحف تعشق الخوض في هذه الأحقاد، إن الحقيقة هي

غير هذا، فهي مختلفة عن هذا التفكير وأكثر تعقيداً».

هكذا يخلص الأمير تشارلز إلى أن الحكم على الإسلام بأنه مصدر تخويف وتهديد إنما تغذيه الصحف ووسائل الإعلام معترفاً بأن حقيقة الإسلام مغايرة لذلك تماماً.

بعد محاضرة الأمير تشارلز توالت المحاضرات في موضوع الإسلام وحضارته، فوزير الدولة في وزارة الخارجية البريطانية «جفري هون» كان قد ألقى كلمة انتقد فيها التشويه الذي تمارسه وسائل الإعلام الغربية في إلصاق الإرهاب وأعمال العنف بالإسلام وعدم التمييز بين الإسلام والعناصر المتطرفة من المسلمين، وأشار «هون» في محاضرته إلى أن الحكومة البريطانية بالتعاون مع مركز أوكسفور للدراسات الإسلامية تسعى إلى تنظيم سلسلة من الندوات والمحاضرات تبحث الجوانب الأساسية في العلاقة بين الإسلام والغرب، وأوضح أن الحكومة البريطانية أنتجت برنامجين تلفازيين عن بريطانيا والإسلام سيتم عرضهما في جميع أنحاء العالم لإظهار مساهمة المسلمين في المجتمع البريطاني المتعدد الثقافات.

إن مما لا شك فيه أن مثل هذه الأصوات والمبادرات الغربية التواقة إلى ربط جسور الحوار والتفاهم بين الإسلام والغرب كفيلة بأن تحقق أثراً إيجابياً في تحسين صورة الإسلام بين الغربيين، فالشخصيات الغربية المرموقة أقدر على إقناع مواطنيهم وبني جلدتهم بسمو الحضارة الإسلامية ونزعتها السلمية والحوارية.

ولا يفوتنا الإشادة بهذا الصدد بآخر محاضرة نظّمها مركز أكسفورد والتي ألقاها الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان تحت عنوان: «حوار الحضارات والحاجة إلى منظومة أخلاقية عالمية»، وهي حسب النص الكامل الذي نشرته صحيفة «الشرق الأوسط»(٥) تتحدث في مجملها عن دور الحضارة الإسلامية وعدم قابليتها لأي صدام أو صراع مع باقي الحضارات، وأكد أنان على مكانة الإسلام كدين عظيم في العالم كان نبراساً هادياً لأكثر من حضارة عظيمة.

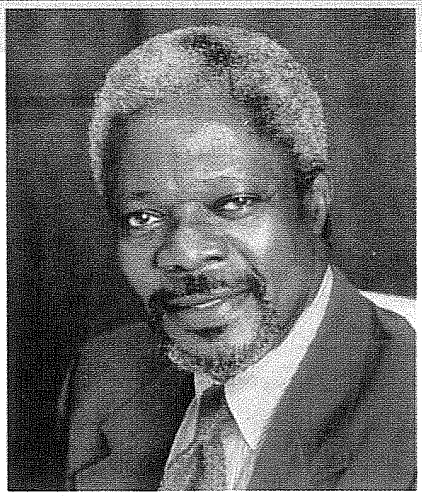

• كوفي عنان •

ومن خلال ملامسته لنظرية «هنتنجغتون» المتشائمة حول صراع الحضارات رفض كوفي أنان تلك النظرية، مؤكداً أن مختلف الصراعات إنما تكون داخل الحضارة الواحدة، يقول:

«ولكن هل من الصائب لنا أن ننظر إلى هذه الصدامات على أنها تقع بين حضارات مختلفة؟ لا أظن ذلك، ففي بعض الأحيان تكون الجماعات المتصارعة ذات ثقافات متماثلة جداً، بل إن بعضها يتكلم اللغة نفسها وتلك هي الحال، على سبيل المثال بالنسبة للصرب والكروات ومسلمي البوسنة في يوغوسلافيا السابقة والهوتو والتوتسي في رواندا».

ويختتم الأمين العام للأمم المتحدة محاضرته بقوله: «يجب أن يقوم الحوار على الاحترام المتبادل، فليس الهدف هو إلغاء الاختلافات بين البشر وإنما هو الحفاظ على هذه الاختلافات، بل الاحتفاء بها بوصفها مصدراً للبهجة والقوة... لقد جاء في القرآن: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)، مما يعني أنه يجب على كل أمة ألا تحترم فقط ثقافة الآخرين وتقاليدهم، بل أن تترك لمواطنيها - نساء ورجالاً على السواء - الحرية للتفكير المستقل...

إن جميع الأديان والتقاليد العظيمة تتداخل عندما يتعلق الأمر بالمبادئ الأساسية للسلوك البشري ومنها الإحسان والعدل والتراحم والاحترام المتبادل والمساواة بين البشر أمام الله» ■

الغربيين يعترفون بأن هناك ما يخيف في الإسلام كدين كاسح له قابلية التنامي

الهوامش :

١ - المهدي المنجرة: الحرب الحضارية الأولى ص ١٤٧.

٢ - المرجع السابق ص ٢٨٧.

٣ - مجلة: L'evenement du jeudi العدد ٢٧٠ «صفحة الغلاف»، ومجلة «لونوفيل أوبسرفاتور» العدد ١١٩٦ ص ٣٦، ومجلة Le point العدد ٨٩٣ ومجلة L'express العدد ١٩٧٥ ص ٤٣.

٤ - نص المحاضرة بجريدة الشرق الأوسط، العدد ٥٤٥٧ تاريخ ١٩٩٣/١١/٦م.

٥ - راجع صحيفة الشرق الأوسط تاريخ ١٩٩٩/٦/٢٨م.

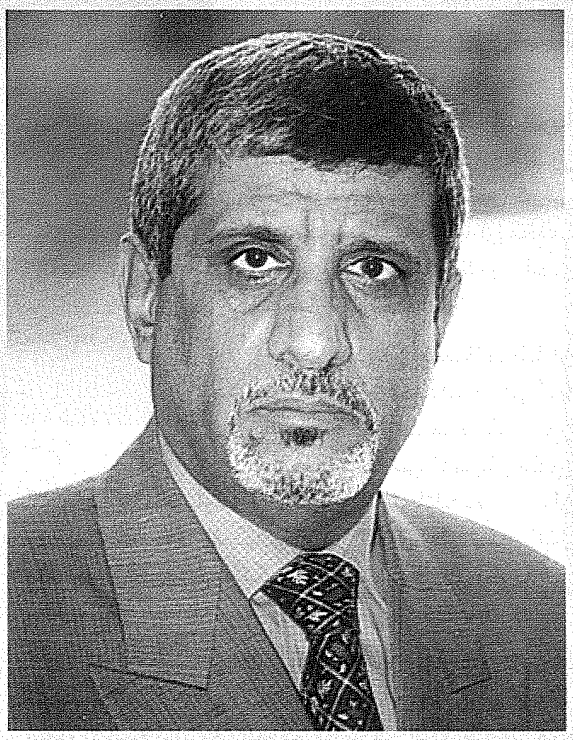

عبدالله
محارب من الوجوه الثقافية الكويتية الأصيلة، اشتغل بالتحقيق والنقد الأدبي قديمه وحديثه، كما اهتم بالشأن الثقافي العام، له نظرة مميزة لتقويم التراث ونقد الحداثة، عمل أستاذاً جامعياً بمركز البحوث والدراسات الكويتية، ويعمل حالياً مستشاراً ثقافياً بالسفارة الكويتية بالقاهرة.

صدر له الكثير من الدراسات أبرزها: «أبي تمام بين ناقديه قديماً وحديثاً»، «أوطان عطشى إلى الإسلام»، زيارة لبيت العنكبوت»، «عدوان على العقل»... ولتقريب القراء من تجربته المعرفية أجرينا معه هذا الحوار:

عبدالله محارب لـ الوعي الإسلامي :

الإسلام سبق الاشتراكية بعدالته الاجتماعية

أجرى الحوار : عبدالسلام الطويل
باحث مغربي

● ما أهم المحطات الأساسية في مساركم الفكري نظرياً وعملياً؟

أشكر لكم هذا اللقاء وأقول: أنا خريج دار العلوم جامعة القاهرة، حصلت على الماجستير في جامعة الإسكندرية، ثم على الدكتوراه في جامعة القاهرة سنة ١٩٨٣م، عملت مستشاراً ثقافياً بالقاهرة من سنة ١٩٧٨م حتى سنة ١٩٩٢م، ثم عملت في الجامعة الكويتية، ودرست فيها، لأعود مرة أخرى مستشاراً ثقافياً إلى القاهرة، كنت مهتماً في أثناء تعليمي الجامعي بالقضايا السياسية إذ كنت من مؤيدي اليسار تأييداً شديداً، عبَّرت عن ذلك بكتابة مقالات عدة في هذا الاتجاه.

يجب التخلص من الأمية أولاً لصعود سلم المعاصرة

لكن بعد نكسة ١٩٦٧م سقطت الأقنعة عن مختلف التنظيمات التي كانت موجودة على الساحة في ذاك الوقت، وهو ما كان داعياً لقيامي بمراجعة

شاملة لقناعاتي واختياراتي السابقة، ومن ثمَّ بحثي عن أفق معرفي جديد وعن مسار حقيقي يعبر بعمق وأصالة عن خصوصية انتمائي الحضاري.

لقد اكتشفت أننا فعلاً كنا مخدوعين ومنجرفين في مسارات فكرية وأيديولوجية لا تعبِّر عن حقيقة وماهية وجودنا التاريخي، كما وجدت أن معظم الصراعات التي خضناها والأفكار التي رددناها كانت عبارة عن شعارات لا تمت إلى واقعنا العربي الإسلامي بأي صلة.

فبعد أن كشفت الهزيمة واقعنا بصورة مزرية قررت العودة إلى الجذور ورأيت أن أبدأ من حيث يجب أن يكون البدء، لأجد أنني كنت أنهل في تعليمي الأولي من مصادر كثيرة في مجالات الأدب والفلسفة والفقه والشريعة أيضاً.

لقد بدأت دراستي بالمعهد الديني بالكويت الذي كان تحت إشراف مباشر من الأزهر، أي أن إداراته ومناهجه كانت كلها أزهرية، كما كان أساتذتنا كلهم أزهريون، فضلاً عن أن والدي كان قاضياً وشيخ علم.

إن هذه العودة إلى الذات جعلتني أدرك أن توجهي السابق كان توجهاً خاطئاً، وأن هناك قضايا أساسية مررنا عليها مرور الكرام، وأموراً جوهرية تتعلق بأمتنا وثقافتنا وحضارتنا، تعاملنا معها تعاملاً سلبياً، واكتفينا بما يُكتب عنها في الخارج من دراسات استشراقية مغرضة في معظمها بوساطة باحثين غربيين أو الداخل بوساطة تلاميذ المستشرقين من العرب.

لقد وجدت أننا كنا مخطئين كثيراً، وظلمنا أنفسنا ظلماً كبيراً، وأننا كنا نطالب الآخرين في التوجه اليساري السابق، ألا ينتقدوا الفكر القومي المشوب بنظرات ماركسية قبل قراءته واستيعابه في حين كنا لا نتحرج من نقد ثقافتنا وحضارتنا دون أن نقرأها وإنما نكتفي بما يكتب عنها دون الرجوع إلى النصوص الأصلية.

لقد قررت تجاوز الوسطاء والعودة مباشرة إلى الأصول، أي إلى الذات دون مسبقات ولا قبليات، والنتيجة أنني عثرت على كنوز ثمينة وكثيرة جداً، كنا ملتفتين عنها تماماً ولا نعرف عنها شيئاً، لقد كنا نحارب أنفسنا بأيدينا.. لقد وجدت أن فكرة الأممية في الفكر الماركسي، والعولمة في الفكر الليبرالي حالياً فكرة أصيلة في

العولمة الثقافية حتمية تعيشها شعوب العالم تدريجياً

التجربة الحضارية للأمة العربية الإسلامية وفي الخطاب القرآني، لكن بشكل أكثر إنسانية واعترافاً بمختلف الأجناس والألوان والأفكار... وهو ما جعل الدعوة الإسلامية دعوة عالمية موجهة للناس كافة دون تمييز.

كما وقفت ملياً على الطابع الموسوعي للثقافة الإسلامية، فالعلوم الإسلامية علوم متشابكة ومتداخلة، فالعالم النحوي مثلاً يتحدث عن الرياضيات والفلك وعن التشريع، وعن طريقة النظر. وعن الطيران... وغيرها، فأبو العلاء المعري يكتب في اللغة والأدب، والفقه، والفلسفة.

● نظراً إلى الترابط الفكري الذي كان موجوداً بين الاشتراكية والقومية في المشرق العربي، ما أثر تخليكم عن هذا الخط على موقفكم من القومية؟

- اعتقد أنه لا فكاك بين العروبة والإسلام، فارتباطهما ارتباط عضوي حقيقي، كما أننا في هذا الخصوص نختلف عن الأمم جميعاً، فبينما يأتي الاهتمام بالدين عند باقي الأمم على حساب القومية، فإن القومية عندنا جزء من الإسلام، وبالتالي فإنني اعتبر أن الصراع بين القومية والإسلام صراع مفتعل، والغريب أنه مازال هناك من يحرص على الربط بين القومية والاشتراكية أو بين القومية والليبرالية، فإذا كانت الليبرالية تقوم على احترام الحريات الخاصة والعامة، وضمان حقوق الإنسان وعلى رأسها حق الملكية وحق التفكير والتعبير والتنقل... وإذا كانت الاشتراكية تركِّز على العدالة الاجتماعية، ومحاربة كل أشكال الظلم الاجتماعي.. فإننا لا نعدم وجود مثل هذه القيم وغيرها في مرجعيتنا الإسلامية.

وهو ما جعلني أتساءل عن سر رغبتنا في أن ننسلخ عن جلدتنا ونعتنق أفكار الآخرين وتصوراتهم وأنماط حياتهم. هذه على كل حال طبيعة الإنسان «المأزوم» دائماً، إننا «مأزمون» حضارياً لا شك في ذلك، ولذلك فإننا ننظر إلى الطرف المنتصر على أنه يمتلك مفاتيح الخلاص من محنتنا وتخلفنا.

● كيف تشكلت في هذه المرحلة علاقاتكم الفكرية؟

- لعل أهم علاقاتي الفكرية على الإطلاق التي شكلت نقطة تحول حقيقية في مساري المعرفي، تعرفي على الشيخ محمود شاكر - رحمه الله -

في مرحلة الماجستير، لقد كان بودي أن ألتقي به في المرحلة الجامعية الأولى، لأنه كان سيمكنني من تكوين قاعدة علمية معرفية. عملت جهداً كبيراً لتداركها، لأن إندراجي ضمن تيار اليسار جعل اهتماماتي العلمية تتراجع. لكن هذا لا ينفي أن تجربتي اليسارية أفادتني كثيراً بالنظر إلى المنطق الجدلي الذي استفدته منها، فضلاً عن الحس النقدي والجرأة على المناقشة والاهتمام بالشأن العام.

ولذلك حاولت أن أعوض ما فات، فقد توطدت علاقتي بمحمود شاكر - رحمه الله - الذي استفدت من علمه وتجربته استفادة كبيرة، وصحح لي معلومات كثيرة جداً، فكان له فضل كبير عليَّ.

ومن العوامل التي حببت إليَّ مجالسة الشيخ محمود شاكر، حبه الخالص للعرب وتعصبه لهم لدرجة أنه كان يراهم في أفعالهم وكل أقوالهم نبلاء، حتى الصعلكة والصعاليك لا يجردهم من التحلي بالأخلاق العربية الأصيلة والمروءة والشجاعة، ولا يمكن أن يصفهم بصفات غير لائقة، لقد ظل يراهم دائماً نبلاء، وبسبب هذا النبل كان اختيار الله عز وجل العرب للرسالة.

● في سياق علاقتكم مع الأستاذ محمود شاكر - رحمه الله - وأثره في إعادة صياغة رؤيتكم للتراث والحضارة الإسلامية... كيف تحددت علاقتكم مع التراث العربي، وكيف كان لقاؤكم الأول مع هذا التراث، ثم كيف تنظرون إلى حضور التراث العربي في الأدب العربي المعاصر إبداعاً ونقداً هل هناك

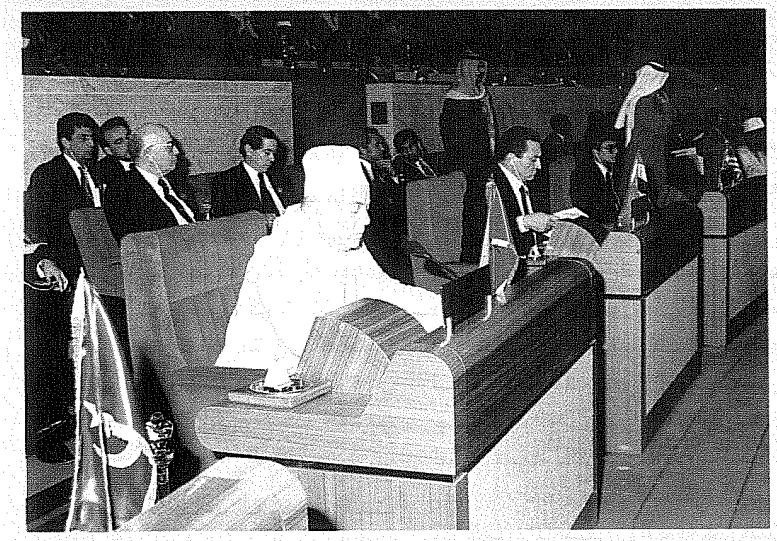

العراق سبب التشتت العربي ويهدد الأمن والاستقرار

استمرار أم قطيعة أم تجاوز أم ماذا؟

- السؤال الذي تفضلت به سؤال مهم، لقد بدأت دراستي النقدية مع شاعر قديم، اختلف حوله النقاد كثيراً، ويتعلق الأمر بأبي تمام الذي يصنَّف بأنه شاعر الصنعة، لقد كان يمثل في عصره التيار المحدث أو التجديدي. لكن خلافاً لتيار الحداثة العربية المعاصرة، كان يمثل اتجاهاً حداثياً أكثر أصالة، لقد كانت حداثة نابعة من صميم التربية العربية، تحترم اللغة وتعشق الأدب وتمجد السابقين من الشعراء والنقاد. ولهذا جاءت دراستي للماجستير عن «أبي تمام بين ناقديه قديماً وحديثاً»، وفي أثناء انشغالي بإعداد هذه الدراسة بدأت أتعرف إلى المخطوطات، لقد اكتشفت أن تراثنا الشعري والنقدي يزخر بالكنوز التي يجب أن نتلفت إليها، وهو ما جعلني ألتفت فعلاً لأثر نقدي مهم في نقدنا القديم يتعلق الأمر بكتاب «الموازنة بين أبي تمام والبحتري» للآمدي العالم اللغوي والناقد المعروف الذي يعتبر من رواد النقد التطبيقي في تاريخنا الأدبي، بعد أن كان معظم النقد العربي نقداً نظرياً. وقد حققت الجزء الثالث من كتاب الموازنة وبلورت حوله دراسة.

كلنا يطمح إلى التجديد، لا نقبل أن نبقى في قوالب جامدة ومغلقة. ولهذا بدأت مسيرة التجديد مع شوقي، ثم مع مدرسة أبولو. ثم مع مجموعة من الشعراء الكبار مثل علي محمود طه، ومحمود حسن إسماعيل، وغيرهم، وكان تجديدهم في إطار هذا الافتخار والاعتزاز باللغة العربية العظيمة بقواعدها ومبادئها الراسخة في الصرف والنحو والبلاغة والعروض.. في الصور الشعرية والاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي... وهو

ما يشكل منظومة لغوية أدبية ونقدية متكاملة تركها لنا الأولون.

أحمد شوقي استطاع أن يجدد لأنه امتلك أداة الإبداع الأساسية، لقد كان يوصف بأنه قاموس لغوي متحرك، لذلك كان يكتب القصيدة قبل إلقائها بساعة.

ثم بدأت تظهر الصرعات الجديدة في التحديث، وخطأ الصرعة الجديدة أنها لم تعتمد على الرغبة الحقيقية للمبدع العربي في التجديد، وإنما استجلبت ظاهرة موجودة في سياق مجتمعي وحضاري مختلف.

إن لغتنا العربية مرتبطة أشد الارتباط بهويتنا الدينية والحضارية، ولما استحال على أعداء هذه الأمة النيل من هويتها الدينية والحضارية، عملوا على الدعوة لتفكيك لغتنا وطالبوا بتكسير كل الضوابط والقواعد اللغوية والبلاغية والمنطقية والجمالية.

لقد استلهم «الحداثيون العرب» بشكل حرفي مضمون بيان الرسامين المستقلين الصادر سنة ١٩١٤م والداعي إلى إلغاء كل ما هو تراثي وقديم وذلك بحرق المكتبات والكتب القديمة والاحتفاء بكل الظواهر والحركات الشاذة في التاريخ العربي كثورة الزنج والقرامطة وغيرها، حتى أن أدونيس استوحى اسمه المستعار مهيار الدمشقي من مهيار الديلمي، إلى أن وصل بنا الأمر إلى ما يسمى بقصيدة النثر، باعتبارها أعلى تجليات الحداثة الشعرية بما فيها من غموض ودعوة لتفجير اللغة والادعاء بانفتاح النص، وتعدد القرارات فبمجرد ما ينتج الشاعر للنص يجب أن يموت، أي ينتهي دوره ليصبح النص ملكاً للقراء.

● هذا حق أريد به باطل، صحيح أن النص تتعدد قراءاته بتعدد التجارب والخلفيات والخبرات، لكن يجب أن يكون قابلاً للقراءة، ألا ترون أن مشكلة النص الحداثي في أغلب الأحيان أنه غير قابل للقراءة أصلاً؟

- لذلك، أنا أحتج عليهم دائماً فأقول: إذا كان النص مفتوحاً ومتعدد القراءات، بالشكل النسبي المنفلت الذي يروجون له، فما تصوركم للوظيفة التعليمية للإبداع الحداثي. هل ستلغون هذه الوظيفة، أم ماذا عساكم تفعلون؟

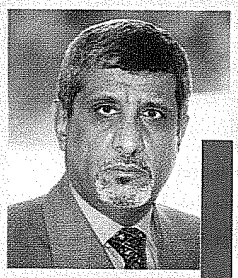

بعد نكسة ٦٧ سقطت الأقنعة عن مختلف التنظيمات وهو ما كان داعياً لقيامي بمراجعة شاملة لقناعاتي

● الملاحظ من خلال الدوريات الأدبية الحداثية المرتبطة بتوجهات علمانية (...) أن هناك نوعاً من التواطؤ بين النقاد وبين المبدعين، وكأن الناقد لا يجرؤ أن يقول: اللهم إن هذا ليس شعراً، خوفاً من أن يوصف بأنه رجعي يقف ضد عجلة الحداثة والتجديد وتطور اللغة على غرار ما يقع في الغرب. ما رأيكم؟

- لقد جعلوا من النقد نصاً إبداعياً مستقلاً، أما التواطؤ فهو تواطؤ مغرض وغير صحي لإرساء أسس حياة ثقافية وأدبية سليمة. أما تطور اللغة في الغرب فمرده حسب تصوري إلى تأثرها بالحياة العامية، أما لغتنا فتظل لغة النخبة، لغة الثقافة والمعرفة، لذلك، فلغتهم تتطور بسرعة.

● ألا يعتبر هذا مصدراً من مصادر الأزمة بالنسبة للتجديد في الثقافة والأدب العربيين؟ ففي المجتمعات المتقدمة اللغة الفصيحة هي نفسها اللغة المتداولة مع فارق بسيط، أي أن لغة النخبة تبقى مفهومة من قبل أغلبية الجمهور، لأن الأمية تنعدم أو تكاد، أما في الوطن العربي، حيث تتجاوز الأمية نسبة ٥٠٪، فإن لغة المبدعين تظل غير مفهومة من قبل أغلبية الشعب، وهو ما يجعل من حركة التجديد حركة فوقية وهامشية ليس لها أي عمق اجتماعي حقيقي يسندها ويُغذيها.

- أتفق معك، فنحن شعوب متخلفة، ومن أبرز سمات تخلفنا الصارخ أميتنا، إننا للأسف أمة أمية لا تقرأ، علماً أن الدول الغربية لم تتقدم إلا بعد أن قضت على هذه الظاهرة، حتى عاميتنا تظل مختلفة عن عامية الشعوب المتقدمة، وأكثر تخلفاً بحيث لا تصلح لأن تكون مورداً للتجديد اللغوي إلا في حدود حالات محدودة جداً، ولهذا فدورنا الحضاري أن نحاول جاهدين القضاء على الأمية

والارتقاء بمستوى عاميتنا لنقترب من مستوى اللغة الفصيحة، ففي نقدنا القديم نجد هذه الظاهرة، أي اختيار كلمات عامية والارتقاء بها إلى مستوى اللغة الفصيحة عن طريق التواضع ولهذا يُقال: «هذه كلمة عامية لكنها حسنت هنا».

● هذه الظاهرة، ظاهرة الارتقاء بالعامية إلى مستوى الفصحى بما ينسجم مع حساسية وذائقة المجتمع كان يعبر عن حقيقة تاريخية مفادها أن الهوة التي كانت تفصل بين حركة التطور الاجتماعي، وحركة التطور الثقافي عند النخبة لم تكن بالعمق نفسه الذي نعيشه الآن. ألا ترون أن التحديث الأدبي يجب أن يبدأ من التحديث الاجتماعي؟

- نعم، أوافقك على هذا الرأي، وكما سبق أن قلت فالتحديث الحضاري لابد أن يكون مهاداً للتحديث الأدبي، وكما تعلم فإن الحداثة عملية متعددة الأبعاد، وما الحداثة الأدبية إلا شكل أو مظهر من مظاهر الحداثة والتحديث الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وبالتالي فالحداثة الأدبية تظل مرهونة ومشروطة إلى حد كبير بتحقق أبعاد الحداثة الأخرى.

● ما موقفكم من التعامل مع الفضاء الثقافي العربي على أنه يتشكل من مراكز وأطراف، ألا ترون أن زمن «الاستعلاء الثقافي» قد ولى؟

- لم يعد لهذا القول وجود حقيقي بعد أن تطورت وسائل الاتصال ووسائل المعرفة، وأصبحت العولمة الثقافية حال تعيشها تدريجياً شعوب العالم، وسقطت بالتالي نظرية المركز والأطراف.

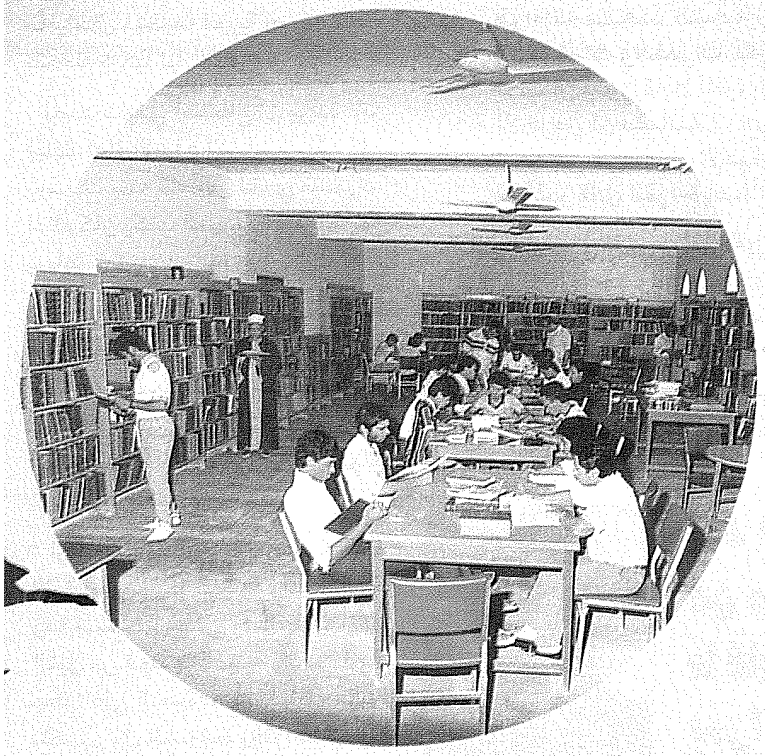

اللغة العربية مرتبطة بالهوية الدينية والحضارية ومحاولة تفكيك البلاغة والنحو تجربة فاشلة

● لقد عكست أزمة الخليج الثانية والمتمثلة في العدوان العربي غير المشروع على دولة الكويت أزمة مضاعفة يعانيها العقد السياسي العربي، والحقل الثقافي العربي في تعاطيه مع مختلف القضايا العربية. ما الخلاصات النظرية والعملية التي يمكن أن نستنتجها معكم بهذا الخصوص؟

- اعتقد أن حال الانفصام الثقافي وأزمة العقل السياسي العربي ستظل مسيطرة على الواقع الثقافي العربي مع غياب شروط التضامن العربي، والمعوق الأول للتضامن العربي هو النظام العراقي، الذي ما فتئ يحطم كل صورة من صور الاستقرار في المنطقة، وهو ما يجعل مشروع التضامن العربي بعيد المنال إلى أن تتغير الشروط الذاتية والموضوعية العربية الراهنة ■

الوعي الإسلامي
الأسرة المسلمة
العدد 418
جمادى الآخرة 1421 هـ
أغسطس / سبتمبر 2000 م

أعمدة الحب السبعة

اقتصاد الأسرة واقتصاد الخصوبة

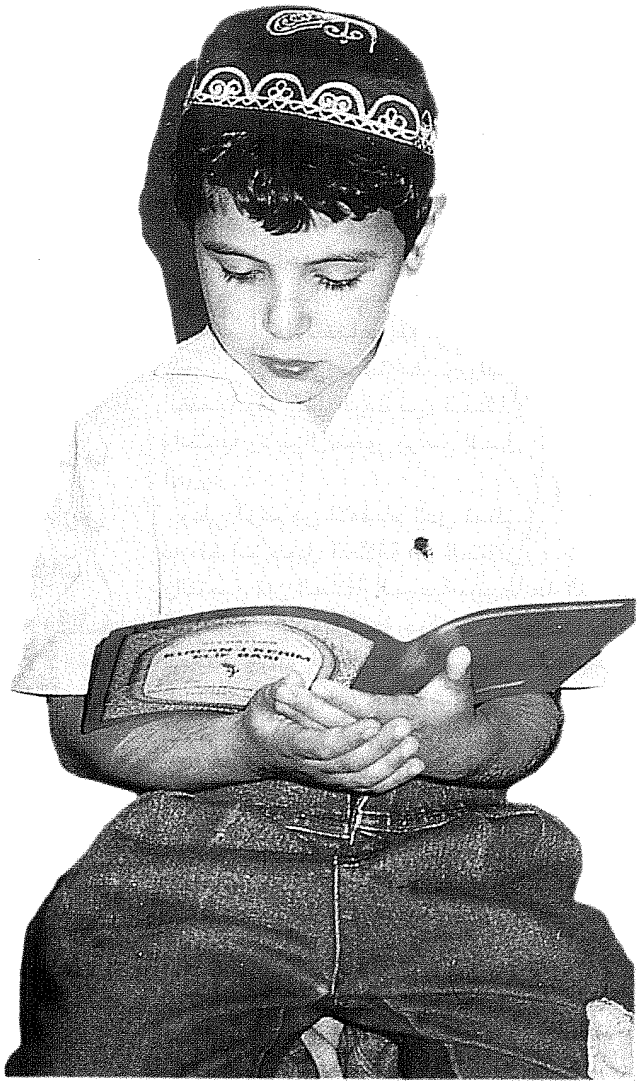

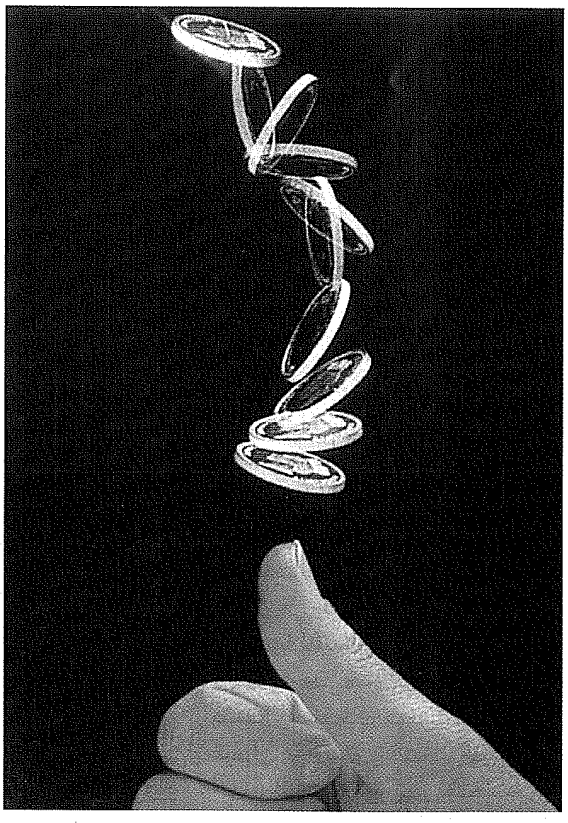

الأطفال الموهوبون كنز لا يُقدر بثمن

اقتصاد الأسرة واقتصاد الخصوبة

إن الأمم الفقيرة لن تستطيع الارتقاء بالدخل الفردي فيها فوق مستويات الكفاف ما لم تمارس خطوات كبح وقائية لزيادة السكان

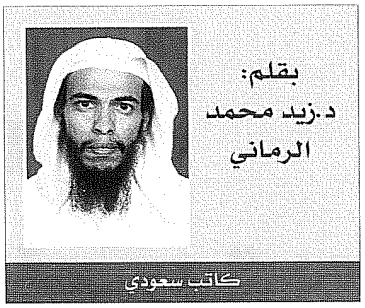

بقلم:
د.زيد محمد الرماني
كاتب سعودي

يشكل موضوع السكان أحد أبرز الاهتمامات في مجال البحث الاقتصادي والاجتماعي لما له من أثر على مختلف جوانب التنمية وقد كان الربط بين السكان والتنمية ولا يزال محور برامج العمل الدولية.

وعلى الرغم من الاهتمام الذي تحظى به منذ أمد طويل العلاقة بين السكان والتنمية، فإن العلاقة السببية بينهما مازالت عصية على الاستقرار وتختلط فيها جوانب أخرى، كما يختلط اتجاه العلاقة، وتكثر الكتابات حول التبعات الناجمة عن النمو السريع للسكان في البلدان الغنية ومعظمها تشير إلى تشاؤم قد لا يكون في محله، بينما ترجح أخرى الأثر الإيجابي على التنمية في البلدان النامية.

وقد طرحت الأدبيات المعاصرة الكثير من الأفكار حول وجود حجم أمثل من السكان يحقق الوصول إلى أصناف اقتصادية أو تنموية مرجوة، بيد أنه من الصعب تحديد التطور المثالي لعدد السكان.

إن علماء السكان الذين يسعون لدراسة العلاقة بين السكان والتنمية مازالوا يطرحون عدداً من النظريات التي تحاول ربط الخصوبة، كقضية سكانية، بالاقتصاد وبالذات التنمية الاقتصادية، ومن أبرز هذه النظريات مصيدة السكان، والنظرية الاقتصادية الجزئية للخصوبة، والنظرية التنموية.

فعندما كتب مالتوس كتابه عن مبادئ السكان طرح فيه ما أصبح معروفاً عن نمو السكان بمعدل هندسي بحيث يتضاعف عددهم كل ٣٠ - ٤٠ سنة، ونمو إنتاج الغذاء بمعدل حسابي وذلك بسبب قانون الغلة المتناقص، الأمر الذي سيجعل دخل الفرد أو إنتاج الغذاء للفرد يميل إلى الهبوط نتيجة لعدم مجاراة زيادة الغذاء الإجمالية لزيادة السكان، مما سيقود بالتالي إلى حد الكفاف والعودة إلى حجم السكان الأولي.

وتتم هذه العودة إما طوعاً بالتزام أخلاقي من الأفراد بتحديد عدد أولادهم، أو كرهاً من خلال المجاعات والحروب، وعادت هذه النظرية المتشائمة إلى الانتشار مرة ثانية بعد نماذج حدود النمو، على الرغم من سقوط عدد من نبوءاتها.

يقول الدكتور عدنان وديع الخبير بالمعهد العربي للتخطيط بالكويت في ورقة بحثية له بعنوان «قضايا السكان في الوطن العربي»: طبقاً للمالتوسية: «إن الأمم الفقيرة لن تستطيع الارتقاء بالدخل الفردي فيها فوق مستويات الكفاف ما لم تمارس خطوات كبح وقائية لزيادة السكان».

وقد انتقدت أفكار مالتوس ونموذج مصيدة السكان من وجهتي نظر كبيرتين: أولاهما: أثر التقدم التقني الذي زاد من إنتاجية الأرض ومن عرض الغذاء ولا يزال بحيث لم تعد «المصيدة» مقفلة بالشكل النظري المطروح في النموذج، وبالتالي قد تتمكن البلدان من الخلاص من هذه «المصيدة».

أما الانتقاد الثاني: فهو موجه للافتراض أن زيادة معدلات السكان الوطنية مرتبطة بشكل مباشر وموجب مع الدخل الفردي للوطن، لكن يبدو أنه لا يوجد ارتباط واضح بين معدلات نمو السكان ومستويات الدخل في بلدان العالم الثالث، حيث إنه نتيجة لتقدم الطب وبرامج الصحة العمومية، فقد هبطت معدلات الوفيات بشدة وأصبحت مستقلة في هذه البلدان عن مستوى الدخل الفردي.

منذ الستينيات، قدم اقتصاديون

علماء السكان مازالوا يطرحون عدداً من النظريات التي تحاول ربط الخصوبة، كقضية سكانية، بالاقتصاد

تفسيرات للخصوبة تركزت على دور العوامل الاقتصادية والاجتماعية في هبوط الخصوبة استناداً إلى دراسات سابقة حول التبعات الاقتصادية لنمو السكان السريع وإعادة صياغة الأفكار المالتوسية.

فمنذ بروز «اقتصاد الأسرة» أكد أكثر من اقتصادي على أن الخصوبة محددة بالقوانين الاقتصادية نفسها التي تحكم سلوك المستهلك، فالأطفال يحققون منفعة لذويهم ويعتمد العدد الذي يرغّب الآباء بإنجابه منهم على تفضيلاتهم ودخولهم، وفي أواخر السبعينيات تم توسيع تطبيق هذه الأفكار على الدول النامية، وبناء على ذلك اتسع مفهوم تدفقات «الثروة بين الأجيال»، على الخصوبة، وبالذات إذا كانت الأم ذات عمل بأجر، حيث إن تربية الأولاد تعني التفرغ لهم، وانقطاع الأجر.

ولكن يقاوم هذا الاتجاه في التفسير مَنْ يرى أن الإنجاب موضوع عاطفي أكثر من كونه اقتصادي، وأن الآباء لا يجرون تحليل تكلفة ـ منفعة عند إنجابهم، بل يتقبلون ارتفاع تكلفة الإنجاب وتبعاته المعاصرة من تعليم أطول ذي نوعية أعلى وأكثر تكلفة، وتلعب مجانية التعليم والمنح الحكومية للإنجاب دوراً مهماً في إبطاء هبوط الخصوبة، ولكنها لم توقفه بدليل حال البلدان المتقدمة حالياً.

ونظراً للمصاعب التي اكتنفت النظرية الكلاسيكية للخصوبة في القدرة على تفسير مراحل التحول الديمغرافي فقد اتجه الاقتصاديون إلى الاقتصاد الجزئي ونظرية خيار المستهلك في الطلب على السلع، واتجهوا أيضاً إلى استعمال مبادئ التحليل الاقتصادي.

فقررات المستهلك تعتبر رشيدة، طالما أن كل آخر وحدة من الإنفاق على كل السلع والخدمات تعطي المنفعة الحدية الإضافية نفسها.

وحديثاً تمَّ توسيع تحليل خيار المستهلك «اقتصاد العائلة»، من السلع والخدمات، ليشمل الطلب على الأطفال بافتراض أن لسلوك الخصوبة رشاداً اقتصادياً.

وتعتبر النظرية الاقتصادية الجزئية للخصوبة أن الحصول على الأولاد هو سلعة استهلاكية أو استثمارية مثلها مثل بقية السلع، وأن الطلب على الأطفال على مستوى الأسرة، يمكن أن يتأثر أيضاً بتفصيلاتها، من حيث عدد الأطفال الباقين على قيد الحياة ضمن نمط ثقافي معين، ومن حيث تلكفة تنشئة الأطفال، وبمستوى دخل الأسرة.

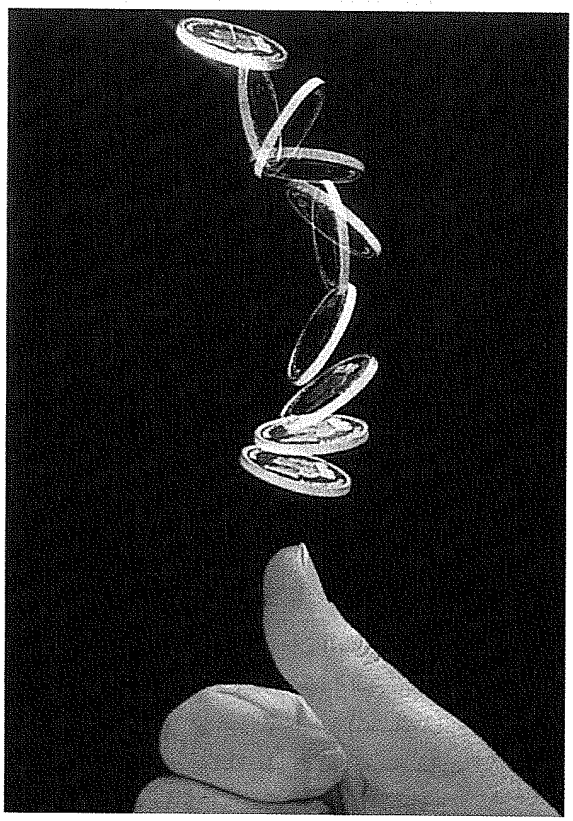

وعادة ما ينظر إلى الأطفال في المجتمعات الفقيرة على أنهم سلع اقتصادية استثمارية، حيث يتوقع منهم عائد مستقبلي، من خلال عملهم كأطفال أو اهتمامهم برعاية آبائهم عندما يصبح الآباء خارج القدرة على العمل.

وقد أظهرت نظرية الاقتصاد الجزئي للخصوبة «خصوبة الأسرة» أن أفضل طريق لجعل العائلات، ترغب بعدد أقل من الأطفال، هو رفع تكلفة تربية الطفل من خلال تقديم فرص تعليم أكبر له ولأمه، وتوسيع فرص العمل المأجور أمام النسوة الشابات، وتقليص فرص العمل للأطفال بوضع حد أدنى لسن العمل.

وختاماً أقول: إن الكثير من المتغيرات التنموية الإيجابية لها أثر إيجابي على تخفيض نمو السكان.

ونذكر من هذه المتغيرات: ارتفاع الدخل وعدالة توزيعه وتقلص الفقر وانتشار التعليم والصحة.

كما أن معظم المتغيرات السكانية الرئيسة ترتبط بمستوى التنمية البشرية للبلدان، أكثر من ارتباطها بمستويات الدخل أو بمعدلات نموه.

ما يؤكد أن المدخل التنموي لقضايا السكان قد يشكل العمود الفقري لأي سياسة سكانية فاعلة ■

تلعب مجانية التعليم والمنح الحكومية للإنجاب دوراً مهماً في إبطاء هبوط الخصوبة ولكنها لم توقفه بدليل حال البلدان المتقدمة حالياً

الأطفال الموهوبون كنز لا يُقدر بثمن

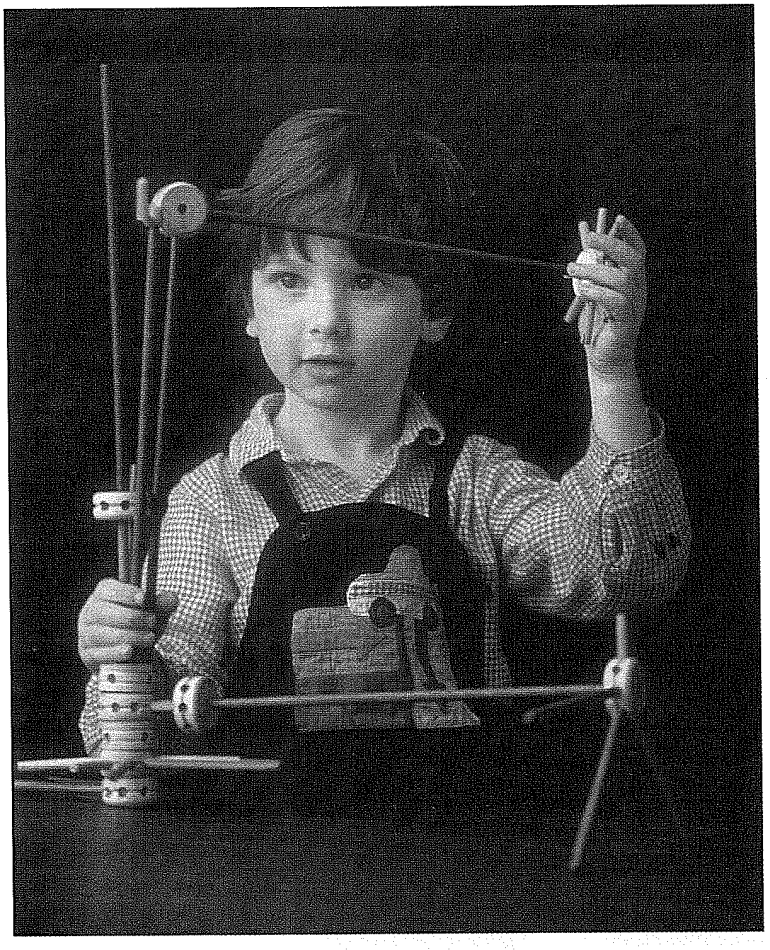

المهندس: حواس محمود
كاتب سوري

ينجب الآباء أبناءهم ويودون لو أنهم يتمتعون بحظ من الذكاء، وإن كان الآباء يهتمون بجمال الخلقة وتمام الصحة، إلا أنهم يرون في يقظة أطفالهم واستجابتهم لما حولهم متعة كبيرة... والآباء مغرمون عادة بحب أبنائهم لدرجة تجعل بعض الآباء يبالغون في تقدير أبنائهم، فالأب عادة يرى أن ابنه أجمل وأذكى الأطفال جميعاً، وذلك لأنه يحب أن يرى ابنه في أعلى الدرجات، فذكاء الأبناء يؤخذ دليلاً على ذكاء الآباء... وإذا ارتفع ذكاء الطفل لدرجة تجعله يعلو في تصرفاته كثيراً عما كان ينتظر منه بالنسبة لسنه، قيل إنه موهوب، فالطفل الذي تكون سنه عشر سنوات ويتصرف بما ينتظر من طفل عمره خمس عشرة سنة لا شك أنه طفل موهوب.

تعريف الأطفال الموهوبين

يشير المعنى اللغوي للموهبة إلى استعداد المرء للبراعة في فن ما أو نحوه، كنظم الشعر، وموهبة جمعها مواهب، أما معجم المصطلحات النفسية والتربوية الذي أعده زيدان، فإنه يشير إلى أن الموهبة تطلق على الاستعداد، أو القدرة في مجال ما... (زيدان ١٩٧٩م ص٣٤٤)، ويذكر لايكوك أن الأطفال الموهوبين هم من تفوقوا في قدرة أو أكثر من القدرات الخاصة، وتضيف هيلدرث على ما ذكره لايكوك قائلة: «إن الطفل الموهوب هو من تظهر موهبته في مجال أكاديمي أو غير أكاديمي (عبدالغفار ١٩٧٧م)، وبناء على هذه التعريفات وغيرها كثير يمكن تعريف الأطفال الموهوبين بالقول إنهم أولئك الأطفال الذين توجد لديهم موهبة خاصة أو منحة طبيعية، أو استعداد خاص ومميز في بعض المجالات، ما يستدعي وجود مهارات خاصة مثل: اللغة، الرياضيات، الرسم، الشعر، الكتابات الإبداعية، الفنون التشكيلية، القيادة الاجتماعية، المهارات الميكانيكية، الحرف اليدوية، فخالد بن الوليد أو أبو حنيفة أو الخليل بن أحمد أو ابن تيمية أو جابر بن حيان أو ابن سينا أو الرازي أو الجواهري، وغيرهم هم من الموهوبين الكبار في مجالات عرفوا بها.

سمات الأطفال الموهوبين

يمكننا أن نوجز خصائص وسمات

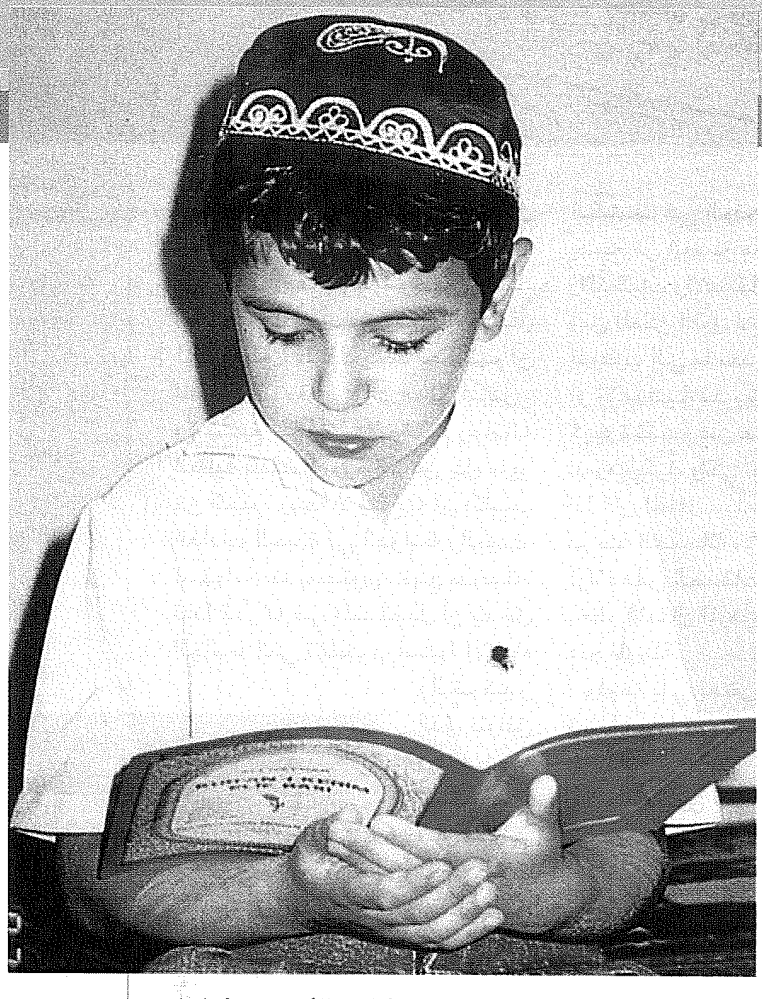

الأطفال الموهوبين بما يلي:

١ ـ وجود بعض الصفات الخاصة المتعلقة بطبيعة الموهبة التي يبرعون بها.

٢ ـ تتسم عمليات التفكير لدى الأطفال الموهوبين بالسرعة والمنطقية مقارنة بالعاديين، فمنطق الطفل الموهوب لا يقبل أي إجابة غير منطقية أو ناقصة، ولا يكتفي بكلمة «لأن...» بصورة مقتضبة، وفي ضوء هذا التفكير المنطقي والسريع ليس من المستغرب أن تكون المقدرة على طرح التساؤلات وعلى المحاكمة والاستدلال والحذاقة في التفكير كلها من السمات التي تميز الطفل الموهوب.

٣ ـ يتمتع الأطفال الموهوبون بشخصية تتسم بالإرادة القوية والعزم والتصميم والثقة بالنفس والاستقلالية والميل أكثر من غيرهم للمجازفة واكتشاف المجهول، وسعة الخيال وروح الدعابة والمرح، والتحرر من التقاليد والدافع القوي للتعلم في مجال مواهبهم والعمل الجاد والدؤوب فيها دون كلل أو ملل.

٤ ـ إن التحصيل المدرسي للأطفال الموهوبين في المجال الذي تظهر فيه موهبتهم غالباً ما يعلو على المتوسط، وبمقدار ملحوظ، ولكن ليس شرطاً أن يكون هذا التحصيل بهذا الشكل في بقية المجالات.

٥ ـ قد تظهر لدى بعض الأطفال الموهوبين الموهبة الفائقة ـ سواء أكانت في اللغة أم في الحساب أم في القدرات الفنية أم الأدبية ـ في سن مبكرة من حياتهم، ومن المناسب الانتباه هنا إلى مثل هؤلاء الأفراد وتعهدهم بالرعاية المناسبة التي قد تخلق منهم عباقرة في المستقبل.

إذا ارتفع ذكاء الطفل لدرجة تجعله يعلو في تصرفاته كثيرا عما كان ينتظر منه بالنسبة لسنه، قيل إنه موهوب

مشكلات الأطفال الموهوبين

يدرك الذين يعايشون الأطفال الموهوبين أنهم يتصدون لمصاعب خاصة لا تواجهها الطفل العادي إطلاقاً وليست هذه المشكلات نتيجة غرور وخيلاء، وإنما هي بسبب نظرة الآخرين لهم، ومن أخطر مشكلات الأطفال الموهوبين مشاعر اللامبالاة والإهمال التي يبديها آباؤهم إزاء عبقريتهم، وقد يمعن بعض الآباء في تثبيط العبقرية عند أبنائهم، وقد يكون الوالدان في شغل شاغل عنهم بمشاكل الحياة ما يجعل التعرّف على أحوال الطفل غير واضحة، وقد يكون شعور اللامبالاة عند الوالدين ناتجاً من الفقر والجهل، وتجدر الإشارة هنا إلى أنه في كثير من الحالات يخشى أولياء الأمور أن يحول نبوغ الطفل دون استمرار تفاهمهم معه، أو أن يفلت زمامه من أيديهم فلا يستطيعون بعد ذلك كبح جماحه، وهناك أسباب أخرى يخشى أولياء الأمور من أجلها الاعتراف بمواهب طفلهم ومساعدته على تنميتها فقد يتصور بعضهم أن امتياز الطفل في مواهبه قد يحول بينه وبين تكوين علاقات طيبة وصداقات مع الآخرين، وهناك أيضاً من الآباء من لا يزال يتعلق ببعض الخرافات التي ترى أن هناك علاقة وثيقة بين النبوغ والجنون،، وأن الموهوبين أكثر تعرضاً للأمراض النفسية من الأفراد العاديين، وعلى شعور اللامبالاة عند الوالدين نجد بعضاً منهم يغالي في الاحتفاء بذكاء طفله بل يدفعه دفعاً نحو ممارسة المسائل العقلية والفنية ما يثقل كاهله ويفسد نموه الطبيعي.

وفي غمرة دفع الآباء لأبنائهم الأذكياء نحو التفوق العقلي يغفلون عن أن نمو الطفل الاجتماعي والعاطفي قد لا يكون على مستوى نموه العقلي، ويفوتهم أن النمو المتكامل للطفل الموهوب هو سبيله إلى الإبداع

المنشود، ولعل من أهم مشاكل الأطفال الموهوبين أنهم يوضعون على الأغلب في مدارس مناهجها موجهة لإرضاء احتياجات ومستويات الأطفال المتوسطين، ولذلك يجد بعضهم أن المدرسة لا تحقق رغبات الطفل الموهوب ولا تشبع حاجاته ولا تتلاءم وطاقاته العقلية فيتكاسل ويحجم عن بذل مزيد من الجهد، وبهذا لا يُتاح له أن يكتسب العادات الجيدة في الدراسة والبحث، استهانة منه بمستوى منهج مدرسته، فإذا قُدِّر له في المستقبل أن يدخل الجامعة التي تتطلب دراستها الانتباه والتركيز الذي يتوافق وموهبته وانتباهه، فإن أخطر المشكلات التي يتعرض لها الطفل الموهوب تنجم عن استهانة مدرسه به، دون أن يحاول تحدي ذكاءه وإطلاق طاقاته العقلية، وهذا يسبب له خيبة أمل وانطواء، وهناك مشكلة تكوين الصداقات مع زملاء الفصل، على الأغلب أن زملاء الفصل يستكثرون عليه قدراته العقلية فيعرضون عنه، فإما أن يفرض نفسه عليهم وبشتى الطرق، أو يعتزلهم إلى عالم الكتب والنشاطات العقلية الخاصة، وحتى في حال تقبل زملاء الفصل له، فإنه لن يكون سعيداً بأنشطته العادية التي قد تبدو له تافهة.

أخطر مشكلات الأطفال الموهوبين التي يواجهونها اللامبالاة والإهمال التي يبديها آباؤهم إزاء عبقريتهم

الكشف عن الأطفال الموهوبين

الحقيقة أنه كلما تم الكشف عن الموهوب في وقت مبكر من حياته، تيسّرت له ظروف وشروط أفضل لتوافر الخدمات والبرامج التربوية والتعليمية الملائمة، وإن لم يتم هذا الكشف في الوقت المناسب، فإنه يصبح من العسير مواجهة الاحتياجات والمتطلبات والاستفادة بشكل كامل... ومن الممكن القول إن التأخر في كشف الموهوب إلى ما بعد المرحلة الابتدائية أو الإعدادية قد يؤدي إلى خسارة كبيرة تنجم عن عدم توافر ما يلزم لنموه مبكراً، ولكي نستطيع أن نقرر ما إذا كان للطفل مواهب نادرة، وهو في مرحلة الحضانة مثلاً، لابد أن نعرف أولاً بعض الصفات التي يتميز بها معظم الأطفال الموهوبين عقلياً، وهم في هذه المرحلة.

وفيما يلي بعض الأسئلة التي قد تساعدنا في التعرف على هذه الصفات:

١ ـ هل يفوق الطفل أترابه ـ ممن هم في سنه ـ في الكلام؟ هل يدقق في استخدام حصيلته اللغوية الوفيرة؟

٢ ـ هل يظهر قدرة على الابتكار والتحايل والخيال في أثناء مواجهته للمشكلات؟

٣ ـ هل هو شغوف بأكثر من شيء واحد؟، هل يسعى إلى المزيد من المعرفة عن طريق هذه الأشياء؟ هل يسأل أسئلة كثيرة ذات مغزى ودلالة؟ وهل يهتم حقاً بالإجابة عنها؟

٤ ـ هل يحب الكتب؟ وهل يمكنه تمييز بعض الكلمات المكتوبة ويفهمها؟ هل يرغب في القراءة؟ هل يطلب المساعدة على تعلّم القراءة قبل سن السادسة.

٥ ـ هل يبدي اهتماماً مبكراً بالزمن وساعات الحائط والتقاويم التي تعلق على جدران المنزل؟

٦ ـ هل يمكنه التركيز على موضوع ما لفترة أطول مما لا يستطيع معظم أقرانه أن يفعلوه؟

كلما تم الكشف عن الموهوب في وقت مبكر من حياته، تيسّرت له ظروف وشروط أفضل للنجاح

هذه هي بعض الأسئلة التي يجب على الآباء أن يجيبوا عليها بموضوعية ويمكن أن تساعدنا هذه الإجابات في البحث عن الموهوبين في منازلنا، فالقدرة على الكلام والمشي في وقت مبكر والأسئلة الكثيرة، والسهولة أو القدرة الفائقة على استخدام الكلمات والأفكار والقدرة على الإيجاز والوضوح في التعبير ـ كلها يجب أن نلاحظها ونضعها في الاعتبار.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن تقدير أولياء الأمور لأطفالهم تقدير تقريبي تنقصه الدقة، فقد يكتشف أب أن طفله ذكي، ولكنه لا يستطيع أن يحدد درجة ذكائه، ولما كانت فرص المقارنة بين الأطفال غير متوافرة، فإننا ننزع إلى أن نقدر تقديراً أعلى أو أقل مما هو عليه فعلاً، ويزداد الأمر صعوبة حينما يحاول الآباء العاديون تقدير مواهب أطفالهم الفنية والاجتماعية، فالمنزل تنقصه الاختبارات والمقاييس العقلية، كما أنه كثيراً ما تعوزه المعرفة اللازمة للحصول على صورة حقيقية دقيقة عن قدرات الطفل وللاستناد إلى ذلك تقع على المدرسة مسؤولية التقدير الدقيق لقدرات ومواهب الأطفال، فإذا اكتشف المدرس ـ على سبيل المثال ـ أن هناك من يسهم كثيراً في السؤال والجواب أو أنه حريص على الاكتشاف حين تتوافر فرصة اكتشاف حل المشكلة أو بناء فرضية في مواجهة مسألة رياضية أو علمية أو لغوية أو اجتماعية أو فنية أو من يملك المهارة الفائقة على الرسم واستخدام الألوان أو من يملك المهارة الفائقة في الكتابات

الإبداعية مثل «القصة - الشعر - الرواية - كتابة الخواطر والخطابة والتمثيل...» إذا اكتشف المدرس ذلك كله تأكد من مجموعة الخصائص التي تؤيدها الدراسات التي تهتم بسمات الموهوبين - والتي سبق لنا ذكرها آنفاً.

ومن الممكن أن يساعد الأهل المعلمين في عملية الاكتشاف هذه إذا علمنا أن دراسات «تيرمان» الشهيرة أوضحت بأن الملامح الأولى للتفوق لوحظت أول ما لوحظت من قبل الأبوين، مقارنة مع الأتراب عن طريق ملاحظاتهم لعدد من السمات التي لا تتوافر لديهم، ولا بد من تدعيم هذه الملاحظات بمجموعة من الاختبارات أو الروائز النفسية وبينها رائز أو أكثر لقياس المواهب الفنية كالموسيقا والرسم... وغير ذلك، وكذلك هناك رائز أو أكثر لقياس الإبداع، لأن بعض الموهوبين قد تظهر لديهم القدرة العالية على الإبداع في مجال موهبتهم ومن اللازم في حال وجود هذه الروائز أن تكون صالحة لقياس جوانب محددة لدى الطفل في العالم العربي.

كيف نربي الطفل الموهوب

الطفل ذو الطاقة العقلية الهائلة يجب استغلالها على أكمل وجه وإلا أصيب بخيبة أمل، وربما أصبح عبئاً على المجتمع يمتلئ نقمة وحقداً، وعندها يصعب علاجه وإعادة تسيير الأمور في الاتجاه الصحيح، ولهذا ينبغي على الآباء أن يهيئوا الأجواء الملائمة لأطفالهم، ومن الخطأ التصور بأن الموهوب إنسان لا يحتاج إلى التوجيه والإرشاد لكي ينمّي مواهبه ويطورها، ومن الخطأ أيضا أن نتصور بأن الموهبة تقود الموهوب تلقائياً إلى أهدافها، وأن الموهوب قادر أن يختار بنفسه المصادر التي تساعده على التعبير عن إبداعه مسترشداً بقوة الموهبة والطبيعة، وتزداد أخطار هذه الأخطاء في التصور في الفترات المبكرة من حياة الموهوبين.

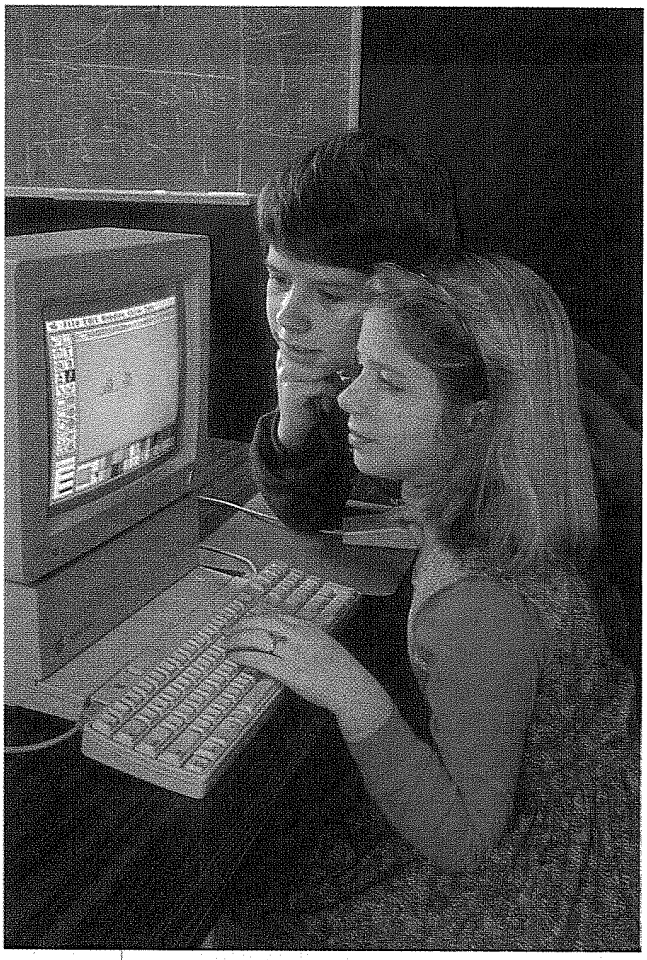

أما المدرسة فإنها تتحمل المسؤولية العظمى، فعلى القائمين بشؤون التربية أن يتلمسوا أحدث السبل وأفضلها لتربية الموهوبين، وهناك اتجاهات عدة في تربية الأطفال الموهوبين، منها نقل الطفل إلى فصل دراسي أعلى من عمره الزمني، بحيث يلائم عمره العقلي، وطريقة القفز أو الطريقة التقليدية هي التي مازالت تتبع في بعض البلدان العربية والأجنبية، وأضرار هذه الطريقة أكثر من منافعها بالنظر إلى أن الطفل يحشر مع زمرة من الأطفال تكبره سناً وتختلف عنه في الميول والاتجاهات، وهذا يشعره بالعزلة والانطواء، غير أن الطريقة المتبعة هي وضع نوابغ الأطفال في الفصول الدراسية العادية مع العناية بإعداد مناهج خاصة إضافية يكلفون بالقيام بها في بيوتهم، وفي ساعات النهار في المدرسة، وتعرف هذه الطريقة بـ«التقوية للمناهج» وهنا يجد الطفل النابغة في المناهج الخاصة ما يتحدى ذكاءه، كما أنها لا تسبب له عزلة اجتماعية، بل ينغمس مع المجموعة ويشارك في نشاطاتها المختلفة، فإذا لم يبدع في الألعاب، فإن له من ذكائه ما يملأ به نفسه فرحة واغتباطاً فتنمو شخصية وتكون متزنة متكاملة ■

المراجع:

١ - د.مصطفى النجار «الموهبة والعبقرية لدى الأطفال» مجلة الكويت عدد ١٣٧ مارس ١٩٩٥م ص٦٠.

٢ - د.مها زحلوق «العناية بالأطفال الموهوبين» مجلة بناة الأجيال عدد ٣٢ تشرين أول ١٩٩٩م ص٤٨.

٣ - «أطفالنا الموهوبون» تأليف بول ويتي - ترجمة د.صادق سمعان - مراجعة وتقديم د.عبدالعزيز القوصي.

٤ - د.عبدالستار إبراهيم «هؤلاء المبدعون الصغار» مجلة العربي عدد ٢٤٦ - مايو ١٩٧٩م ص١١٥.

٥ - فؤاد أبوحطب - آمال صادق - علم النفس التربوي - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ط٤ سنة ١٩٩٤م.

٦ - مها زحلوق - التربية الخاصة للمتفوقين - منشورات جامعة دمشق ط١ - سنة ١٩٩٤م.

٧ - محمد مصطفى زيدان - معجم المصطلحات النفسية والتربوية - دار الشروق - السعودية - جدة ط١ - سنة ١٩٧٩م.

هل العقاب ضرورة تربوية؟!

بقلم: عبدالحميد غزي بن حسن
باحث تربوي سوري

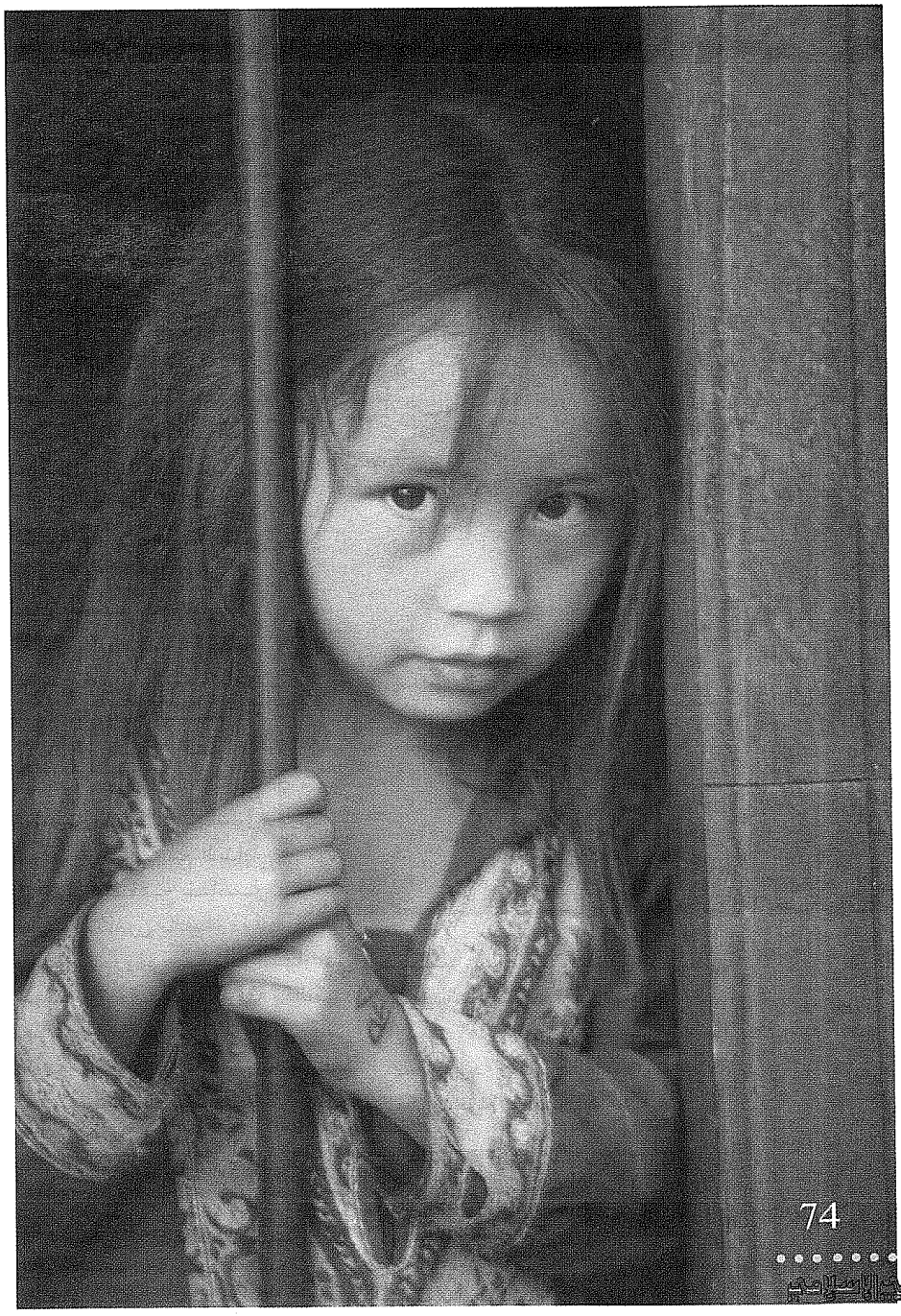

«لقي أحد تلاميذ المرحلة الابتدائية، في إحدى الدول العربية، حتفه إثر ضربة عنيفة تلقاها من معلمته في الفصل، جعلت القلم الذي كان يكتب به التلميذ يخترق القصبة الهوائية من جسده، وقضى الله أمراً كان مفعولاً، إذ فقد التلميذ حياته».

تذكرت عند قراءتي للخبر السابق مقدمة ابن خلدون (الفصل ٣٢) التي يقول فيها: «إن الشدة على المتعلمين مضرة بهم، لأنه يدخل الضيق عليهم، ويذهب بنشاطهم، ويدعو للكذب والخبث لتفادي العقوبة»، ويقرر ابن خلدون في مفهومه للعقاب أن يكون الضرب فيما لا بد منه ولا يزيد عن ثلاثة أسواط، فذلك في نظره كاف لبلوغ الغاية من عقوبة الجلد، وباختصار فإن عدم إيقاع العقوبة البدنية إلا في حال الضرورة.

ومبررها أن التهاون من المعلمين قد يؤدي إلى ما تؤدي إليه العقوبة البدنية نفسها، إذا زادت عن حدها، فنجد أن ابن سينا يؤكد أن «حسم الداء خير من علاجه وعلى المربي أن يجنب الطفل مقابح العادات وينكب عنه معايبها»، فيما يقول البستالونزي: «لا يمكن تربية الطفل إلا بجو من الحب والاحترام».

ولنا هنا أن نطرح تساؤلات عدة: هل عقاب التلميذ في المرحلة الابتدائية جزء

مما يؤمن به بعض المربين بأنه التربية؟! وهل عادة الضرب ورجع السوط الأداة المفضلة للتأديب؟ وهل نريد لطفلنا أن يعيش دائماً في حال خوف وشعور بالألم والإدانة من ما يرتكبه، فيتعلم البغض والكره والغش والكذب؟

أسباب وحلول

ولمعرفة ماهيّة الأسباب في حادثة التلميذ الذي لقي حتفه، نقول: إن المعلم يعاقب تلميذه إما لعدم إتقان الأخير درسه، أو لسوء سلوكه داخل الفصل... أو... أو... إلخ، والتلميذ لا يتقن درسه إما لعدم توافر الوقت، أو لأنه لا يملك كتاباً أو لا يعتقد بجدوى الدراسة، وكذلك فالتلميذ لا يكتب واجباته إما لضيق زميل يتعاون معه أو لعدم فهمه الدرس.

الضرب يشوه أعماق الطفل ويملؤه بالرعب والخوف

إذاً ما الحلول المطروحة لحل مثل هذه المشكلة؟

لا أعتقد أن المعلم يحب العقوبات إن لم يكن مريضاً نفسياً، وأعتقد جازماً أننا إذا حاولنا حل المشكلة بشكل تربوي معقول، لانعدمت العقوبة في مدارسنا من خلال معرفة إعطاء الأهمية لدور المرشد «الموجه» وبتعاون بين المعلم والأولياء والإدارة بغية الوقوف على الحلول الصحيحة.

ولنتذكر جيداً أن الضرب يشوه أعماق الطفل ويملؤه بالرعب والخوف والحيرة، وعلينا جميعاً أن نتذكر القول: «عاقب طفلك بإحدى يديك وداعبه بكلتيهما»، ينصاع الطفل إلى اللهجة الحازمة المشوبة بالحنان وجزاؤه من مخالفة النظام طبيعي مثلاً، «لعبه بالنار يحرق يده»، وأن الطفل يتعلم ما يعيشه، فحين يعيش الخوف يتعلّم القلق، وحين يعيش القسوة يتعلم الأنانية، وحين يعيش القلق يتعلّم الشعور بالإثم.

وعلى المربي أن يزود الطفل في المرحلة التي «بين المدرسة والأسرة»، بمجموعة من العادات تهدف إلى تهذيب السلوك الذي نرغب في أن يكتسبه الطفل والذي مهدنا له منذ الطفولة الأولى، وأن يدرك معرفة أسباب تمرده وما السبل إلى تقويمه! ولندرك أن سبب تمرده يعود إلى إثبات شخصيته... مع الاقتداء بقول هارون الرشيد لمربي ابنه:

«قومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة». وبقول القاسمي: «أن يكون المربي رفيقاً بالأطفال»، وكذلك قول ابن سحنون: «وجوب تجنب الضرب وبخاصة على رأس الطفل ووجهه والابتعاد عن هذا العمل في ساعات الغضب في المرحلة الثانية للطفل».

اقتراحات عملية

وأود هنا أن أسجل بعض الاقتراحات حول قضية العقوبة في العملية التربوية لعلها تفيد:

- العمل على إيجاد وظيفة المشرف الاجتماعي، وإعطاء الأهمية لدور المرشد النفسي، وتخصيص حصتين أسبوعيتين لرائد الصف بغية دراسة حالة الطلاب.

- تخفيض عدد التلاميذ في الشعبة الواحدة.

- الاهتمام الجدي بمجالس أولياء الأمور والمعلمين واختيار المدرسين الأكفاء.

- تخصيص غرفة في كل مدرسة، لتكون بمثابة مكتبة يؤمها الطلاب، يكتبون فيها وظائفهم أو ما يكلفون به من أعمال.

فوظيفة المربي تعويد الطفل تدريجياً وتشجيعه على البحث والتنقيب عن المعلومات بنفسه، والتفكير فيها بمفرده، والعقاب البدني يجب أن يكون آخر وسيلة كما أن آخر الدواء الكي، ويجب ألا تمس كرامة التلميذ ولا توجه إهانة له، وعدم تكرار التوبيخ والابتعاد عن التهديدات بالعقوبات المخيفة الوهمية، كالحرق بالنار والحبس في غرفة مظلمة.

أفضل وسيلة للتربية الحزم مع العطف والمحبة مع التوجيه السليم

وختاماً أيها المربون...

- لا تعاقبوا طفلاً على شيء كان يقوم به ولم يُنه عنه، ثم بدا لكم أن فعلته تصنف مع الأخطاء.

- إن أفضل وسيلة للتربية هي الحزم مع العطف، والمحبة مع التوجيه السليم.

- زودوا الطفل أثناء لعبه بمجموعة من العادات الهادفة إلى تهذيب السلوك، والسلوك الذي نريد تلقينه لأبنائنا هو نمو داخلي لا يمكن أن يعتمد في تطبيقه على القوة الخارجية.

وختاماً... يبقى سؤال... هل العقاب ضرورة تربوية؟! مطروحاً للمناقشة ■

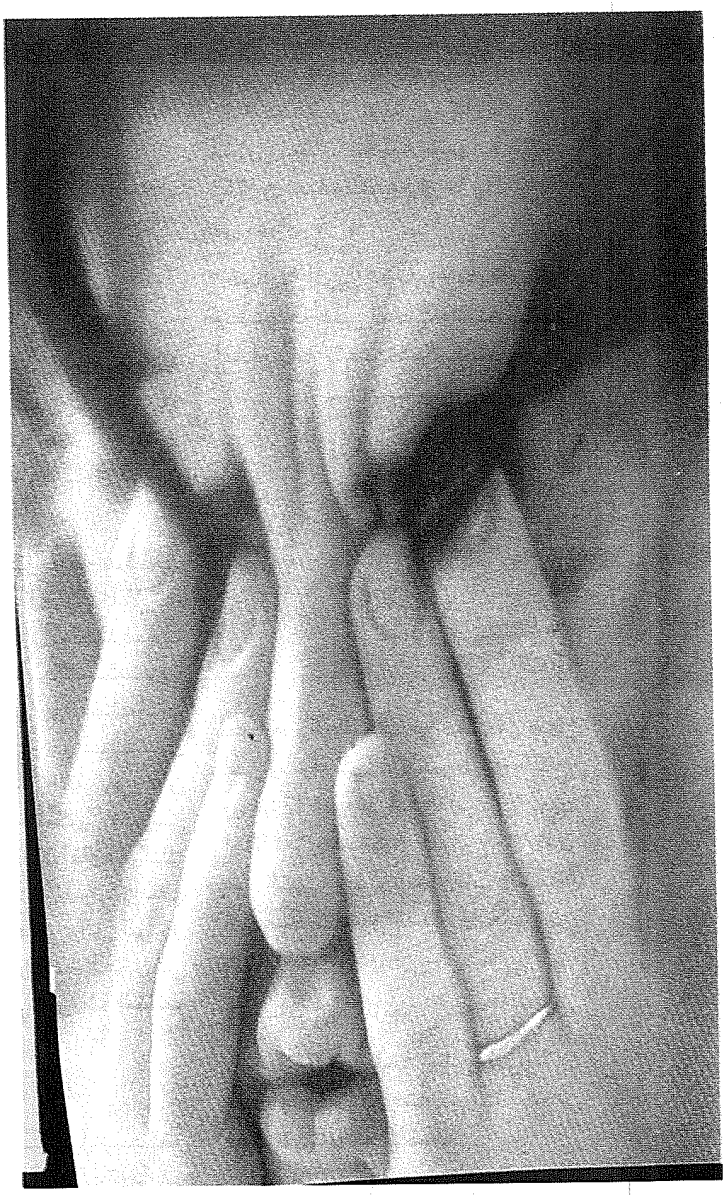

قصة قصيرة

الحلم

بقلم: منى السعيد مصطفى الشريف
كاتبة مصرية

اندفع صوت صراخها يهز أرجاء الحجرة يكاد يدكُّها وهي تنتصب جالسة فوق فراشها ترتعد فزعاً وتتصبب عرقاً وينفتح باب الغرفة لتندفع الأم قائلة: ماذا حدث يا بنيتي؟

فتصطنع ابتسامة قائلة: لا عليك يا أماه سوف أكون بخير إنه مجرد حلم مزعج

الأم: ولكنه تكرر أكثر من مرة أليس كذلك؟

هل يضايقك أن ترويه لي؟

الأبنة: على العكس يا أمي إنني أشعر بحاجة لذلك... إنني أرى كأن ريحاً عاتية تعصف بي أدور معها وأدور، أشعر أنني أشلاء جسد ممزق، ثم تنتهي العاصفة لأجد نفسي في مكان سحيق كئيب وهناك من يحاول خنقي أقاومة وأقاومه دون أن أدري ماذا يحدث، إنه مجرد وجه مقنع ويد تلتف حول عنقي.

وبانفعال تستكمل روايتها قائلة: «أظل أقاوم وأقاوم وأمد يدي وأشد القناع من على الوجه الذي يحاول خنقي فإذا هو وجهي... نعم كأنني أنظر في المرآة... إنها أنا... أنا فماذا أفعل؟ إن قتلتها قتلت نفسي، وإن تركتها قتلتني وأشعر بالدوار والاختناق من جديد ولا ينقذني من كل ذلك غير صرخة تندفع من حلقي لأستيقظ فزعة كما رأيت الآن».

الأم: حقاً إنه حلم مزعج وغريب يبدو أنك أجهدت نفسك في العمل أكثر مما ينبغي... حاولي أن تتناسي الأمر وتعودي إلى هدوئك وسوف أعدُّ لك كوباً من الليمون حالاً...

ثم تخرج الأم من الحجرة وتنهض الابنة «نجوى» من فراشها وتتجه إلى الشرفة وتقف لتراقب قرص الشمس الملتهب في وداعه للعالم عند المغيب وهو يبدو تارة ويتوارى أخرى خلف الأشجار كعذراء خجلة. كان المنظر رائعاً إلى حد أنها تعجبت كيف أنها لم تلحظه إلا اليوم ثم استدارت تنظر إلى حجرتها ومكتبها الصغير المكدَّس بالكتب والمراجع وتتجه إلى المكتب تقلِّب صفحات الكتاب المفتوح فوقه من دون هدف ثم تزيحه جانباً في ضيق... وينفتح باب الغرفة مرة أخرى لتدخل الأم قائلة: هل أنت أفضل الآن، فهناك من يود مقابلتك؟

نجوى: من يا أماه؟

الأم مبتسمة: إنه شخص لم نره منذ فترة طويلة، ثم تفسح الطريق قائلة: تفضلي بالدخول يا سميرة.

هشت نجوى للقاء سميرة وأجلستها قائلة: كم أنا سعيدة لرؤيتك، فلم نتقابل منذ زمن طويل.

سميرة: أنا أعلم قدر انشغالك بين

العمل والدراسة ولا أحب أن أعطلك.

نجوى مبتسمة: هكذا أم أنك لم تعودي في حاجة إلى دروسي ومساعدتي لك في تحصيل العلم.

سميرة: لا... لا أبداً أنا لا يمكنني الاستغناء عنك ولن أنسى مساعدتك لي في اجتياز عقبة الثانوية العامة ولهذا صممت على أن تكون أول دعوة لك.

نجوى: دعوة... أي دعوة تقصدين؟

سميرة: إنها دعوة لحضور زفافي يوم الجمعة المقبل إن شاء الله.

نجوى في دهشة: كيف تتزوجين قبل استكمال دراستك الجامعية!

سميرة: لقد أنهيت دراستي بالفعل منذ عام كامل.

تنظر نجوى إليها في ذهول وتقول بعد صمت قصير. حقاً لقد مرت السنون مسرعة وها أنت قد أصبحت عروساً... مبارك يا سميرة مبارك.

وتدخل زينب صديقة الدكتورة نجوى قائلة: أرجو ألا أكون قد قطعت حديثكما.

سميرة: لا أبداً لقد كنت أهم بالانصراف.

نجوى هكذا سريعاً.

سميرة: عفواً يا دكتورة نجوى فأنا في عجلة وأنت تعرفين قدر انشغال العروس.

تنصرف سميرة وتُطرق نجوى صامتة وتلحظ زينب أنها ليست في حالها الطبيعية فتسألها: ماذا بك يا نجوى؟ فتنظر إليها نجوى دون أن تجيب ثم تتجه إلى المرآة وتنظر إلى وجهها وتطيل النظر وهي تتلمس ملامحها بأناملها ثم تلتفت إلى زينب قائلة: هل تعرفين من تلك الفتاة التي انصرفت منذ قليل؟

زينب: نعم أعرفها جيداً فقد قابلتها عندك مراراً وإن كان ذلك منذ فترة طويلة.

نجوى: نعم لقد كنت أساعدها في أثناء دراستها الثانوية، وقد جاءت اليوم تدعوني لحضور زفافها... وقتها فقط أدركت كم مرت الأيام مسرعة، وكم ضاع من عمري.

زينب: عجيب... أنت من تقولين ذلك، لقد كانت أمامك فرص كثيرة للزواج، وكنت دائماً ترفضين... كان أمامك هدف واحد هو تحقيق نجاحك العملي قبل أي شيء.

نجوى: نعم يا زينب لقد عشت في أسرة متوسطة الحال... أبي موظف بسيط يضع كل أول شهر راتبه بين يدي أمي وهي تظل تدبِّر وتقتصد وتحسب حتى يمر الشهر بسلام ثم يبدأ شهر جديد، وتبدأ الرحلة من جديد، وكانت رغم ذلك راضية محبة لنا وللبيت ولأبي ولكني دائماً كنت أسأل نفسي هل هي سعيدة بحق؟

لقد بت أحلم بحياة وصورة أفضل، كما أن رغبتي في إثبات قدرتي على صنع النجاح الذي قد يفشل في تحقيقه الولد الذي كان أبي حزين لعدم إنجابه، فجرت لديَّ روح التحدي والإصرار، لذا لم يكن أمامي غير الجد والعمل لأصبح الدكتورة نجوى... ملأ هذا الهدف وجداني حتى رأيته حقيقة أمام عيني لذا جعلت أمي تناديني بالكتورة نجوى وأنا على أعتاب الدراسة الثانوية وها أنا أصبحت طبيبة وحصلت على الماجستير وفي طريقي لنيل درجة الدكتوراة، والجميع ينادونني بالدكتورة نجوى كما كنت أحلم حتى أمي.

أتعرفين عندما كنت أرتدي معطفي الأبيض وأسير أمام مريضاتي كنت أشعر أنني كالطاوس وأن جميعهن يحسدنني والآن أشعر أنه سجن قد وضعت نفسي فيه، وعندما أسمع كلمة أمي من فم طفل صغير يرتطم في رأسي شلال من الأسئلة التي ترتد دون إجابة... هل أنا على الطريق الصحيح؟... أين أنا من أنوثتي... من أمومتي؟ أين حياتي الشخصية ومتى ستبدأ؟ أم أن الأنوثة قد قتلت داخلي.

زينب: أبداً يا نجوى إن كلامك يؤكد أن الأنوثة مازالت حية داخلك وتبحث عن دورها الطبيعي الذي خلقت من أجله إن مشكلتك يا صديقتي أنك استغرقت في حلمك إلى حد الذوبان وهذا الاستغراق طغى على أشياء مهمة كان يجب أن توليها اهتمامك... ليس من الخطأ أن نحلم... أن نعمل لتحقيق الحلم ولكن يجب ألا ينسينا ذلك أن نعيش الحياة بكل ما فيها، وعلى العموم الفرصة مازالت في يدك فأنا أعلم أن هناك من هو جدير بك، وأنه قد سعى للتقدم لك بالفعل فلا تضيعي من العمر أكثر من ذلك يا نجوى... ثم تستطرد مبتسمة: ألا تلاحظين أنني الوحيدة التي تناديك بنجوى دون أي لقب وليس ذلك تجاهلاً مني لنجاحك ولا تكابر ولكني مازلت أراك نجوى صديقة العمر الرقيقة الناعمة رغم ما تبدينه من صلابة... فكري يا صديقتي في الأمر جيداً فالعمر أغلى من أن نضيعه فهو منحة من الله لا يمكن استرجاعها، وتستأذن زينب لتنصرف وتترك نجوى وحدها وبعد وقت قصير تدخل الأم الحجرة قائلة: كيف حالك الآن يا بنتي هل تحتاجين شيئاً؟

نجوى: أنا بخير يا أمي شكراً لك... فقط أنا أودّ أن تحددي مع أبي موعد لمقابلة زميل لي يريد خطبتي.

الأم في سعادة غامرة: أنا لا أصدق هل أنت جادة بالفعل؟.. سوف أذهب لأخبر والدك حالاً، إنه لن يصدق أن الدكتورة نجوى قررت أخيراً أن تسعد قلب أبويها فتستوقفها نجوى قائلة: نجوى يا أمي... ناديني بنجوى فقط، فتضمها وهي سعيدة ■

أظل أقاوم وأقاوم وأمد يدي وأشد القناع من على ... !!

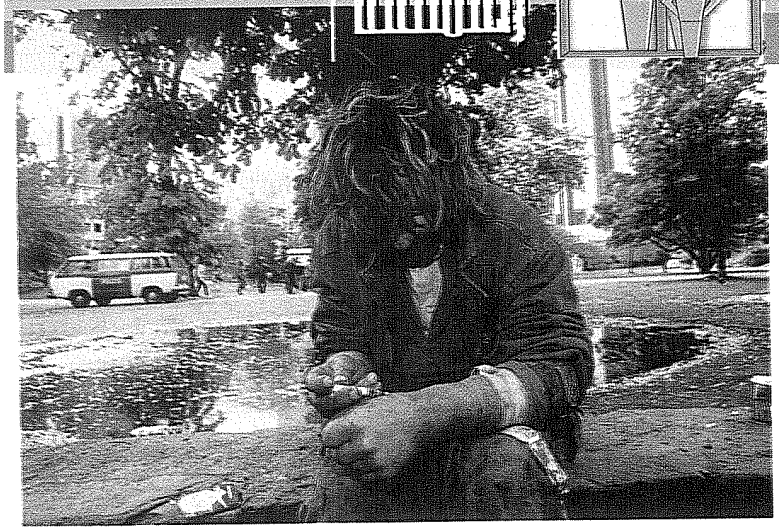

انحرافات الشباب الفكرية... الأسباب والعلاج

تأليف د.: أحمد عمر هاشم
عرض وتلخيص: محمود رمضان محمد

تظهر أسباب انحراف الشباب - كما يذكر الكاتب - تدريجياً على حسب نشأته المتدرجة من المنزل، إلى الشارع، إلى المدرسة، إلى المجتمع، ثم إلى وسائل الإعلام.

أما بالنسبة للمنزل: فترجع أسباب الانحراف منه إلى عدم تمثل الوالدين للقيم الدينية، وعدم تمسكهم بآداب الإسلام قولاً وعملاً وتطبيقاً، وتربية لأبنائهم، وبالتالي إذا خرج الابن إلى الشارع ووجد سلوكاً منحرفاً سلكه بسهولة، وانخرط في المدرسة مع الزملاء وهم مختلفو الطباع، وكما يقول الكاتب: «فمن المفروض أن فيما يتلقاه من دروس وفيمن يلتقي بهم من أساتذة ومن قدوة، كل ذلك يكون من المنتظر منه أن يهذب من سلوكه، وأن يجعله يتخلى عن رذائله، ويتحلى بفضائل جديدة، ولكن ضعف التربية وقلة المواد الدينية في بعض المدارس، وعدم كفايتها للقيام بالدور المهم الذي ينبغي أن يكون موجهاً ومربياً، كل ذلك لا يكون من شخصية الشباب، النفس الصالحة المهذبة، التي تسير دوماً إلى الخير» ص٨.

ثم إذا تنقل بعد ذلك في جوانب المجتمع الأخرى، أي في النادي أو السوق، لم يجد من أسباب الخير شيئاً، بقدر ما يرى من أسباب الشر في المعاملة من بيع وشراء.

إلى جوار ذلك تأثير المدارس الأجنبية في بعض البلاد، وما تقوم به من دور فاعل، وما تقوم به الإرساليات التبشيرية لتشكيك الشباب المسلم في عقيدته، بالإضافة إلى الأدب من شعر وقصة ومسرح وهدمه للقيم.

كل هذا أبان ظواهر خطيرة متعددة الأشكال والأبعاد من بينها النزعة العدوانية على الأنفس والأعراض والأموال، والاستجابة للرغبات اللاإنسانية من خيانة للوطن وغش ومجاهرة بالمعصية وعقوق الوالدين، وانتشار ظاهرة المخدرات والقمار، وتقليد الغرب تقليداً أعمى في الملبس والفكر... إلخ.

علاج الانحراف

أولى خطوات حماية الشباب من الانحراف تبدأ من الأسرة، «بين الأبوين، حتى يتشرب الفتى منذ الصغر روح التدين، وأثار العقيدة الصحيحة والسلوك السوي المقتدي، بالقدوة الحسنة من ناحية، وبالتوجيه من الأبوين من ناحية أخرى» ص١٣.

ولموعظة الجمعة دور كبير في تربية الضمير الديني، وحماية الشباب من الانحراف وذلك بسد المنافذ أمام التيارات المادية الوافدة، وغرس الفضائل الإسلامية.

أولى خطوات حماية الشباب من الانحراف تبدأ من داخل الأسرة

ظاهرة العنف

لقد انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة العنف بين الشباب، وعن هذه الظاهرة يقول الكاتب: «إن الإسلام يبرأ ممن يحملون السلاح على الأمة، فقد قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «من حمل علينا السلاح فليس منا»(١).

بما أن القرآن الكريم يحكم على القاتل المستحل للقتل الذي يبرر له شيطانه العدوان على الغير، يحكم عليه بجهنم خالداً مخلداً فيها، ولا يكون الخلود فيها إلا لمن خرج عن حظيرة الإسلام، قال تعالى: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) النساء:٩٣.

وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكر في خطبة حجة الوداع: «لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»(٢).

بل أكد في الخطبة نفسها حرمة النفس والمال والعرض.

ومن هذا المنطلق وجبت مناهضة المفسدين والإرهابيين، وأن يكون للجميع موقف إيجابي للتصدي لكل من تسول له نفسه العبث بالآمنين، «وضرورة قيام اتفاقية تعاون أمني وميثاق شرف بين سائر الدول والحكومات بحيث يتم

بمقتضى تلك الاتفاقية مقاومة الإرهاب وتصفية جيوبه في كل الدول» ص٢٣.

حرمة النفس

المحافظة على حرمة النفس وحقها في الحياة أمر أوجبه الإسلام، ووضح الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك في حجة الوداع: «... إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت اللهم فاشهد، وكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

والقتل من أكبر الكبائر والآيات القرآنية في هذا الشأن تنذر بالوعيد، كما بينا من قبل في الآية ٩٣ من سورة النساء، وقوله سبحانه: (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) والحق فسرته السنة الشريفة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»(٣).

ويذكر الكاتب: «ولما كان القتل عدواناً على النفس بغير حق، وعلى النوع الإنساني إفساداً للمجتمع، وقضاء على عضو من أعضائه إهدار لحق في الحياة وهو أغلى شيء عنده، شُرع القصاص زجراً وجزاء على الاعتداء على النفس» ص٢٧.

وقد بيَّن الله تعالى أن في القصاص حياة وهو وجه الحكمة فيه، قال سبحانه: (ولكم في القصاص حياة) البقرة:١٧٩، وذلك من وجهين:

١ ـ الأول أن فيه حياة بطريقة الزجر، حيث تجعل الإنسان يفكر كثيراً قبل الإقدام على فعلته لأنه سيقتل.

٢ ـ إن في القصاص دفعاً لسبب الهلاك، ففي القصاص إطفاء لثورات القلوب، «لهذا كله شرع القصاص، فكأن فيه حياة بكل ما تتسع له من معاني الحياة، حياة لمن تحدثه نفسه بالقتل فيكف عنه حين يعلم مصيره، وفيه حياة لمن كان سيقع عليه القتل، وفيه حياة للعائلات وللأفراد والجماعات، بسد باب الثأر والعداوات، ففي القصاص شفاء لنفوس أهل القتيل من الحقد والرغبة في الثأر» ص٣٠.

حرمة المال

لقد حرم الله سبحانه وتعالى أكل الأموال بالباطل، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) النساء:٢٩. هذا تذكير، يليه في الآية التي تليها مباشرة تحذير، قال تعالى: (ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً) النساء:٣٠. وقد دعا الإسلام وحض على العمل والكسب الطيب والانفاق في الوجوه المشروعة، وفي الحديث: «نعم المال الصالح للعبد الصالح»(٤)، ولم يكتف الإسلام بالعناية بحرمة الأموال، بل شدد في تنفيذ حد السرقة حتى لا يتلاعب الناس، وقد أعلن الله سبحانه وتعالى خصومته لمن يأكل حق إنسان، قال صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره» (٥).

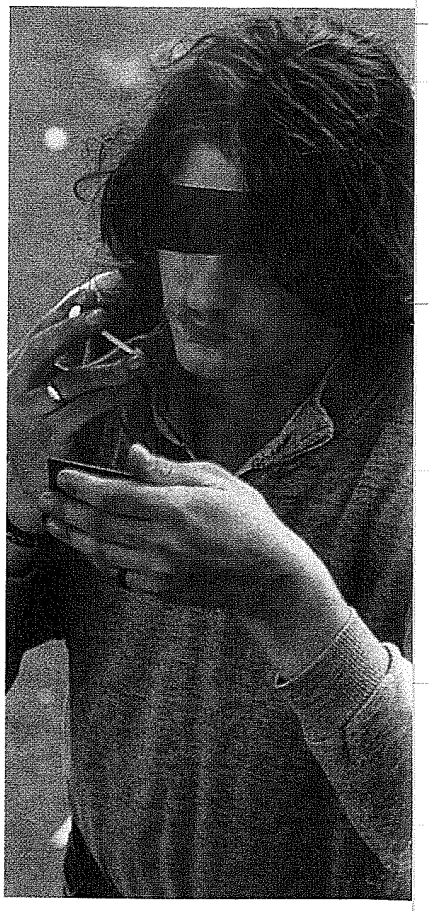

القصاص من القاتل دافع قوي لإطفاء ثورات القلوب

كما حرَّم الله الربا، والقرض بفائدة حتى لا يظلم الناس بعضهم بعضاً أو يستغل بعضهم بعضاً، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) البقرة:٢٧٨، ٢٧٩.

كما توعد الله سبحانه الذين يكنزون المال ولا ينفقوه في سبيل الله، لأنهم أكلوا حق الفقراء والمحتاجين، قال تعالى: (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) التوبة:٣٤.

حرمة الأعراض

يقول الكاتب: «وحماية للأعراض وصيانة لها كفل الإسلام لها حقوقاً شرعها تتسق وفق ما أحله الله من علاقات نقية طاهرة تتميز بالثبوت والاستقرار وتُحكم بحقوق وواجبات، تشرق في ظلها المودة والرحمة وتنبثق من خلالها المشاعر الإنسانية الوفية، والمعاملات النظيفة الراقية» ص٣٧.

وجريمة الاعتداء على الأعراض من أكبر الكبائر، قال تعالى: (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) الإسراء:٣٢.

وجريمة الزنى إذا انتشرت بين قوم نشرت التحلل والإباحية، واختلاط الأنساب، وفقدان الحياة النظيفة، وولَّدت الأمراض الفتاكة، آخرها طاعون العصر «الإيدز».

ومن جرائم الأعراض أيضاً «القذف» فمن قذف رجلاً محصناً أو امرأة محصنة أو اتهم أحدهما بارتكاب جريمة الزنى ولم يقدم الدليل فإنه يجلد ثمانين جلدة وتسقط شهادته.

وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات من السبع الموبقات التي نهى عنها الإسلام، كما جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله،

المحافظة على حرمة النفس وحقها في الحياة أمر أوجبه الإسلام

والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(٦).

ويذكر الكاتب: «ومن الذنوب التي تمثل اعتداء صارخاً على حرمات الناس وأعراضهم: السخرية، واللمز، والتنابز بالألقاب، وسوء الظن، والتجسس، والغيبة، والنميمة». قال تعالى في ذلك: (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) الحجرات:١٢.

منهج الإسلام درع الأمان

إن منهج الإسلام أمان من الانحراف والضلال، فهو الرسالةالسم اوية الخاتمة، والعامة للناس كافة، وأنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم ليكون هادياً، قال تعالى: (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) البقرة:٢.

> حرَّم الله الربا، والقرض بفائدة حتى لا يستغل الناس بعضهم بعضاً

وأيضاً جاء القرآن ليبين للناس ويوضح لهم المبهم، وما اختلفوا فيه، وأيضاً هدى ورحمة، قال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون) النحل:٤٤

وقال تعالى: (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) النحل:٦٤.

وأمرنا الله سبحانه وتعالى بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقرن طاعته بطاعته، قال تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً) النساء:٨٠.

وأمرنا سبحانه وتعالى عند الاختلاف في شيء أن نرده إلى الله والرسول، قال تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكِّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) النساء:٦٥. يتبين من خلال ما تقدم أن منهج الإسلام هو طاعة الله ورسوله هما وبهما تحقق سعادة الإنسان في الدارين: الدنيا والآخرة، لأنه يبعد عن أي انحراف.

أصول الأخلاق في الإسلام:

يقول الكاتب: «وتحقيقاً لعلاج الانحراف نوضح أصول الأخلاق في الإسلام» ثم يبين لنا الأسس الأخلاقية التي جاءت في قوله تعالى: (قل تعالوا أتلُ ما حرَّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتكم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون. وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٣. وتنقسم هذه الوصايا إلى قسمين:

١ ـ الأول: يتصل بعلاقة الخلق بخالقهم، فيقوم على الأصل الأول في الدين وهو التوحيد.

٢ ـ والثاني: يتصل بعلاقة الخلق بعضهم مع بعض من أسرة، وعرض، ونفس، ومال، وعدل... إلخ، من هذه الوصايا الإلهية التي «تتركز كلها في الشريعة مجتمعة، وفي الصراط المستقيم» ص٦٧.

التعليم

التعليم في الإسلام حق من حقوق المسلم، وكانت أولى آيات التنزيل دعوة صريحة للعلم والمعرفة: (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علَّم بالقلم. علَّم الإنسان ما لم يعلم) العلق:١ـ٥.

والعلم في الإسلام فريضة إذا قام بها المسلم وتعلَّم فلا بد أن ينفع غيره، ويعلِّم الناس وينذر قومه، قال تعالى: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) التوبة:١٢٢.

والمنهج المثالي الذي يجب أن يقتدي به كل الموجهين والمعلمين والمصلحين هو «منهج القرآن الذي يأخذ الناس بالتدريج في التوجيه والتعليم وفي انتزاع الشر والباطل، وفي العمل على غرس أصول الحق والهدى» ص٧٠.

«وإذا كان لابد للعلم والتعليم من أساس ثابت يتمثل في الكتاب والسنَّة، فلابد مع التحصيل من التبليغ، ولابد للتبليغ من أمانة، ثم لابد من منهج سليم يتبعه العلماء والمتعلمون والقدوة الحسنة إنما تتمثل في أبهى صورها وفي أسمى مقاصدها في الرسول صلوات الله وسلامه عليه فقد كان في حلمه وعلمه وصبره وسعة صدره يسع الناس كلهم بخلقه الكريم وسجاياه الحميدة» ص٧١.

وحدة التعليم الديني

ويقترح الكاتب أن تكون مناهج التعليم الديني في سائر البلاد الإسلامية موحدة، وأن «تكون المواد أساسية وأصيلة في جميع الأقطار الإسلامية ذات تأليف مستساغ يلبي حاجة المجتمع ويكون في مستوى الفهم والإدراك لدى كل مرحلة على حسب ما يناسبها... ويكون هناك لقاءات ورحلات علمية بين علماء البلاد الإسلامية للتعرف على مشاكل الحياة وما يحتاجه شباب الأمة ووضع العلاج لكل مشكلة» ص٧٤. ويطالب الكاتب المجتمع بحماية النشء من الغزو الفكري، عن طريق التربية الصحيحة في البيت والمدرسة والمسجد، وبعد أن استطاع أعداء الإسلام جذب النشء والشباب إلى المسارح ودور السينما والقصص المتحللة والأدب الإباحي، وهذا لن يحدث ما لم تسد المنافذ أمام التيارات المادية الوافدة، وذلك بتحصين شبابنا بالدين، وكما يقول الكاتب: «يقول أحد المستعمرين في إحدى خطبه وهو يحمل المصحف بيده: لن يقر للاستعمار قرار مادام هذا المصحف بين أيدي المسلمين»، نعم إنه لا استقرار لذلك ما دام المصحف بين أيدي المسلمين ومادام كتاب الله يُتلى بالغداة والعشي... وأما حينما يبتعد المسلمون عن كتاب ربهم ويتركونه من أيديهم وينصرف النشء عن القرآن الكريم فإنها الطامة الكبرى والضلال الذي ما بعده ضلال» ص ٨٧ ■

الهوامش :

* الكتاب صادر عن دار جهاد للنشر والتوزيع بمصر، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

١ ـ رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه.
٢ ـ رواه مسلم.
٣ ـ رواه البخاري ومسلم.
٤ ـ رواه الترمذي والنسائي.
٥ ـ رواه البخاري.
٦ ـ رواه البخاري.

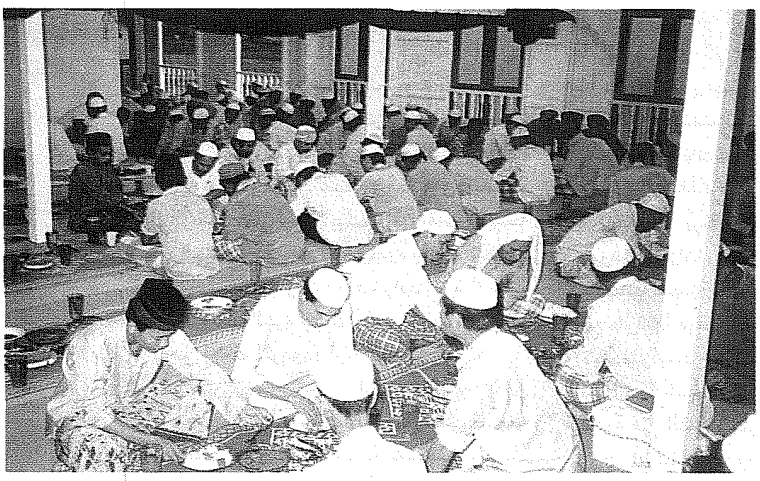

مرض عصري اسمه... اختفاء صلة الجيرة

بقلم: شعبان محمود شعبان
كاتب مصري

تقاربت المسافات بين الجيران ولكن تباعدت القلوب، فالأبواب تفصلها أمتار قليلة ولكن القلوب تفصلها مسافات شاسعة، فمعظم الناس أصبحوا يقطنون شققاً متجاورة لكنهم لا يعرفون بعضهم بعضاً، فلا صلة ولا تزاور، وقد يرى الواحد فيهم الآخر فيقرؤه السلام أو ربما لا يفعل!. هل اختفاء صلة الجيرة هي مرض العصر؟

في الماضي كان الجيران كلهم كالأهل وكان مبدؤهم في اختيار مساكنهم «الجار قبل الدار»، بل إن الجار القريب أحياناً أحسن من الأخ البعيد في السراء والضراء، والترابط الاجتماعي كان قوياً جداً بينهم فالكل في الحارة الواحدة يعرفون بعضهم بعضاً، ويحبون بعضهم ويقفون مع بعضهم بعضاً كعائلة واحدة ضد أي طارئ أو مكروه يصيب أحدهم، ولكن للأسف اليوم وبسبب كثرة المشاغل الحياتية والمسؤوليات أصبحت زيارات الجيران والعلاقات الاجتماعية قليلة نسبياً، وربما أصبحت تقتصر على نطاق ضيق جداً مثل الأعياد أو الزواج أو الوفاة... إلخ

جبرية «أم محمود» عمرها ٦٥ سنة، تقول إن الوضع الآن اختلف في الماضي كان الوضع أفضل، فلقد كنت أسكن في بيت شعبي بسيط وأعرف الجيران كلهم وأزورهم ويزورونني أفرح لفرحهم وأزعل لزعلهم وأزور مريضهم وأعين محتاجهم ونسأل عنهم إذا غابوا... حتى إذا جاء خاطب لإحدى البنات فالسيدات في الحارة يشاورون بعضهن بعضاً في أمر الخاطب وكأن الأمر يهمهن كلهن، كنا نبارك بالمولود الجديد ونحمل «الحليب» وغير ذلك إلى الجيران الأقرب فالأقرب.

الحياة كانت بسيطة وحلوة ولكن الجار الآن أمام جاره لا يزوره ولا يسأل عنه ولا يهتم به.

الناس قست قلوبها وتغير وفاؤها بحجة «الشغل» أحب جيراني الآن بعضهم يسأل عني ويزورني باستمرار وبعضهم لم أره إلا في المناسبات. ديننا الإسلامي الحنيف يحترم الجار ويوقره ولا يسمح بإيذائه مهما كان دينه أو جنسه أو لونه وفي الحديث: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننه أنه سيورثه»، ومن حقوق الجار أن نزوره إذا مرض، ونعينه إذا احتاج ونحافظ على أهله ونسأل عنه إذا غاب، ومن الأمور المهمة أيضاً عدم إيذائه بأي صورة من الصور، سواء بالإزعاج في أوقات نومه وراحته أو برفع البناء عليه وحجب الشمس والهواء عنه أو بفتح النوافذ على بيته، والإطلال منها على خصوصياته، وكشف عوراته، أو ضرب أولاده أو طرح القمامة عند عتبة داره أو التجسس والتنصت عليه، قال تعالى في سورة الحجرات الآية ١١ (ولا تجسسوا).

ولكن ماذا نفعل إذا كان الجار نفسه مؤذياً ومتطاولاً على غيره؟

الإجابة نجدها في هذا الحديث الشريف: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن جاري يؤذيني فرد عليه قائلاً: «أرجع واصبر عليه»، ثم جاء مرة ثانية وقال: يا رسول الله إن جاري يؤذيني وكانت إجابته ﷺ: «عد واصبر عليه»، وبعد ذلك جاء للمرة الثالثة يشكو جاره فقال له ﷺ: «عد إلى بيتك وأخرج متاعك في الطريق فإذا سألك الناس فقل تركت داري لأن جاري يؤذيني، وحين مر الناس عليه عرفوا الخبر فقالوا: لعنه الله، وانهالت اللعنات عليه من كل جانب، فأسرع الجار المؤذي إلى جاره يعتذر إليه ويرجوه أن يعود إلى بيته معاهداً إياه ألا يعود إلى أذيته أبداً.

فالدرس المستفاد من ذلك أن الصبر على الجار المؤذي ومعاملته بفطنة وذكاء هي من الوسائل المناسبة لإصلاح حاله ورجوعه عن غلطه وأذاه لجيرانه.

وعلاقة الجيرة الآن لم تعد بالقوة نفسها التي كانت عليها من قبل لأسباب منها طراز المباني التي نسكن فيها الآن والتي جعلت من الجار أكبر مصدر إزعاج لجيرانه، وبالتالي بث روح الكراهية في نفسه لجاره والحياة الحديثة بمشاغلها والعلاقات المادية البحتة أبعدت النفوس عن بعضها بعضاً ليس الجيران فحسب، بل حتى الأهل، وأصبح البعض يروج لمقولة: «صباح الخير يا جاري... أنت في حالك وأنا في حالي».

الآباء والأجداد بصراحة هم الذين يعرفون قيمة الجار لأنهم كانوا يقتدون بالأحاديث الشريفة التي تحضهم على المحافظة على الجار، أما الآن، فالوضع اختلف، ولكن يبقى للجار حق وهو حسن الجوار وعدم الإيذاء، ورعايته حتى ولو كان مؤذياً ■

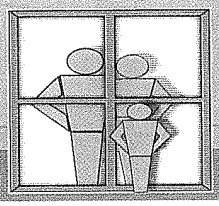

أعمدة الحب السبعة

بقلم: إيمان القدوسي
كاتبة مصرية

تتألق من حولك الأضواء وأنت ترفلين في ذلك الثوب الأمنية - ثوب العرس - تصدح من حولك الأغاني والتهاني والأماني الحلوة، دموع الفرح في عيني والدتك وابتسامة الرضا على وجه أبيك، وإشراقات الغبطة والبهجة تفيض بها وجوه باسمة حلوة للصديقات والأخوات، وأنت درة العقد المتلألئة، اليوم يومك وأنت أميرته، والليلة هي ليلتك الموعودة ليلة العمر.

بالرغم من صخب الفرح حولك، إلا أن هدير المشاعر في أعماقك أعلى صوتاً وأشد جلبة يجذبك للحظات ممن حولك لتغوصي في تيار جارف تتصارع فيه أشواقك وأحلامك، وعندما حانت اللحظة الحاسمة وجاء زوجك ليأخذ بيدك وهو يحتويك بنظراته الحانية ومشاعره العميقة، تبلور بداخلك سؤال واحد تركزت فيه مشاعرك «كيف أسعد زوجي؟ وابني معه العش السعيد الذي حلمنا به وتعاهدنا عليه».

في الحقيقة هذا سؤال خاص جداً لا يمكن لأحد أن يجيب عليه بدقة وبكل التفاصيل سواك أنت، فكل زوجين يتم التكيف بينهما بناء على طبيعة شخصيتهما وأهدافهما وأولياتهما في الحياة، ولكن تبقى هناك أسس عامة للبناء الذي يتم تشكيل تفاصيله وفقاً لرؤيتك الخاصة فما الأسس والدعائم التي يرتكز عليها الحب كأساس لبناء إسلامي سعيد؟

١ - النية

قال صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» والنية الصالحة والخالصة لله تبارك في العمل، بل إنها تحوّل العمل العادي إلى عبادة، فلتكن نيتك هي بناء بيت مسلم صالح تسهمين به في وضع لبنة قوية في المجتمع المسلم.

٢ - حسن الاختيار

قال صلى الله عليه وسلم: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه» وقال تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) فليكن هذا هو أساس اختيارك، الخلق والدين والتقارب النفسي والروحي والتقاء الأهداف والغايات.

٣ - التمتع بنفس سوية

قال تعالى: (ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها) فمن الصفات المهمة لنجاح الحياة الزوجية، تمتع طرفيها بنفس سوية خالية من العقد والاضطرابات غير خاضعة لهواجس وإلقاءات الشيطان فتلك النفس الزكية السوية هي القادرة على حسن التعامل مع الزوج والتكيف معه وهي نبع الحنان الذي سيرتوي منه الأبناء، وهي بصلابتها الأخلاقية تكون قادرة على مجابهة الصعاب وامتصاص الصدمات التي تواجه الحياة الزوجية ومن الصفات الجوهرية للنفس السوية.

الشعور بالمسؤولية والمرونة والقدرة على التفاني والتسامي والمرح، والقدرة على إقامة علاقات اجتماعية مشبعة.

٤ - نضج الشخصية

ينتمي الزوجان إلى بيئتين مختلفتين ويتميز كل منهما بسمات شخصية قد تتناقض مع الآخر، والتكيف بين الشخصيات المختلفة ممكن شرط أن تكون شخصيات ناضجة فتنظر كل منهما إلى الحياة نظرة واقعية وتتحلى بضبط النفس وتهتم بالآخرين كما تهتم بنفسها وتواجه المشاكل والأعباء بشجاعة وموضوعية، يمكنها الاعتماد على نفسها والقيام بمسؤولياتها كما يمكن للآخرين أن يعتمدوا عليها وتكون موضع ثقتهم.

والشخصيات الناضجة تتعاون وتتكامل وتتوافق مع الزواج مهما اختلفت سماتها وبيئاتها عكس الشخصيات غير الناضجة، فحتى لو تشابهت وتماثلت فإنها تواجه صعوبات التكيف مع بعضها بعضاً ومع الحياة.

٥ - التكامل بين الزوجين

يقوم كلا الزوجين بكل ما في وسعهما لإنجاح الحياة الزوجية وإثراءها وإسعاد الطرف الآخر والأزواج تتكامل أدوارهم ويصلون بعد فترة لمرحلة من التفاهم العميق والودّ المتبادل يصعب أن يوجد إلا بين زوجين. قال تعالى: (وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) النساء:٢١، فوصف سبحانه وتعالى الرابطة الزوجية بالرباط المتين الذي يربط بين شخصين أفضى بعضهما إلى بعض حتى اختلطت روحاهما في بوتقة المودة والرحمة.

٦ - الحرص على الاستقلال

حلم الاستقلال وتأكيد الذات وإدارة المملكة الخاصة حلم مشترك بين الزوجين، فإذا اتفقنا على أن الزوجين يكمل كل منهما الآخر فإن بيتهما يكون نتاجاً خاصاً لإبداعهما المشترك، ولذلك يجب على الزوجين الحرص على استقلالهما منذ البداية فلا داعي لأن يطلع أحد من الأهل على ما بينهما من خلافات وليقوما معاً بتسوية تلك الأمور فيما بينهما مع الاحتفاظ بالعلاقات الطيبة في بيتهما الصغير وأصوله من الأهل والأقارب في البيت الكبير.

٧ - التمتع بمباهج الحياة

قال تعالى في الآية ٢١ من سورة الروم: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) ولنتأمل معاً في رحاب الآية: «السكن» كلمة فياضة بالمعاني تشمل الإعفاف والإرواء وسكن النفس والروح «المودة»: ثمرة الحب الزوجي تمتد لتشمل الأهل والمعارف «الرحمة»: تفجرها في القلوب عاطفة الأمومة والأبوة.

وسط تلك المشاعر الجياشة يجب أن نحرص على التمتع بمباهج الحياة فلا تستغرقنا المسؤوليات والأعباء فنظل نلهث وراء تحقيق أهداف مرحلية لا تنتهي إلا بانتهاء الحياة نفسها، دون أن نستمتع بما بين أيدينا من نعم الله، بل يجب أن تكون هناك وقفات لالتقاط الأنفاس والاستمتاع بما وهبنا الله مع أحبائنا، فالنزهة والتزاور والتمتع بجمال الطبيعة وكل وسائل الترفيه المباحة ليست مضيعة للوقت والجهد، بل هي ضرورة للحفاظ على صفاء النفس وتجديد القدرة على العطاء، أما متى يتم ذلك فيقول لك علماء النفس لا تؤجل متعة اليوم إلى الغد، بل لنبدأ فوراً وليكن شعاراً سوف استمتع بحياتي مع أحبائي «الآن» و«هنا» ■

إعداد : تمام أحمد

باب جديد يحتوي على مواقع مختارة على شبكة الإنترنت تهم القارئ العربي والمسلم. نقدمها لقرائنا الأعزاء آملين منهم التواصل معنا ورصد المواقع الجيدة التي تخدم هذا الباب وإرسال عناوينها إلينا حتى نخدم من خلالها ديننا وأمتنا وقضايانا العربية والإسلامية والله الموفق.

٥٢٤ مليار دولار عائدات اقتصادات الإنترنت في أميركا

أظهرت دراسة أميركية أن عائدات ما يسمى باقتصادات الإنترنت وصلت إلى ٥٢٤ مليار دولار في الولايات المتحدة خلال العام ١٩٩٩م ووفرت مليونين ونصف المليون وظيفة، ويطلق اقتصاد الإنترنت على إجمالي العائدات التي تحققها الشركات أو على جزء من أنشطتها عبر شبكة الإنترنت أو من خلال منتجات وخدمات تقدم تلك الشبكة. وتشير تلك الأرقام إلى زيادة عائدات اقتصاد الإنترنت خلال العام ١٩٩٩م مقارنة بالعام ١٩٩٨م بنسبة ٦٢٪ بينما وفر هذا الاقتصاد ستمئة وخمسين ألف وظيفة جديدة، وتتوقع الدراسة التي أجرتها جامعة تكساس ومولتها شركة سيسكو العملاقة أن حجم عائدات اقتصاد الإنترنت قد يصل إلى ثمانمئة وخمسين مليار دولار خلال العام الحالي.

يذكر أن الحجم الإجمالي للاقتصاد الأميركي يصل إلى ٩,٣ تريليونات دولار بينما يقدر حجم العمالة بعدد إجمالي يصل إلى ١٢٩ مليون عامل، من ناحية ثانية ذكر التقرير السنوي لوزارة التجارة الأميركية أن تكنولوجيا المعلومات أسهمت بثلث النمو في الاقتصاد الأميركي خلال السنوات الخمس الماضية، وأشار التقرير إلى أن الاستثمارات الأميركية في الأنشطة المرتبطة بتكنولوجيا المعلومات قد زادت عن الضعف خلال العام ١٩٩٩م لتصل إلى ٥١٠ مليارات دولار مقابل ٢٤٣ مليار دولار في العام ١٩٩٥م.

ونقلت وكالة أنباء كيودو عن التقرير الذي أطلق عليه «الاقتصاد الرقمي ٢٠٠٠» أن تكنولوجيا المعلومات أسهمت أيضاً بنسبة النصف أو أكثر في الزيادة السريعة الأخيرة في النمو الإنتاجي الأميركي. وأكد التقرير أن صناعات تكنولوجيا المعلومات هي الآن المحرّك رقم واحد للاقتصاد الأميركي. وقد استثمرت صناعة تكنولوجيا المعلومات ٤٤,٨ مليار دولار في الأبحاث والتطوير وهو ما يشكل تقريباً ثلث حجم عمليات الأبحاث والتطوير التي مولتها الشركات في الولايات المتحدة.

وقال التقرير: إن شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» قد ازدهرت في الوقت الذي خفضت فيه التكنولوجيا على نحو مثير من تكلفة أجهزة الكمبيوتر وتخزين المعلومات والاتصال، وأدى الانخفاض في أسعار تكنولوجيا المعلومات إلى خفض معدل التضخم في الولايات المتحدة ليصل في المتوسط إلى ٠,٥٪ ■

صناعات تكنولوجيا المعلومات هي الآن المحرّك رقم واحد للاقتصاد الأميركي

مواقع مهمة في شبكة الإنترنت

● **موقع الشيخ القرضاوي:**
http://www.paradawi.net :

موقع باللغتين العربية والإنكليزية، يعرض أعمال وفتاوى ومحاضرات ومؤلفات الشيخ الدكتور القرضاوي ويحتوي هذا الموقع أيضاً على برنامجي الدكتور القرضاوي «اللقاءات» الذي يبث أسبوعياً على قناة «أبو ظبي» وبرنامج «الشريعة والحياة» الذي تعرضه قناة الجزيرة القطرية.

● **موقع المحراب:**
http:\\www.ditnet.co.ae.\mehrab :

موقع متخصص بالتعريف بالعمارة الإسلامية، مترجم إلى ثلاث لغات هي العربية والإنكليزية، والفرنسية، ويحتوي الموقع على ستة أجنحة تتناول العمارة الإسلامية منذ قديم الزمان وتطورها وأنواعها وخصائصها مع الكثير من الصور والروابط أو الوصلات المهمة.

● **موقع الفتاوى الاقتصادية:**
httpL\\www.al-islam.com\ecfatawa :

من المهم التأكد من ممارساتك التجارية مطالبة لما شرع الله، ولذلك ننصحك بزيارة هذا الموقع الذي يحتوي على فتاوى شرعية كاملة حول معظم الموضوعات الاقتصادية والتجارية.

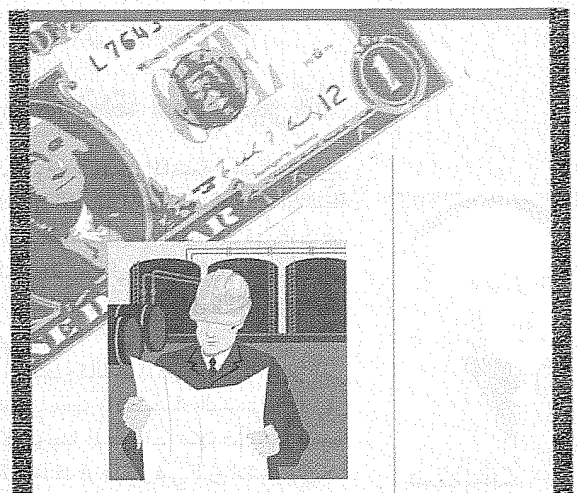

اقتصاد إسلامي

إعداد : عبدالكريم خليل

نظراً لأهمية الاقتصاد في عالمنا المعاصر، فقد ارتأت المجلة فتح صفحاتها لنشر أهم أنشطة المؤسسات الاقتصادية الإسلامية وقضاياها المعاصرة، إضافة لنشر أبرز ما يدور على الساحة الاقتصادية العالمية، والباب مفتوح للإخوة والأخوات القراء للإسهام في إغناء وإثراء هذا الباب بكل ما يسهم في دفع عجلة الاقتصاد الإسلامي، باعتباره ركيزة أساسية في المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر.

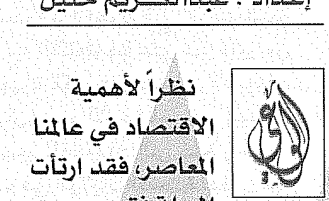

مؤسسة إسلامية لتنمية القطاع الخاص في سورية

أصدر الرئيس السوري بشار الأسد المرسوم التشريعي رقم ١٩ للعام ٢٠٠٠م القاضي بالتصديق على اتفاقية تأسيس المؤسسة الإسلامية لتنمية القطاع الخاص بين سورية والبنك الإسلامي للتنمية.

جاء فيه: المادة (١) تصدق اتفاقية تأسيس المؤسسة الإسلامية لتنمية القطاع الخاص بين حكومة الجمهورية العربية السورية والبنك الإسلامي للتنمية التي وافق عليها مجلس محافظي البنك الإسلامي للتنمية في اجتماعه الرابع والعشرين الذي انعقد في جدة «المملكة العربية السعودية» يومي ٢ و٣ نوفمبر ١٩٩٩م، والموقعة من قِبَلِ الدكتور محمد العمادي وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٢ نيابة عن حكومة الجمهورية العربية السورية والدكتور أحمد محمد علي رئيس البنك الإسلامي للتنمية نيابة عن البنك.

المادة (٢) تعتبر المديرية العامة للمصرف التجاري السوري الجهة الممثلة لمساهمة الجمهورية العربية السورية في المؤسسة الإسلامية لتنمية القطاع الخاص.

المادة (٣) يسدد البنك الإسلامي للتنمية نيابة عن حكومة الجمهورية العربية السورية قيمة الأسهم التي خصصت لها والبالغة ١٩ سهماً بقيمة اسمية قدرها ١٠٠٠ دولار أميركي للسهم الواحد ■

صندوق إسلامي للكوارث

طالب وزير الشؤون الدينية الماليزي د.عبدالحميد عثمان البلدان الإسلامية بتأسيس اتحاد إسلامي لمساعدة المسلمين المضارين من الحروب والفقر والمرض في جميع أنحاء العالم.

وأشار إلى أن بلاده تقوم بمساعدات فنية ومالية للكثير من البلدان الإسلامية في إفريقيا وآسيا بهدف الارتقاء بمستوى معيشة الفرد فيها.

البنك الإسلامي يطرح برامج لتنمية صادرات الدول العربية

أكد زينهم زهران المديرالتنفيذي للبنك الإسلامي للتنمية بالقاهرة، ضرورة استفادة الدول العربية من الخدمات المقدمة لدعم المصدرين وتأمين الاستثمار من قبل البرامج المخصصة التي يطرحها البنك الإسلامي للتنمية. جاء ذلك خلال اجتماع لجنة التصدير بجمعية رجال الأعمال المصريين برئاسة «نائلة علوية» حول دور المؤسسات العربية التمويلية والاستفادة من البرامج المقدمة لخدمة ودعم المصدرين وتنمية التجارة العربية البينية.

وأشار زهران إلى أن برنامج تمويل الصادرات يعتبر نافذة مكملة لأنشطة البنك الإسلامي للتنمية في مجال تمويل التجارة الخارجية، وقد بدأ أعماله في نهاية عام ١٩٨٧م على شكل برنامج مستقل تحت إشراف وإدارة البنك مع استقلال تام لميزانيته وموارده وبلغ عدد أعضاء البرنامج حتى الآن ٢٣ دولة من بينها الكويت ومصر ولبنان والسعودية والبحرين.

وقال: إن استفادة المصدرين المصريين من البرنامج تعتبر قليلة جداً على الرغم من أن الحكومة المصرية من الدول الأعضاء المؤسسة في البنك الإسلامي للتنمية، وتبلغ حصتها ٣٤٦ مليون دينار إسلامي ورأس المال المدفوع ١٠٠ مليون دينار إسلامي وتصل حصة مصر في رأسمال برنامج تمويل الصادرات إلى ١٠ ملايين دولار.

وأوضح أن وزير المالية المصري بصفته محافظ مصر في البنك المركزي الإسلامي للتنمية يقوم بعمليات الترويج للاستفادة من التمويلات المتاحة من البنك لمصر من خلال استضافة بعثات عدة من البنك الإسلامي مخصصة لعمليات تمويل التجارة والمشروعات لعقد اللقاءات مع رجال الأعمال المصريين وشرح آليات التمويل المختلفة وإمكان التوسع في التعامل المشترك خلال الفترة المقبلة.

وأعرب زهران عن استعداد البنك للقيام بتمويل أي عملية تصديرية مصرية للأسواق الخارجية تتجاوز قيمتها مليون دولار، وأكد أن أهداف برنامج تمويل الصادرات هو تعزيز وتنمية صادرات الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي من السلع عن طريق التمويل طويل وقصير الأجل للصادرات الموجهة إلى الدول الأعضاء وغير الأعضاء على السواء، وحول شروط تمويل البرنامج قال محمد عبدالقادر ممثل إدارة تمويل التجارة بالبنك الإسلامي للتنمية: إن تقديم طلب التمويل من قِبَل المصدِّر لا بد أن يكون من خلال الوكالة الوطنية المحددة في الدول مثل المجموعة الدولية للاستثمارات وبيت التمويل الكويتي في الكويت، وفي مصر كل من البنك المصري لتنمية الصادرات والبنك الأهلي المصري وبنك الدلتا الدولي وبنك الاستثمار العربي وبنك الإسكندرية.

وبالنسبة لأهلية الحصول على التمويل يتطلب أن تكون السلع المنتجة أو المصنعة من مدخلات منشأ من الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي شرط أن تكون هذه المدخلات بنسبة ٣٠٪ على الأقل من القيمة المضافة للسلع المصدرة.

ويتم التحويل على أساس المرابحة الإسلامية ويمكن للبرنامج أن يمول نسبة ١٠٠٪ من قيمة الصفقة ويمنح المستورد خصماً تحفيزياً بنسبة ٣٠٪ من هامش الربح في حال الوفاء بالدفع الفوري كحافز للسداد.

وتتراوح فترة التمويل بين ٦ إلى ٢٤ شهراً للسلع الاستهلاكية و٣٦ شهراً للسلع الوسيطة والمواد الأولية و٢٠٪ شهراً للسلع الرأسمالية حسب نوعية السلعة ■

٢٧,٦ مليار دولار قيمة عمليات التمويل العربية للعام ١٩٩٧م

صرح الدكتور يحيى بكور المدير العام للمنظمة العربية للتنمية الزراعية أن العمليات التمويلية للصندوق العربي بلغت نحو ٨٨٨ مليون دولار خلال العام ١٩٩٧م... مشيراً إلى أن البنك الإسلامي للتنمية قدم خلال عامي ١٩٩٦/٩٧م الكثير من المساعدات الفنية إلى جانب تمويل الكثير من المشروعات بهدف تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية لأعضاء البنك والمجتمعات الإسلامية، ومن ذلك تمويل ٧٥ عملية و٩٥ مشروعاً و١٦ مساعدة فنية... وبلغ نصيب قطاع الزراعة والصناعات الزراعية من هذه الاعتمادات نحو ٢٤٪، حيث تم توجيه الاستثمارات لتنفيذ نحو ٢٠ عملية في قطاع الزراعة والصناعات الزراعية.

وأوضح مدير المنظمة أن إسهام البنك الإسلامي للتنمية في الدول العربية بلغ ٢٥٪ من إجمالي عمليات التمويل العربية التي تبلغ ٢٧,٦ مليار دولار... كما أسهم في هذه العمليات الصندوق الكويتي بنسبة ٢١٪، وصندوق النقد العربي ٧٪، وصندوق أبو ظبي ٤٪، والمصرف العربي ٥٪.

وقال: إن عدد العمليات التمويلية التي قامت بها الصناديق العربية خلال العام ١٩٩٧م بلغت ٣٤٤٣ عملية... استحوذ قطاع الزراعة والثروة الحيوانية منها على ١٧٪ من إجمالي قيمة ما تم تقديمه... كما استحوذ قطاع الطاقة العربي على ٢٧٪، وقطاع النقل والمواصلات على ١٩٪، والصناعة والتعدين ١٧٪، والمياه والمجاري ٦٪، أما القطاعات الأخرى فبلغت نسبتها ١٤٪ ■

حديث التقوى

من هدي كتاب الله

قال عز وجل:

(يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم)

الحجرات:١٢

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي هريرة. رضي الله عنه. أن رسول الله ﷺ قال:

«أتدرون ما الغيبة»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»

رواه مسلم: ٢٥٨٩/٤

الادعاء بكذب الإسلام سخيف ومخجل

يقول المستشرق توماس كارليل عن ديننا الإسلامي الحنيف:

«من العار أن يصغي إنسان متحدِّر في هذا الجيل إلى وهم القائلين: إن دين الإسلام كذب، وإن محمداً لم يكن على حق... لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فالرسالة التي دعا إليها النبي محمد ظلت، سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمان بملايين كثيرة من الناس... فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت مجرد أكذوبة؟!

ولو أن الكذب يروَّج عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفاً وعبثاً، وكان الأجدر بها ألا توجد». (الهداية: ١٩٨١/٨م).

هكذا تكون فقيهاً

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أمُزداد هو أم منتقص، وإن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان أنَّى تأتيه.

الاتحاد قوة

قال الشاعر:

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى
خطب ولا تتفرَّقوا آحاداً
تأبىٰ الرماحُ إذا اجتمعن تكسُّراً
وإذا افترقن تكسَّرت أفراداً

إعداد: سالم الشطي
slm_alshatti@yahoo.com

طوفان ورب الكعبة!؟

سمع أعرابي أبا المكنون النحوي في حلقته وهو يقول في دعاء الاستسقاء: اللهمَّ ربنا وإلهنا ومولانا صلّ على محمد نبينا، اللهمَّ ومن أراد بنا سوءاً فأحِطْ ذل السوء به كإحاطة القائد على ترائب الولائد، ثم أرْسِخْهُ على هامته كرسوخ السّجيل، على هام أصحاب الفيل، اللهمَّ أسقنا غيثاً مريئاً مريعاً مجلجلاً مسحنفراً هزجاً سخاً سفوحاً طبقاً غدقاً مُتْعَنجِراً.

فقال الأعرابي: يا خليفة نوح هذا الطوفان ورب الكعبة، دعني آوي إلى جبل يعصمني من الماء!!

طعام ... لا فضلة فيه

قال إياس: كنت في الكتّاب وأنا صبي فجعل أولاد النصارى يضحكون من المسلمين ويقولون: إنهم يزعمون أنه لا فضلة لطعام أهل الجنة.

فقلت للفقيه: - وكان نصرانياً - ألست تزعم أن من الطعام ما ينصرف في غذاء البدن؟! قال: بلى.

فقلت: فما ينكر أن يجعل الله طعام أهل الجنة كله غذاء لأبدانهم.

فقال لي: ما أنت إلا شيطان!!.

توكل على الله... يكفيك

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

التوكل على الله نوعان، أحدهما: توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية.

والثاني: التوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه.

وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله. فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية، ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضا، لكن لا يكون له عاقبة المتوكل فيما يحبه ويرضاه.

عورة اللسان

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى
وحظُّك موفورٌ وعِرضك صيّنُ
لسانك لا تذكر به عورة امرئ
فكلك عورات وللناس ألسنُ

أصل عظيم

قال الطحاوي - رحمه الله: «ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرّط في حب أحدٍ منهم، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كُفر ونفاق وطغيان».

من هو ؟

شخصيتنا لهذا العدد، صحابي جليل، ثامن قرشي يدخل في الإسلام، كان تاجراً ثرياً، هاجر إلى المدينة، ففقد كثيراً من ماله ثم تاجر وربح، أعتق يوم أحد ٣١ عبداً من ماله، وفي مرة تصدّق بقافلة كاملة مع الرسول صلى الله عليه وسلم، أحد المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى رضي الله عنه، اسمه مكون من ١٤ حرفاً تشكل معاني الكلمات التالية:

صِنْف = ٩ + ١٣ + ١ – العطر إذا انتشر = ١٤ + ١٣ + ٧ – عكس ظالم = ١٢ + ٤ + ٣ + ٥

حيوان مفترس = ١١ + ٨ + ٦

حل العدد السابق

الصحابي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤

• المسلمون في كوسوفا ضحية الحقد الصربي •

نشرت «الإندبندنت» مقالاً حول الأوضاع السائدة في يوغسلافيا «سابقاً» لمناسبة مرور عشرين عاماً على رحيل رئيس يوغسلافيا السابق «جوزيف بروز تيتو» يقول المقال:

صربيا في حال مزرية من الفقر والعزلة

إعداد: د. عبد المنعم أحمد
كاتب سوري

بعد عشرين عاماً على رحيل «جوزيف بروز تيتو» الرجل الذي قاد يوغسلافيا السابقة طوال ٣٥ عاماً أصبح كل شيء مختلفاً في هذا البلد المتعدد الأعراق والإثنيات، ولم يبق شيء من شعار الإخوة والوحدة الذي طرحه تيتو سوى الحنين إلى الأيام التي كانت فيها يوغسلافيا مزدهرة واشتراكية.

توفي تيتو في الرابع من مايو العام ١٩٨٠م عن عمر يناهز ٨٨ عاماً ودفن في بلغراد بعد جنازة كبيرة شارك فيها ١٢٠ رئيس دولة، بعد أحد عشر عاماً على وفاته مات شعاره للإخوة والوحدة الذي أبقى على تماسك هذه الدولة لسنوات طويلة. ففي العام ١٩٩١م، اندلعت حروب دموية بين أبناء هذه الجمهورية أسفرت عن تفككها إلى دول عدة مستقلة، وأدت تلك الحروب والصراعات إلى انهيار اقتصادات الجمهوريات التي كانت جزءاً من يوغسلافيا باستثناء سلوفانيا ذات الأنظمة الغربية.

وبسبب سياسة تيتو القائمة على شعار «لا شرقية ولا غربية» حصلت يوغسلافيا على قروض أجنبية من الولايات المتحدة تزيد عن ٣٠ بليون دولار خلال الفترة التي أعقبت الخمسينيات وحتى نهاية السبعينيات وأصبحت التنمية علامة فارقة لبلاده، وظلت يوغسلافيا طوال ٣٥ عاماً تخضع لشيوعية ذات وجه إنساني وتبنت سياسات فريدة، فيها

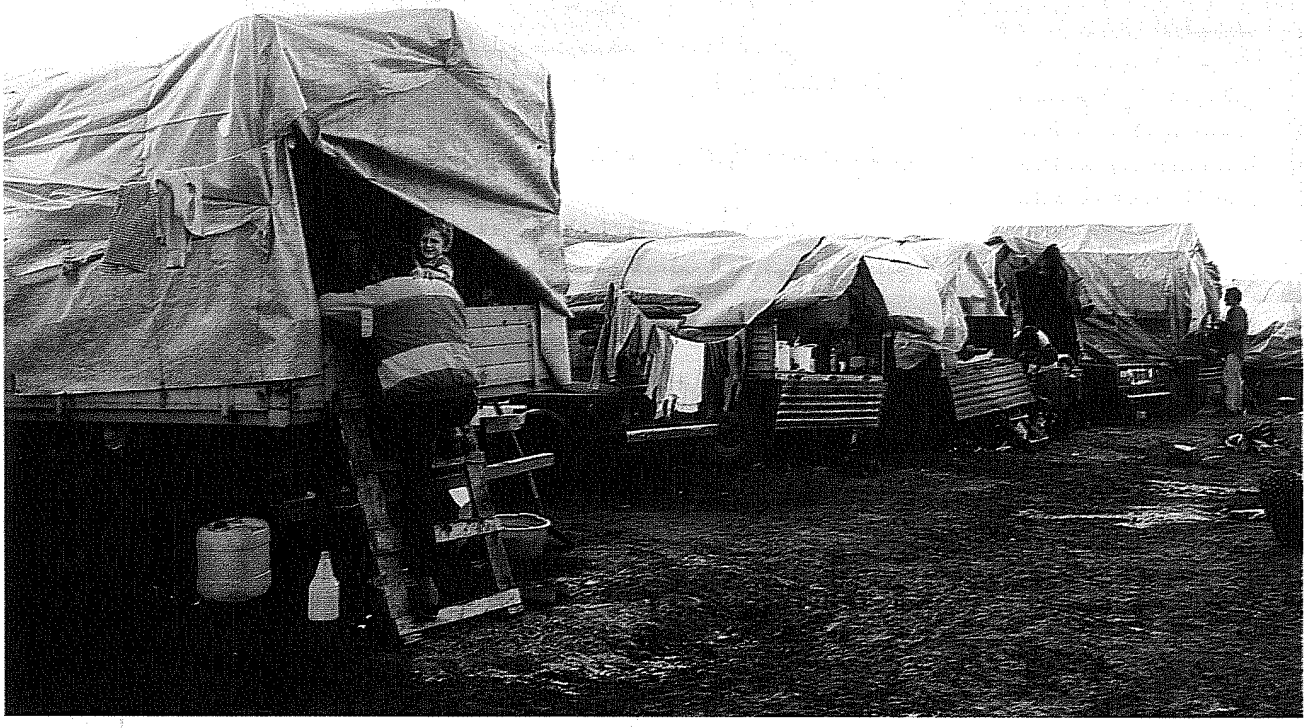

مزيج من القمع للمعارضة السياسية وحرية الحركة للجميع، وهو الامتياز الذي لم يكن متاحاً في دولة المنظومة الشيوعية آنذاك، لقد ظل تيتو يوصف دائماً بأنه الكرواتي المحبوب أكثر من غيره لدى الصرب، وبصرف النظر عن محاولات بعض القوميين الصرب لإضعاف دوره خلال السنوات الأخيرة لحكمه، إلا أن الذكريات عن الحياة الرغدة والنظيفة لا تزال حية في أذهان الناس الذين عاصروا تيتو، ويقول أحد المهندسين في بلغراد: إنه لا مجال للمقارنة بين هذه الحياة وأيام حكم تيتو، فقبل عشرين عاماً كنا نفخر بالقول: من أين نحن؟ أما الآن فإننا نحني رؤوسنا عاراً، فصربيا الآن تعيش حالاً مزرية من الفقر والعزلة، وفي السنوات الأخيرة منذ أن تولى «سلوبودان ميلوسوفيتش» السلطة وصف بعض أعضاء النخبة المثقفة والمعارضة القومية نظام تيتو بأنه قمع واستغلال للصرب لسنوات طويلة، وكان معروفاً عن تيتو نمط الحياة البازخ الذي كان يعيشه، ولكن الكثير من الصربيين يشيرون إلى أرملته وأفراد أسرته الذين يعيشون حياة متواضعة الآن.

فالصرب لا يحملون كلهم فكرة طيبة عن تيتو ولا سيما اللاجئين من كوسوفا الذين يقولون إنه عزز قوة الأغلبية الألبانية في كوسوفا على حساب الصرب، وقال أحدهم: إن ذلك كان خطأ تيتو الأكبر.

ولكن المعرفة عن تيتو نادرة في أوساط الشباب ولا سيما الصرب منهم، بل إن معظمهم لا يعرف أين دفن جثمانه، وحين تولى ميلوسوفيتش السلطة، استولى على قصر تيتو، لكنه غادره في أثناء غارات الأطلسي على صربيا، ولم يصب بأذى، حين دمرت الغارات الجوية القصر ■

ظلت يوغسلافيا طوال ٣٥ عاماً تخضع لشيوعية ذات وجه إنساني وتبنت سياسات فريدة، فيها مزيج من القمع للمعارضة السياسية وحرية الحركة للجميع

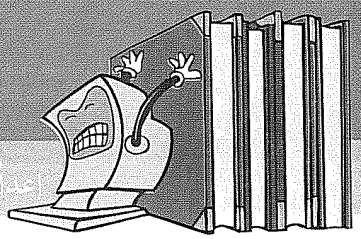

إعداد : محمد هاني

خمسة إصدارات لمكتب التربية العربي لدول الخليج

عن مكتب التربية العربي لدول الخليج صدرت خمسة إصدارات هي:

١ ـ وثيقة استشراف مستقبل العمل التربوي في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج.

٢ ـ أوليات خطة العمل التربوي المشترك في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج.

٣ ـ مجلة رسالة الخليج العربي، الأعداد (٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥).

٤ ـ التكامل بين الجامعات ومؤسسات التعليم العام في دول الخليج العربية.

٥ ـ هل تم تحصينك ضد الأمراض المعدية؟

ويسعى المكتب من خلال هذه الإصدارات إلى إرساء قواعد التعاون التربوي في دول الخليج والقيام بتقويم دوري للعملية التعليمية بمختلف جوانبها وعناصرهاتمهيداً لوضع الخطط الرامية إلى ربط مخرجات التعليم باحتياجات التنمية الشاملة.

دعوة الجماهير
مكونات الخطاب ووسائل التسديد

في سلسلة الكتب التي يصدرها مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر، صدر كتاب الأمة السادس والسبعون. هذا الكتاب يمكن اعتباره إلى حد بعيد مكملاً للكتاب الذي سبقه «فقه الواقع... أصول وضوابط»، فهو محاولة لطرح هذه القضية الخطيرة والأساسية للحوار والمناقشة والمفاكرة انطلاقاً من مواصفات الخطاب القرآني، وهو أشبه ما يكون بورقة عمل لفتح ملف هذا الأمر، والتنبه لأهميته، وإغنائه بالدرس والبحث، بعد أن كان تناول مثل هذه الأمور وتقويمها من المحرمات ظناً منا أنها من قيم الدين التي لا يمكن أن يجري عليها الخطأ، بينما هي من التدين والاجتهاد في وسائل العمل، وأنها ممارسات بشرية، تستدعي دائماً تصويباً مستمداً من قيم النبوة ومعايير معرفة الوحي.

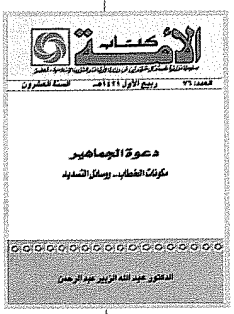

لذلك نرى أن تحول الذهنية الإسلامية لطرح مثل هذه القضايا ومراجعتها وإعادة تقويمها، يعتبر مؤشر صحة وبصيرة نور مستقبلية، ومساهمة بصناعة قابليات وتأهيلها لمرحلة نوعية مقبلة، تدرك الماضي وتفقه الحاضر وتبصر المستقبل، وتتمثل أبعاد وخلود المعجزة البيانية الإعلامية ودورها في عمليات التغيير للواقع الإسلامي وحمل الهداية والرحمة للعالمين.

ذلك أن المجاهدة بالقرآن وامتلاك القدرة على وضع الأوعية الإعلامية والوسائل الصحيحة لها، تعتبر اليوم من أعلى أنواع الإمكان الحضاري الإسلامي وميدان المدافعة الثقافية.

أخبار ثقافية

- قررت وزارة الأوقاف المصرية تحويل أكثر من ٦٠ مسجداً في القاهرة إلى مراكز إسلامية تضم مكتبات وعيادات طبية لتقديم الخدمات إلى المواطنين.
- أُنشئ أخيراً في القاهرة فرع للصندوق الدولي للإمام البخاري، ويعد الفرع الجديد هو الأول خارج أوزبكستان ويهدف إلى تعريف العالم الإسلامي بتراث أوزبكستان والجمهوريات الإسلامية والعلماء الذين أنجبتهم تلك البلاد.
- دشنت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية صفحة على الإنترنت تحت عنوان : http: www- islamest com وتحوي الكثير من المواضيع العامة الخاصة بالطب والصيدلة والعلوم عامة وعلاقة الإسلام بمحدثات الأمور.
- يعقد المجلس التنفيذي لرابطة الجامعات الإسلامية اجتماعه المقبل في شهر نوفمبر المقبل وسيتم إقامة مؤتمر علمي كبير على هامش الاجتماع السنوي السابع عن العولمة والأمن القومي للدولة الإسلامية.
- تقرر تدريس مادة الدين الإسلامي للتلاميذ في ولاية «تور دارين فستغالن» الألمانية بدءاً من مطلع العام الدراسي المقبل.

قانون إنشاء مصارف إسلامية في الكويت يشترط استخدام البنك لرأسماله في الأعمال التجارية وليس أموال المودعين

كشف رئيس اللجنة المالية والاقتصادية في مجلس الأمة الكويتي النائب عبدالوهاب الهارون عن جانب من مشروع قانون إنشاء المصارف الإسلامية الذي ما زال موضع تمحيص ودراسة من قبل اللجنة قبل عرضه للمناقشة والإقرار في المجلس. فقال الهارون في تصريحه للصحافيين إثر اجتماع اللجنة بمحافظ بنك الكويت المركزي الشيخ سالم عبدالعزيز الصباح وبممثل عن بيت التمويل الكويتي: إن البنك المركزي اشترط لإنشاء مصرف إسلامي في الكويت أن يستخدم هذا المصرف رأسماله وليس أموال المودعين في تمويل نشاطاته التجارية أو الأعمال الأخرى، كما وضع البنك ضوابط تتعلق بمجالات ونسب المشاركة بالاستثمار والتي يمارسها المصرف الإسلامي. وشدد على أن تعمل المصارف الإسلامية من خلال شركات تابعة لها فتؤسس مثلاً شركات تختص بالنشاط العقاري، وأخرى بالسيارات، أو المواد الغذائية وغيرها من النشاطات الأخرى التي يرغب المصرف بممارستها.

وقد حرصت اللجنة المالية قبل تقديم تقريرها إلى مجلس الأمة لمناقشته على الاستماع لآراء المعنيين بالمصارف الإسلامية كبنك الكويت المركزي، وبيت التمويل الكويتي الذي يمارس بمفرده على الساحة الكويتية أعمال المصرف الإسلامي، ولكنه لا يخضع للشروط التي يفرضها بنك الكويت المركزي على المصارف التجارية الكويتية، ويمارس بيت التمويل كثيراً من الأنشطة التجارية وغيرها من النشاطات دونما خضوع لقانون محدد يضبط أعمال المصارف الإسلامية، وستستمع اللجنة في وقت لاحق لرأي غرفة تجارة وصناعة الكويت.

وأضاف النائب الهارون: إن محافظ بنك الكويت المركزي أوضح للجنة أمسّ سبل الرقابة التي سيتبعها على المصارف الإسلامية.

وأضاف أن رقابة البنك المركزي تنطلق من المصلحة العامة وحماية أموال المودعين والمساهمين والمشاركين، وإن الأفكار الواردة في مشروع الحكومة الخاص بقانون المصارف الإسلامية تعتمد فلسفة تلك المصارف القائمة على العمل في جميع المجالات وفي التجارة والعقار وغيرها من المجالات الاستثمارية.

وقال النائب الهارون: إن اللجنة المالية قد طلبت من المجلس تمديد المهلة المعطاة لها لإنجاز قانون المصارف الإسلامية مدة ستة أسابيع أخرى ■

الشركة الدولية للإجارة وآفاق واعدة للاستثمار

افتتاح الشركة الدولية للإجارة بالكويت في السادس من يونيو يصل عدد المؤسسات والشركات العاملة وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية إلى عشر شركات إضافة إلى بيت التمويل الكويتي. ولتصبح الكويت إحدى الدول الخليجية الرائدة في السماح لدخول عدد كبير من الشركات الإسلامية إلى الأسواق وهي تتأهب حالياً لإصدار قانون للمصارف الإسلامية بهدف توسعة دائرة المعاملات الشرعية وزيادة عدد المصارف وإتاحة الفرصة للبنوك التقليدية القائمة للتحول لتقدم ألوان العمل المصرفي والاستثماري الإسلامي.

إلا أن الشركة الدولية للإجارة ذات طابع خاص ومهم حيث أُسست هذه الشركة بقانون خاص هو القانون رقم ١٢ لسنة ١٩٩٨م برأس مال كويتي أو أجنبي كله أو بعضه وهي بهذا الشكل تتصف بالطابع الدولي حيث بلغ رأسمالها نحو ٥٠ مليون دولار أميركي بمساهمة محلية من قبل بعض المؤسسات المحلية الإسلامية وبمساهمة البنك الإسلامي للتنمية بنحو ٨,٢٥ مليون دولار أميركي.

وتتمثل أهمية تأسيس شركات الإجارة والاستثمار في دولة الكويت في أنها تخدم القطاعين الحكومي والخاص في السوق الكويتي والأسواق المجاورة، كما أنها تواكب التطورات العالمية في مجال تأمين احتياجات السوق عن طريق الإجارة لتنشيط الدورة الاقتصادية وزيادة فرص الاحتكاك مع قطاع الأعمال على المستويين الحكومي والخاص ■

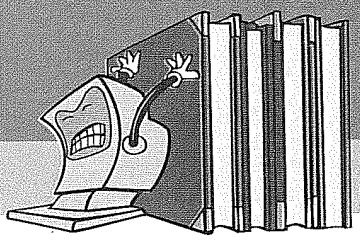

فيلم وثائقي عن القرآن الكريم

أصدر مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية في الرياض «فيلماً وثائقياً عن القرآن الكريم، ناطق بثماني لغات، بتمويل من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف في المملكة العربية السعودية، وسيطرح في الأسواق قريباً.

قال المشرف عن مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية الدكتور مساعد الحديثي إن «الفيلم سيقدم صورة واقعية عن عظمة القرآن الكريم ومكانته عند المسلمين»، لافتاً إلى أن الفيلم يعرض ما تقدمه المملكة العربية السعودية من عناية متكاملة بالقرآن الكريم، بتطبيق الشرع الشريف وتدريسه في المناهج الدراسية ودعم جمعيات تحفيظ القرآن الكريم، وتنظيم المسابقات الدولية وطباعة المصحف الشريف».

وأوضح أن «الفيلم سيعرض الحقبة التاريخية التي نزل فيها القرآن الكريم وطريقة تدوينه وحفظه».

وبين أن «مدة الفيلم للغات: العربية، والإنكليزية، والفرنسية ٧٥ دقيقة، فيما تكون ٢٠ دقيقة للغات: التركية، والأوردية، والصينية، والإندونيسية، والإسبانية».

العمل في الإسلام ودوره في التنمية الاقتصادية

نوقشت أخيراً في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية في بيروت رسالة الماجستير التي تقدم بها الطالب محمد هادي محمد وكانت تحت عنوان: «العمل في الإسلام ودوره في التنمية الاقتصادية» وحصل بموجبها على درجة جيد جداً.

انطلق الباحث في دراسته من أن المسلمين يعانون خاصة والإنسان عامة من المشكلة الاقتصادية والتي تتمثل في قصور موارده المالية عن الوفاء بحاجاته الطبيعية مضافاً إليها الحرب الاقتصادية التي يتعرض لها المسلمون بعد التوجه نحو العولمة والتي من بعض إفرازاتها سيطرة القطب الأقوى على من دونه فيعود العالم محكوماً بنظام أحادي القطب يرعى شؤون الأغنياء فقط ورأى الباحث أنه لحل هذه المشكلة ومواجهة هذه الحرب لابد من بناء اقتصادي محكم في أسسه يقام على قاعدة متينة تتمثل في تطبيق إرادة الله تعالى للإنسان من أداء دور الخليفة والمسؤول عن الأعمار ومن خلال هذا البناء تتحقق التنمية الاقتصادية في المفهوم الإسلامي المستند على الكتاب والسنة.

أقباس من قصص السنة

صدر عن الدار العربية للكتاب في القاهرة كتاب «أقباس من قصص السنة» للدكتور عبدالحليم الصعيدي.

وقد تضمن الكتاب مدخلاً يعرِّف بقصص القرآن الكريم والسنة النبوية ومعانيها وميزاتها وأهدافها ويشير المؤلف في هذا الصدد إلى أن القصة في القرآن والسنَّة تعد مدرسة لتهذيب السلوك البشري، وترقيق الطباع الإنسانية عن طريق استنهاض همم الخير في النفوس والعمل على إبراز القيم المعنوية في صورة واقعية.

ويضيف أن القصص تشكل ربع ما ورد في القرآن الكريم، كما أنها تمثل جانباً كبيراً من السنة وهي بذلك تعد باباً يندر وجوده في ديانة أخرى غير الإسلام، واشتمل الكتاب على سبع قصص من السنَّة النبوية زاخرة بأمثلة تجلي مبادئ الإسلام السمحة مشفوعة بالتحليل وما يُستفاد من كل قصة وبيان بعض العظات والعبر والأحكام.

الشخصانية والسلطوية تخترقان الإيديولوجية والنخب العربية

عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، صدر كتاب «النظم السياسية العربية قضايا الاستمرار والتغيير» للدكتور علي الدين هلال، والدكتور نيفين مسعد، وهذا الكتاب يطرح أهم الخصائص الرئيسة للأيديولوجيات العربية: الشخصانية، التوفيقية، التناقض وعدم الوضوح، أما على صعيد النخب العربية، فيميز الكتاب بين نوعيات ثلاث:

النخب التقليدية التكيفية، النخب الإصلاحية التحديثية، النخب الثورية التعبوية، وقد أوجز الكتاب سمات هذه النخب بالتالي: ضعف الحراك الاجتماعي، السلطوي.

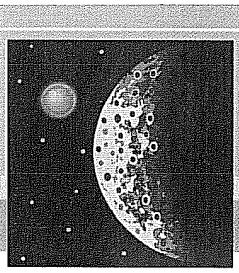

مفتي الديار المصرية:
قيادة المرأة للسيارة... أمر جائز

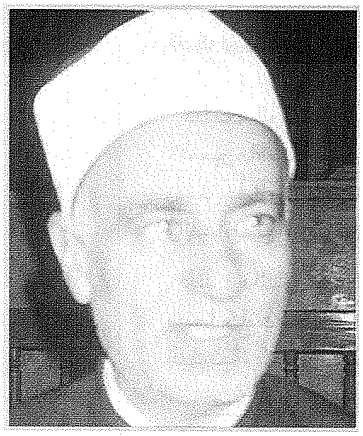

● الدكتور نصر فريد واصل ●

أعلن الدكتور نصر فريد واصل مفتي الديار المصرية أن قيادة المرأة للسيارة أمر جائز، ولا ينبغي حرمانها من هذا الحق، تحت مبررات إسلامية حتى لا نحمِّل الإسلام مواقف ظالمة، ونعطي الفرصة لخصومه من الداخل والخارج لتشويه صورته.

وقال الدكتور واصل في رده على سؤال لسيدة مسلمة عبر الإنترنت تسأل عن موقف الإسلام من قيادة المرأة المسلمة للسيارة لها، إن المرأة المسلمة مادامت ملتزمة في سلوكها العام بالآداب الإسلامية، وتحترم القواعد المنظِّمة لحركة المرور، وتجيد قيادة السيارة، فلا مبرر لحرمانها من قيادتها لها.

وأضاف أنه ليست هناك محاذير تمنع المرأة من قيادة السيارة مادامت ملتزمة بالآداب العامة، مشيراً إلى ضرورة ألا يشغل المسلمون بالهم كثيراً بالأمور الهامشية.

وقال: إن العالم كله مشغول الآن بالإنجازات العلمية التي حققها العلماء في بلاد الغرب، ونحن في العالم العربي والإسلامي مازلنا نختلف حول قيادة المرأة للسيارة، ومدى مشروعية ذلك.

شركات التبغ تقوِّض جهود منظمة الصحة العالمية

اتهم تقرير جديد لمنظمة الصحة العالمية صناعة التبغ بشن حملة سرية لتقويض جهود الوكالة لمحاربة التدخين، وبمحاولة «تشويه سمعة» المنظمة وخفض ميزانياتها واستخدام خبراء شوهوا بصورة جسيمة نتائج البحث العلمي عن آثار التدخين.

وذكر التقرير كذلك أن «مستشارين» يعملون سراً لحساب شركات التبغ تسللوا إلى منظمة الصحة العالمية لمتابعة أنشطة الوكالة لمحاربة التدخين وأنهم سجلوا بعض الاجتماعات وحصلوا على وثائق سرية.

كتب التقرير «ديفيد كيسلر» مفوض إدارة الأغذية والعقاقير الأميركي السابق مع ثلاثة خبراء دوليين آخرين في الصحة العامة والعلاقات الحكومية بتفويض من منظمة الصحة العالمية في خريف العام ١٩٩٩م.

وطبقاً لتقرير الصحيفة، فإن معظم معلومات تقرير المنظمة تأتي من وثائق إحدى شركات التبغ التي أعلنت خلال دعاوى قضائية ضدها أمام المحاكم الأميركية.

ويعرض أحد فصول التقرير تفاصيل خطة ترجع إلى العام ١٩٨٨م وضعها «جيفري بايبل» الرئيس التنفيذي لشركة «فيليب موريس» وشركاه والذي كان يرأس آنذاك وحدة التبغ الدولية التابعة للشركة لمهاجمة مبادرات منظمة الصحة العالمية لمحاربة التدخين في أنحاء العالم.

ويخلص التقرير إلى أن الكثير من توصيات هذا المخطط لا يزال يطبق إلى اليوم.

ونقلت الصحيفة عن التقرير قوله: «أن وثائق شركات التبغ تبيِّن أنها نظرت إلى منظمة الصحة العالمية وهي وكالة دولية تعمل في مجال الصحة العامة باعتبارها واحدة من أعمالها الرئيسية». كما نقلت عن التقرير أن «الوثائق تبين كذلك أن شركات التبغ حرصت على استراتيجيات عالمية لتشويه منظمة الصحة العالمية وإعاقة قدرتها على تنفيذ مهمتها».

وذكر التقرير أن وثائق شركات التبغ بيَّنت أن الصناعة «اعتمدت بشدة على خبراء دوليين وعلميين تربطهم علاقات مالية سرية بالصناعة».

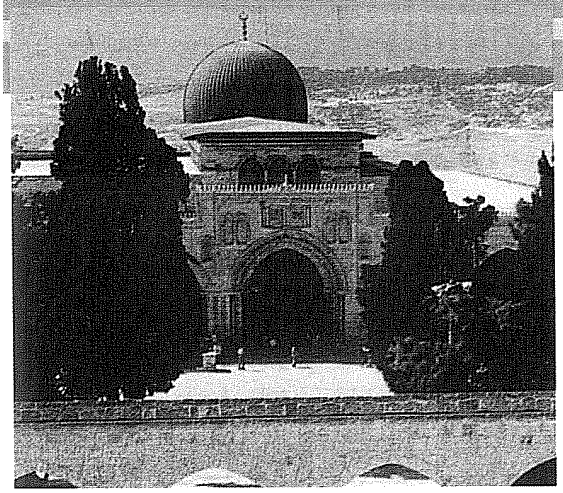

موسيقا على أبواب الأقصى!

نظمت الوكالة اليهودية حفلاً بجوار المسجد الأقصى الأسير، استخدمت فيه أسوار المسجد شاشة سينمائية، ومسرحاً للفرق الموسيقية، حيث عرضت الأفلام السينمائية والدعائية لها، وعزفت الفرق الأناشيد العبرية!.

حدث ذلك والمسلمون يؤدون صلاة العشاء في المسجد، بينما كانت مكبرات الصوت تصدح بالأناشيد والأهازيج اليهودية، العبرية، وتفسد على الناس صلاتهم!.

خطيب المسجد الأقصى الشيخ «إسماعيل النواهضة» علَّق على ما حدث من انتهاك لقدسية المسجد بالقول إنها ليست المرة الأولى التي يتعرض فيها الأقصى لما حدث منبهاً إلى خطورة هذا العمل، ومشيراً إلى أنه يشكل سابقة خطيرة تتنافى وقدسية هذا المكان الطاهر مؤكداً أن مسؤولية حماية المسجد والحفاظ على مدينة القدس ومقدساتها الإسلامية إنما هي مسؤولية جماعية، ويقع عبئها على المسلمين جميعاً.

ربع سكان العالم يعيشون بأقل من دولار يومياً

جاء في دراسة أعدت للبنك الدولي أن نحو ربع سكان العالم يعيشون على أقل من دولار واحد في اليوم.

وذكرت الدراسة أن القدرة الشرائية اليومية لنحو ١,٢ بليون شخص تعادل سعر «شطيرة هامبرغر» في مطعم للوجبات السريعة في مدينة كبيرة في الولايات المتحدة أو سعر علبة من المشروبات الخفيفة أو قطعة من الشيكولاتة في أوروبا.

ويأتي التقرير مع تعرض دول العالم الأكثر غنى لانتقادات واسعة بالتراجع في تخفيف أعباء ديون الدول الأكثر فقراً كما أنه يبرز حقيقة أن عدد الناس الأكثر فقراً في العالم بقي دون تغير يذكر طوال التسعينيات.

مخزون النفط الأميركي الأدنى منذ العام ١٩٧٦م

قال معهد البترول الأميركي: إن مخزونات الولايات المتحدة من النفط الخام انخفضت بأكثر من مليوني برميل لتهبط إلى أدنى مستوياتها في نحو ربع قرن.

وقال خبير بالمعهد: إن مخزونات النفط الخام هبطت ٢,١٤٤ مليون برميل في الأسبوع المنتهي في الرابع من أغسطس إلى ٢٨٢,٦٠٢ مليون برميل، وهو أدنى مستوى لها منذ مارس العام ١٩٧٦م عندما سجلت ٢٦٥,٨ مليون برميل.

يأتي هذا الانخفاض في أعقاب إعلان معهد البترول سحب تسعة ملايين برميل من مخزون النفط الأميركية في الأسبوع المنتهي في الثامن والعشرين من يوليو ٢٠٠٠م، وهو ما أحدث صدمة في السوق البترولية التي تنتظر منذ فترة زيادة في الإمدادات من دول أوبك.

وفي وقت سابق من هذا الصيف قالت المملكة العربية السعودية العضو البارز في أوبك إنها تعتزم زيادة إنتاجها من النفط الخام.

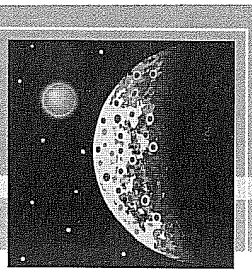

مسلمو أوروبا الشرقية يعانون الجهل بالإسلام

يعتبر الجهل بتعاليم الشريعة الإسلامية من أبرز المشكلات التي يعاني منها كثير من المسلمين في مختلف أنحاء العالم، وبخاصة في أوروبا التي رزحت تحت نير الحكم الشيوعي الغاشم حقبة طويلة من الزمان.

وقد أجمع عدد من قيادات العالم الإسلامي والمواطنين المسلمين على أن تغييب الدين الإسلامي، ومنع تدريس المواد الدينية إبان فترة الحكم الشيوعي لهذه البلدان، إضافة إلى بعدها عن العالم الإسلامي، وتقصير المسلمين بعد زوال الحكم الشيوعي - هذه الأسباب الرئيسة - هي التي أدت إلى تفاقم هذه المشكلة.

وحسبما تذكر وكالة الأنباء الإسلامية «إينا» فقد أوضح مفتي المجر الشيخ «سلطان بولك» أن الجهل بالإسلام في أوروبا الشرقية سببه الإعلام السلبي، وعدم مواجهته بإعلام صحيح، وأن سبل معالجة هذه المشكلة هو تكثيف المطبوعات والمنشورات، والكتب، التي تبرز التوجه الحقيقي للإسلام.

ومن جانبه قال مفتي بلغاريا الشيخ «مصطفى عليش» إنه يجب إرسال طلاب من مسلمي أوروبا الشرقية إلى الجامعات الإسلامية لدراسة الشريعة الإسلامية، وتنظيم دورات تدريبية لتأهيل الأئمة، وترجمة معاني القرآن الكريم والكتب الإسلامية، وإقامة المخيمات الإسلامية لشباب وشابات المسلمين.

ويرى مفتي رومانيا أن على المسلمين مضاعفة جهودهم في مجال إنشاء المراكز الإسلامية داخل أوروبا الشرقية، وتزويدها بالمعلمين الأكفاء.

أما الدكتور فلاح مصالحة - رئيس الجمعية الإسلامية في المجر - فيقول: إن على المؤسسات الإسلامية الكبرى - الخيرية منها أو الحكومية - مثل رابطة العالم الإسلامي، والأزهر الشريف، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ووزارات الشؤون الإسلامية، وغيرها من الهيئات، أن تقدم ما تستطيع من الكتب الإسلامية المترجمة، ومعاني القرآن الكريم المترجمة، وإرسال الدعاة والأئمة والمدرسين، كل مدرسة حسب إمكاناتها، وتخصصها.

ولاية نيجيرية سابعة تعتزم إعلان تطبيق الشريعة

أعلنت ولاية سابعة في شمال نيجيريا هي «ولاية يوبي» عزمها على تطبيق الشريعة الإسلامية كما أفاد مصدر رسمي في هذه الولاية يوم ٢٠٠٠/٨/٨م، وأعلن مكتب حاكم «ولاية يوبي»، بكر أبا إبراهيم أن الأخير وقع مشروع قانون يفرض تطبيق الشريعة اعتباراً من الأول من أكتوبر في هذه الولاية.

وبذلك تصبح «ولاية يوبي» سابع ولاية في شمال نيجيريا تعتمد تطبيق الشريعة منذ عودة السلطة إلى حكومة مدنية في العام ١٩٩٩م.

وقد أثار تطبيق الشريعة الإسلامية جدلاً كبيراً في هذا البلد المتعدد الأتنيات والطوائف، كما تسبب باضطرابات ومواجهات بين المسيحيين المتحدرين من جنوب البلاد، وبين المسلمين في الشمال، ما أسفر عن سقوط مئات القتلى.

مطالبة بتغيير القوانين الاقتصادية في العالم

طالب المدير العالم لمنظمة العمل الدولية جوان «سومافيا» في خطاب مهم له في روما، وبحضور أصحاب الأعمال، أن يتحدوا للسعي نحو تحقيق تضامن عالمي من أجل توافر العمل اللائق للجميع، كما نادى «سومافيا» وهو يخاطب نحو ٢٠٠ ألف مشارك بالبحث في القوانين والسياسات التي تحكم اقتصادنا العالمي وذلك حتى نمد الاقتصاد بالأساس الأخلاقي الذي يفتقر إليه، بحيث تعود المنفعة على الأكثرية من الناس وليس على القليل منهم فقط.

كما أشار إلى أهمية مواجهة الإحساس المتنامي بعدم الأمان الذي يغزو بيوت العديد من العائلات في العالم، وطالب باتخاذ خطوات سريعة انطلاقاً من قيمنا، للعمل بمبادئ العدالة والمساواة والشفقة في حياتنا اليومية، وأن نبدأ من إشعاع الألفة داخل منازلنا وفي تفاعلنا مع العالم الخارجي، كما طالب باستخدام المعايير الأخلاقية عند اتخاذ القرارات، وأن يشارك الجميع في ذلك من خلال التأثير على متخذيها، بأن نجعل صوتنا مسموعاً، وأن نسعى إلى التضامن من دون حدود.

ونادى «سومافيا» بأهمية تعزيز معايير عمل جوهرية بحيث تصبح أسساً اجتماعية للاقتصاد العالمي، وتعزيز حق العمال في التنظيم والتفاوض، وجعل المساواة بين الرجل والمرأة حقيقة، والتصديق على اتفاقية منظمة العمل الدولية الجديدة التخلص من أبشع صور عمالة الأطفال في العالم وتطبيقها بدقة.

تذاكر «شووت» الخاصة بمباريات كرة القدم

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

يتداول الناس هذه الأيام تذاكر «شووت» الخاصة بمباريات كرة القدم، ويتم السحب عليها على جوائز عدة، وقد سمعنا بأن هيئة الفتوى الموقرة بوزارة الأوقاف أفتت بجواز هذا العمل، ولكنْ هناك نقاط مهمة ربما لها أثر في الحكم الشرعي الخاص بهذا العمل، وهي كالتالي:

١ - بعض الناس يشتري هذه التذاكر ولا ينوي حضور هذه المباريات ولكن هدفه الدخول في السحب على هذه الجوائز فقط.

٢ - بعض الناس يشتري عدداً كبيراً من هذه التذاكر بهدف دخول السحب.

٣ - استغلال بعض الفتيات لبيع هذه التذاكر في الأسواق والسحب الفوري هناك.

فالرجاء التكرم ببيان الحكم الشرعي في ظل هذه الأمور.

وقد أجابت اللجنة بالتالي:

إذا كان ثمن التذاكر المخصصة لدخول المباريات لن يزيد من أجر الدخول في السحب على الجوائز، أي أن الدخول في السحب سيكون بغير مقابل مالي، وأن ثمن الجوائز لن يكون من ثمن هذه التذاكر، ولكن من الشركة التجارية الراعية للمشروع مقابل وضع شعارها على التذاكر، فإنه جائز شرعاً، هذا ما لم يقصد المشتري للتذاكر الجوائز دون حضور المبارة، فإن قصد ذلك كان حراماً لما فيه من المقامرة، وفي كل الأحوال يجب أن يكون عدد التذاكر المباعة لحضور المبارة مساوياً لعدد المقاعد المخصصة لحضورها في الملعب، وأي زيادة في هذا العدد تكون تغريراً ومقامرة، وهو حرام شرعاً، أما إذا كانت الجوائز مأخوذة من ثمن التذاكر فلا يجوز لما فيه من المقامرة.

وأما الاستعانة ببعض الفتيات في بيع التذاكر، فإنه لا يجوز إلا إذا كنَّ ملتزمات بالضوابط الشرعية من حجاب، وعدم تبرج وزينة، وعدم الاختلاط بالرجال، وعدم التكسر بالحديث، وكانت الحاجة ماسة إلى مزاولتهن هذا العمل.

شهادات البنوك

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

انتشرت أخيراً من قِبَل بعض البنوك شهادات بأسماء مختلفة مثل شهادة الدانة وغيرها، حيث يقوم الشخص بإيداع شهادة بقيمة معينة أكثرها ٥٠ ديناراً وتدخل هذه الشهادة في سحوبات شهرية، والفائز في السحب يحصل على مبلغ بين مليون دولار أو أكثر. أفتونا مأجورين حول جواز المشاركة فيها؟

وقد أجابت اللجنة بما يلي:

شهادات البنوك المستفتى عنها التي تعني وضع مبلغ من المال في بنك ربوي مقابل الحصول على حق الدخول في سحب قد يربح فيه سيارة أو مبلغاً من المال أو غير ذلك من الجوائز مع الحق في استرداد المبلغ المودع في أي وقت أو بعد وقت معين هي قروض، والحق في دخول السحب المستفادة منها هو فائدة ومنفعة للمقرض وعليه: فإن العملية المسؤول عنها هي عملية محرَّمة لما فيها من الربا، يُضاف إلى ذلك أن في هذه العملية شبهة المقامرة، وهي محرَّمة أيضاً.

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى أهل الاختصاص للإجابة عليها.

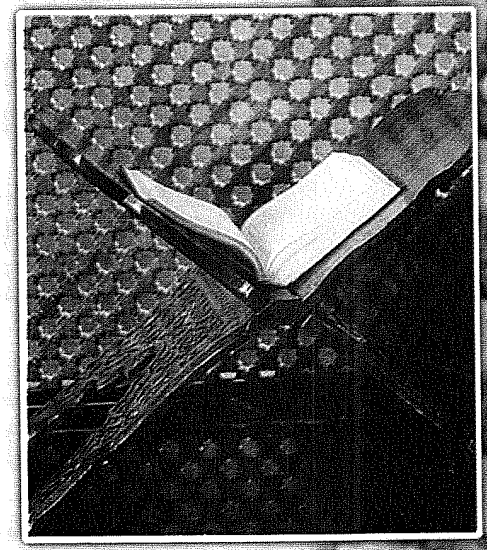

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر خدمة الفتوى 149

مقهى للإنترنت

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

ما الحكم الشرعي لمن أراد أن يفتتح مقهى للإنترنت؟

وقد أجابت اللجنة بما يلي:

«الإنترنت» بأجهزته وبرامجه وسيلة تستعمل في الخير، كما تستعمل في الشر، فإن استطاع المستفتي طالب الترخيص لمقهى «الإنترنت» أن يصفِّي برامجه من المفاسد، ويراقبها بالطرق المتاحة، فلا مانع منه شرعاً، إذا خصص فيه أماكن للرجال، وأخرى للنساء، لئلا يحصل الاختلاط المحرَّم بينهم. وإذا لم يستطيع ذلك وغلب على ظنه أن المستخدمين أو بعضهم سيستخدمونه في المفاسد فلا يجوز، سداً للذريعة.

إمام مقطوع اليد

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

تقدم للوزارة أحد الراغبين في التعيين بطلب للعمل في وظيفة «إمام» علماً بأنه مقطوع اليد، فما حكم إمامة مقطوع اليد؟

وقد أجابت اللجنة بالتالي:

- لا مانع شرعاً من إمامة مقطوع اليد عند جمهور الفقهاء.
- ويرى البعض أنه تكره إمامته إذا وجد في القوم غيره ممن يصلح للإمامة.
- وعليه فلا ترى اللجنة مانعاً من تعيين مقطوع اليد إذا كان مستوفياً شروط الإمامة.

أهل الكبائر إذا ماتوا

عُرض على لجنة الفتوى الاستفتاء التالي:

معلوم أن أهل الكبائر من هذه الأمة إذا ماتوا عليها موكول أمرهم إلى الله تعالى - في مذهب أهل السنة والجماعة - إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم يوم القيامة، فهل تعلق أمر العذاب أو عدمه بمشيئة الله تعالى خاص بيوم القيامة فقط، أم أنه يشمل كذلك مرحلة البرزخ - القبر - باعتبار أن القبر أول مراحل الآخرة وأن من مات قامت قيامته.

أجابت اللجنة بما يلي:

الأصل - كما قرر العلماء - أنه لا يجب شيء على الله تعالى، بل الثواب فضله، والعقاب عدله، قال تعالى: (لا يُسأل عما يفعل) الأنبياء:٢٣.

وما دام مرتكب الكبيرة الذي لم يتب ومات على ذلك داخلاً تحت المشيئة المفهومة من قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) النساء:٤٨، كما قرر علماء أهل السنة فلا مانع من أن تكون مشيئة الله تعالى بالعقاب أو بالعفو تشمل القبر ويوم القيامة معاً حيث إنه لم يرد في القرآن الكريم أو السنة النبوية ما يخصص تعلق المشيئة بيوم القيامة فقط، ولا حرج على فضل الله.

مبادلة العسل والزيت

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

أ - هل يجوز مبادلة عسل السدر من نوع «دوعني» وهو النوع الأطيب والأجود في السوق والأغلى ثمناً بأي عسل سدر من نوع آخر أرخص ثمناً وجودة مع زيادة في الوزن، كأن يأخذ الإنسان عدد ثلاثة كيلوات من النوع الرخيص في مقابل كيلو واحد من عسل «دوعني» علماً بأن كليهما عسل شجر السدر.

والنوع الثاني الأرخص ليس مغشوشاً بل عسل أصلي كما تفيد المختبرات المختصة، لكنه أرخص وأقل جودة من النوع الأول العسل «الدوعني».

ب - وإذا كانت البضاعة زيتاً للزيتون في مقابل زيت آخر أقل جودة وأرخص سعراً فهل تأخذ الحكم نفسه؟

وقد أجابت اللجنة بما يلي:

أ - العسل من الأموال الربوية باتفاق المذاهب الأربعة، لأنه موزون ومطعوم ومدَّخر ومقتات به، وعليه فلا يجوز مبادلة بعضه ببعض إلا مثلاً بمثل، يداً بيد، سواء اتحدت الجودة أم اختلفت، لأن الجودة في أموال الربا ساقطة الاعتبار.

ب - ومثله مبادلة الزيت بالزيت المستفتى عنه ولو كان أقل جودة منه.

هموم الإعلام العربي

نحن نريد أن نقنع الناس بقضايا لا يعرفون عنها سوى القليل ونريد أن نثير اهتمامهم بهذه القضايا وأن نصل إلى إقناعهم بأحقية وشرعية مواقفنا من هذه القضايا.

كل ذلك يحتاج إلى كلام كثير يُقال بأشكال وأساليب مختلفة، لكن أي كلام يُقال ما هو الكلام الذي يمكن أن يثير الاهتمام والذي يمكن أن يقدم معلومات وافية تؤدي لإدراك جوانب القضية، ثم الذي يؤدي للاقتناع بأن موقف العرب جدير بالتأييد أو بأنه يستحق الدفاع عنه.

بديهي أن إقناع الناس بذلك سيتم في فترة ليست قصيرة كما أنه سيتم على مراحل، بدءاً بمرحلة إثارة الاهتمام وانتهاء بمرحلة الاقتناع ثم التأييد.

وكل مرحلة من هذه المراحل تحتاج إلى رسائل مختلفة لتحقق فعلاً الغرض المطلوب في نهاية كل مرحلة وهو إثارة الاهتمام أو الإدراك أو الاقتناع أوالتأييد.

ومن المعروف أن كل شعب أو مجموعة من الشعوب لها خصائص نفسية وظروف معيشية تختلف عن غيرها، وإقناع كل شعب أو مجموعة شعوب يحتاج إلى رسائل تختلف عما يحتاجه شعب خصوصاً أن الرسائل الناجحة لابد أن تتلاءم وتراعي ظروف حياة الشعب الذي توجه له. فالرسائل التي توجه للشعب الإنكليزي من الضروري أن تختلف عن الرسائل التي يمكن توجيهها للشعب البولندي، بل إنه في ظل خطة إعلامية ناجحة معدة إعداداً تفصيلياً فإن الرسائل التي توجه للشعب الإنكليزي قد لا تكون ملائمة لبقية الشعوب البريطانية سواء في اسكتلندا أو إيرلندا.

ومن بين الرسائل التي كانت تبثها إسرائيل لإفريقيا مثلاً، قولها إن التنمية الاقتصادية فيها تعتبر نموذجاً لشعوب العالم الثالث، فهي دولة صغيرة، مستقلة حديثاً، وذات موارد قليلة ورغم ما نعلمه عن عدم صحة المضمون الإسرائيلي عن الخداع الذي يتضمنه إلا أنه كان يستهوي شعوب القارة التي لم تكتشف الخداع الإسرائيلي إلا أخيراً.

والذي نريد قوله:

إن المضمون الإعلامي لا يترك لمجرد الصدفة ولا يجب أن يأتي عفو الخاطر وإنما يجب أن يأتي نتيجة دراسة خواص ومميزات الشعوب التي سيقدم لها، كما يجب أن يكون المضمون الإعلامي مؤثراً في تلك الشعوب وإلا فلا معنى للعمل الإعلامي كله ■

بقلم: شعبان محمود شعبان
كاتب مصري

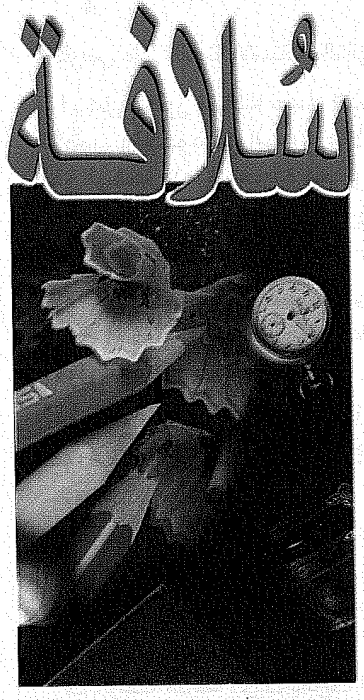

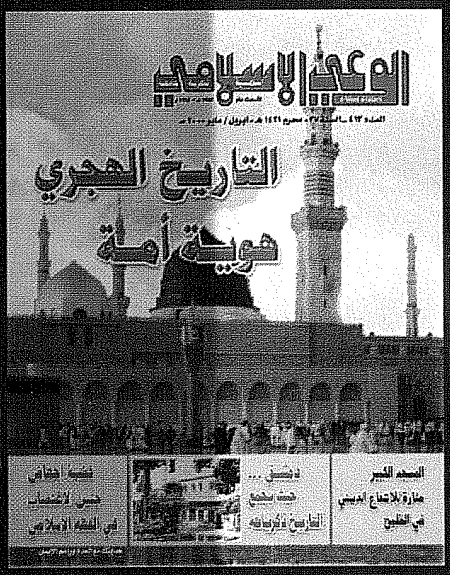

الآن

يمكنكم زيارة

موقع المجلة

على الإنترنت

www.awkaf.net/alwaei

مجلة الثقافة والفكر الإسلامي في ربوع العالم الإسلامي

ص.ب : ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 130097 - الكويت
هاتف : ٥٣٤٨٩٧٤ / ٥٣٤٨٩٧٦ / ٥٣٤٨٩٥٦ (٠٠٩٦٥)
فاكس : ٥٣٤٨٩٥٤ ـ ٠٠٩٦٥
e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

الوعي الإسلامي
شهرية جامعة إسلامية
al-Waei al-Islami

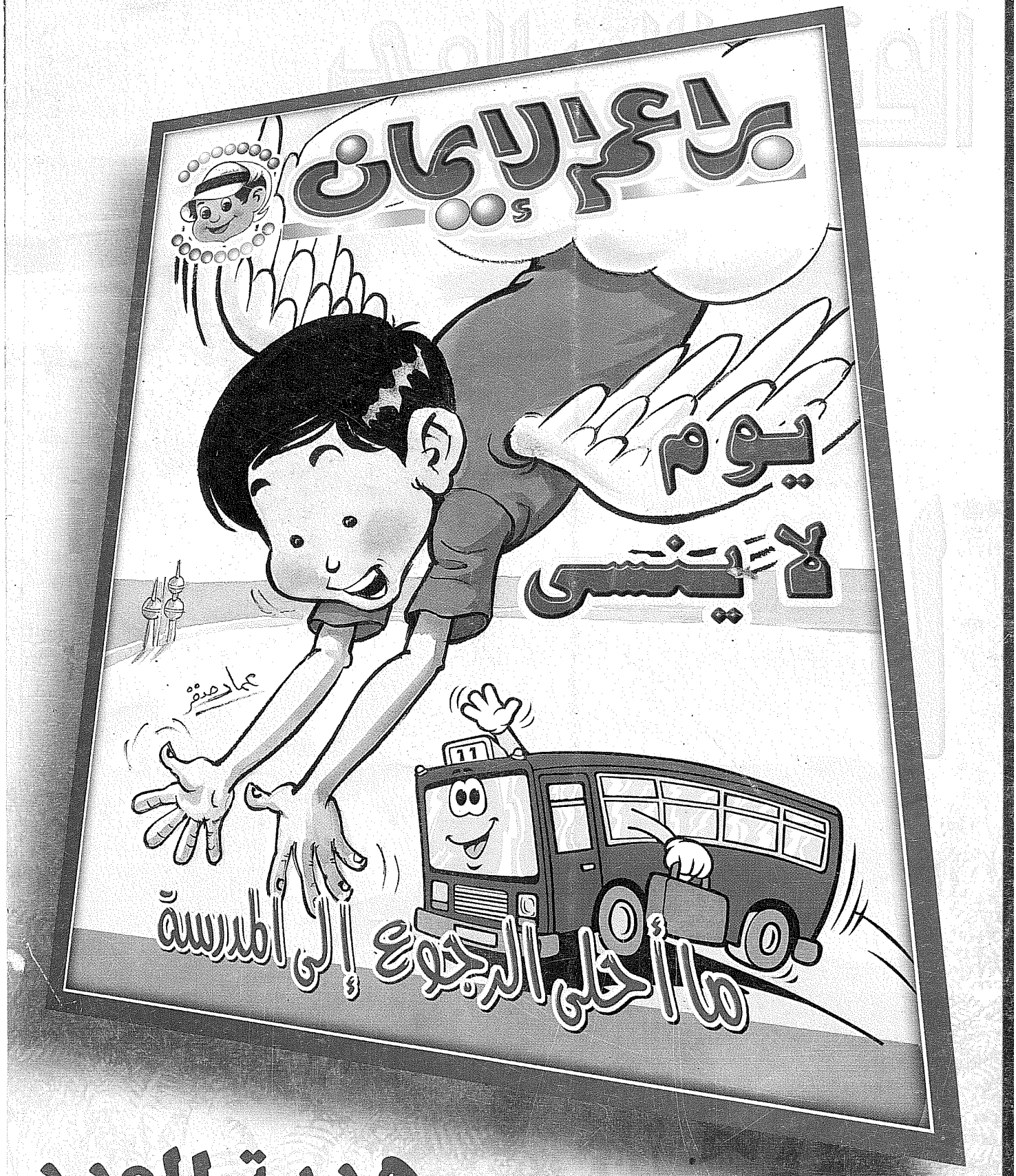
دعم الإيمان
يوم لا ينسى
عماد صقر
11
ما أحلى الرجوع إلى المدرسة

هدية العدد